

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية الآداب و اللغات

قسم الآداب و اللغة العربية



واسطة السلوك في سياسة الملوك لأبي حمو موسى الثاني الزياني

(دراسة أسلوبية)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم

تخصص: أدب جزائري قديم

إشراف الأستاذ الدكتور:

امحمد بن لخضر فورار

إعداد الطالبة:

سهيلة بلعدي

أعضاء اللجنة المناقشة

بسكرة رئيسا	أستاذ التعليم العالي	لعلى سعادة
بسكرة مشرفا و مقررا	أستاذ التعليم العالي	امحمد بن لخضر فورار
باتنة عضوا	أستاذ التعليم العالي	حسين بن مشيش
الوادي عضوا	أستاذ محاضر	حمزة حمادة
أم البواقي عضوا	أستاذ محاضر	حاتم كعب
بسكرة عضوا	أستاذ محاضر	سامية بوعجاجة

مقدمة

لا يخفى على أحد ما كان يعانیه الأدب الجزائري القديم من تهميش ونسيان، بل تساعل العديون حول حقيقة وجود هذا الأدب فعلا، بسبب تاريخ المنطقة المتداخل وغياب الحدود الجغرافية في القرون الماضية، ولا اعتبارات ثقافية وسياسية ميّزت منطقة المغرب العربي قديما، حتى قيّض الله له رجالا حملوا على عاتقهم مهمة بعثه من بين الأموات، فأزالوا عنه الغبار الذي كان يغطيه ويحجب بزوغ نجمه، فتكشفت أسماء وظهرت كتب وأشعار كادت العزلة تقضي عليها .

وعليه بدأت الساحة الثقافية الجزائرية تعرف محاولات جادة لتحقيق ودراسة أعمال أدبية جزائرية تعود إلى حقب زمنية ماضية خدمة للتراث الثقافي الجزائري، لأنّ بناء مستقبل زاهر لأيّ أمة مرتبط بمخزونها الثقافي الذي يحدّد هويّتها، ويرسم ملامحها الخاصة، ولا يكون هذا المخزون إلّا بإنتاج أجيال متعاقبة تشارك جميعا في صنع مستقبل أفضل .

لقد زخر أدبنا الجزائري القديم بشعراء وأدباء لامعين ذاع صيتهم بين الناس، واستقبلتهم قصور الملوك والأمراء، في المغرب والمشرق، والمؤسف في الأمر أنّ منهم من صار ينسب إلى غير بلده الأصلي (المغرب الأوسط).

ومن هنا كانت الرغبة ملحة في المساهمة ولو باليسير في خدمة هذا التراث، بل وواجبة لأنّني أنتمي إلى دفعة تخصصت بالأدب الجزائري القديم، وقد بدأت رحلة البحث في شهادة الماجستير مع أحد ملوك الجزائر في القرن الثامن الهجري وهو (أبو حمّو موسى الثاني الزياني) من خلال دراسة شعره دراسة موضوعية وفنية، ثمّ ارتأيت أن أكمل المشوار العلمي معه، من خلال دراسة الكتاب الأدبي الوحيد الذي وصلنا من تأليفه -حسب علمنا - ومن أجل ذلك تبلورت في ذهني العديد من الأسئلة والتي سنحاول الإجابة عنها في بحثنا و تتمثل في:

ما هي الخصائص الأسلوبية التي تميّز بها كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك؟

ما هي أهم الحقول الدلالية والبنى التركيبية و الصرفية التي تميّز بها شعره الوارد في كتاب واسطة السلوك؟

كيف تجلّى الإيقاع في نصوص الكتاب النثرية؟

وعليه جاء عنوان الأطروحة {واسطة السلوك في سياسة الملوك لأبي حمّو موسى الثاني} دراسة أسلوبية، وكان هذا البحث تلبية لعدّة أسباب ذاتية وموضوعية نذكر منها:

السبب الأول: اقتناعي التام، بأنّ الباحثين في مجال الأدب يتحمّلون مسؤولية المحافظة على التراث الأدبي الذي وصل إلينا، واخرجه إلى النور، وإلا تعرّض للإهمال وربما للضياع والاندثار.

السبب الثاني: محاولة وضع كتاب " واسطة السلوك في سياسة الملوك" على المحك النقدي، عليّ أساهم في التعريف بجزء من أدبنا الجزائري القديم لإخراجه من دائرة الظل التي حبس فيها.

السبب الثالث: قلّة البحوث التي تتناول الأدب الجزائري القديم مقارنة بغيره، بالرغم من وفرة المادّة الأدبية، التي تتسم بالجودة غالبا.

وقد ارتكز هذا البحث على المنهج الأسلوبي، إلى جانب آليات أخرى تداخلت معه، فرضتها مراحل البحث، فكان التاريخ صالحا للتعريف بالدولة الزيانية، وتتبع عموم أعمال أبي حمّو في تلمسان، أمّا الإحصاء فجاء تلبية لحاجة البحث وأهدافه، بينما كان للمنهج الأسلوبي والذي يعدّ أساس هذه الدراسة أداة إجرائية مرنة سمحت بالغوص في أعماق النصوص النثرية والشعرية لواسطة السلوك.

واقضى عنوان البحث أن أتبع الخطّة التالية:

مدخل يعرف بالدولة الزبانية باعتبارها حاضنة هذا النتاج الأدبي، بالإضافة إلى تبين علاقة الأديب الوطيدة بعاصمة ملكه من خلال ذكر أعماله في تلمسان واهتمامه بالحياة الثقافية بها وخاصة اهتمامه بليلة المولد النبوي الشريف، كما تطرقنا إلى علاقة أبي حمو بالنثر الفني .

وبعد هذا المدخل قسّمت البحث إلى بابين، خصّصت الباب الأول للنثر أمّا الباب الثاني فاهتمّ بالشعر، وقد ضمّ الباب الأول ثلاثة فصول، فخصّصت الفصل الأول للتكرار و عرضت فيه أشكال التكرار في نثر أبي حمو من خلال الوقوف عند تكرار الحروف و الضمائر و تكرار الكلمات و أخيرا تكرار الجمل .

أمّا الفصل الثاني فقد تناولت فيه الانزياح بفروعه الاربعة الاسنادي و التركيبي والدلالي و الصوتي فحاولت تتبع هذه الظاهرة في نثر أبي حمو و الوقوف على جمالياتها .

وجاء الفصل الثالث ليهتمّ بجملة ظواهر أسلوبية تميّز بها نثر واسطة السلوك، لم ترتق لتكون فصلا مستقلا، حيث قسّمته إلى ثلاثة أقسام أولا: التناص، وثانيا: الخطاب وأساليبه وثالثا: الانسجام الصوتي.

أمّا الباب الثاني فقد قسمته إلى ثلاثة فصول أيضا، اهتمّ الفصل الأول منه بالحقول الدلالية لشعر أبي حمو، من خلال التعرف على المعجم الشعري له والخصائص التي تميّز بها.

وعني الفصل الثاني بالبنى التركيبية في شعر أبي حمو، حيث خصّصته لدراسة أنواع الجمل المستخدمة عند الشاعر، و الدلالات المختلفة التي أثرت في شعره.

أمّا الفصل الأخير، فقد خصّصته للبنى الصرفية ، وقسمته إلى قسمين، الأول اهتمّ ببنية الأفعال والثاني تعرض لبنية الأسماء.

وانتهى البحث بخاتمة، أوردت فيها جملة من النتائج التي توصلت إليها، ثم أعقبتها بقائمة المصادر والمراجع التي أمدتني بالمادة العلمية المطلوبة، حيث استعنت أولاً بكتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك الذي تم تحقيقه بتونس دون ذكر التاريخ من قبل عبد الرحمان عون، فكانت هذه النسخة من الكتاب هي الوحيدة المعتمدة في الدراسة، لأن هذا الكتاب هو التحقيق الوحيد الذي وصل إلينا.

أمّا مصادر المادة العلمية، فمن أهمّها: التاريخ لابن خلدون، وبغية الرواد ليحيى بن خلدون والكتاب لسبويه، والطبري تاريخ الأمم والممالك، أمّا المراجع والدراسات، فقد استعنت بجوانب من الحياة في المغرب الأوسط لمحمود بوعياض، وصفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي لعلي محمد الصلابي والأسلوبية وتحليل الخطاب لنور الدين السّد و الانزياح في منظور الدراسات الأسلوبية لقصبي عصام وأحمد محمد ويس، والبنية الإيقاعية للقصيدة المعاصرة لعبد الرحمان تبرمسين، وعلم النص لجوليا كريستيفا.

كما أفدت من بعض الرسائل الجامعية مثل: ديوان "أغاني إفريقيا" لمحمد فيتوري (دراسة أسلوبية) رسالة ماجستير لزينب منصوري و"بناء القصيدة المولدية في المغرب الإسلامي" رسالة دكتوراه لمحمد زلاقي.

ولم تخل رحلة البحث من بعض الصعاب، خاصة في جمع المادة العلمية، ومرّد ذلك قلة المصادر خاصة في ما تعلق بالجزء النظري، ممّا تطلّب الجهد والوقت، ولكن، وعلى الرغم من مشاق البحث، إلّا أنّني استمتعت بكلّ لحظة أتمكّن فيها من اجتياز أحد عناصره أو الكشف عن كنهه.

وإن كنت -والحمد لله- قد وصلت بالبحث إلى صورته النهائية، فالفضل بعد الله تعالى إلى الأستاذ المشرف الدكتور امحمد بن لخضر فورار ، فله منّي كلّ آيات الشكر والعرفان،

ولكلّ من ساعدني في انجازه ولو بكلمة طيّبة، لهم جميعاً أتقدّم بالشكر الخالص، كما أرفع خالص امتناني إلى قسم الآداب و اللّغة العربيّة، جامعة-محمد خيضر-بسكرة إدارة وأساتذة وعمالا وطلبة.

ولا يفوتني أن أتقدّم بأسمى عبارات الشكر أيضا إلى السادة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة لأنّهم اقتطعوا من وقتهم الثمين لتجشّم عناء قراءة هذه المذكرة، و الوقوف عند مواطن النقص والخطأ فيها من أجل استدراكها.

أخيرا أسأل الله تعالى -بعد حمده وشكره -السداد ولامسة الصّواب، ومع أنّ هذا البحث، لا يعد إلا اسهاما بسيطا في خدمة تراثنا الجزائري، فإنّه قد يفتح المجال لدراسات أوسع وبحوث أدق وأشمل لهذا الكتاب المتميّز، وحسبي أنّي اجتهدت وأخلصت النية والله وحده أسأل التوفيق.

مدخل:

أولاً- الدولة الزيانية:

- 1- الحدود
- 2- السكان
- 3- التأسيس
- 4- السياسة
- 5- العلاقات الخارجية
- 6- الزوال.

ثانياً- أبو حمّو الملك والأديب:

- 1- أبو حمّو وتلمسان
- 2- أبو حمّو والحياة الثقافية بتلمسان
- 3- أبو حمّو والنثر الفني
- 4- أبو حمّو وليلة المولد النبوي الشريف

تفرض علينا مجريات البحث قبل أن نعرّج إلى آثار السلطان أبي حمّو موسى الثاني في تلمسان، وما قام به هذا الملك المتميّز من جهود، خدمة للعلوم والآداب، وما حفظه التاريخ عن حبه الشّدِيد للعلماء وتبجيله الكبير لهم. وقبل أن نتعرض لكتاب "واسطة السلوك في سياسة الملوك" بالدراسة والتحليل، أن نقف قليلا عند التعريف بالدولة الزيانية، باعتبارها كانت حاضنة كلّ هذا الزخم الحضاري والثقافي.

أولا الدولة الزيانية:

1- الحدود:

لم تكن حدود الدولة قارّة، بسبب ما كان بينها وبين جارتها الدولة الحفصية والدولة المرينية من تنازع¹، هذه الدول الثلاث قامت على انقراض الدولة الموحدية²، وقد عاشت حروب طويلة ومستمرة على زعامة المغرب العربي، فقد حاولت دولة بني مرين أن توحد الشمال الإفريقي تحت نفوذها ودخلت في معارك عنيفة «مع بني عبد الواد والحفصيين في المغرب الأوسط والأدنى»³.

كان موقع الدولة الزيانية يشغل إقليم المغرب الأوسط، وقد عمل كلّ الحكام الذين تعاقبوا عليها، على توسيع حدودها ولم تكن هذه الحدود ثابتة دائما، فهي تتسع وتقلص تبعا للظروف السياسية التي كانت تعيشها والحروب التي كانت تخوضها ولأنها واقعة بين دولتين قويتين، الحفصية⁴ شرقا،

1- انظر: محمود بوعياذ جوانب من الحياة في المغرب الأوسط- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر-1982-ص15.

2- الدولة الموحدية: تأسست على يد المهدي بن تومرت، الذي جعل من جبال الأطلس الكبير عام(518هـ/1124م) قاعدة لدولته الناشئة- انظر: علي محمد الصلابي- صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي-ج2- دار ابن الجوزي- القاهرة- 2007-ص348.

3- علي محمد الصلابي- المرجع نفسه-ج2-ص523.

4- الدولة الحفصية: تأسست على يد أبي زكريا بن عبد الواحد سنة(626هـ/1229م) بعد الانفصال عن دولة الموحديين انظر: علي محمد الصلابي- المرجع نفسه-ص545.

والمرينية¹ غربا، وكان حجم رقعتها متعلقا بحروب هاتين الدولتين معها. وعموما كانت حدود الدولة الزيانية تمتد من تخوم بجاية² وبلاد الزاب³ شرقا إلى واد ملوية غربا، ومن الساحل شمالا إلى إقليم توات جنوبا⁴، وامتلك الزيانيون تلمسان وامتد ملكهم إلى دلس وهي قرية غربي بجاية بساحل البحر⁵. ويقول يحيى بن خلدون «هو في الإقليم الربع أعدل الأرض مزاجا وأفضلها نتاجا ما بين الإفريقية⁶ والسوس⁷ الأدنى من المغرب الأقصى». ⁸ علما أنّ هذه الحدود قابلة للتغيير دائما.

وهكذا لا يمكن أن نعطي حدودا فعلية، دائمة وثابتة لهذه الدولة فهي لها سبق وقلنا، مرتبطة بالحروب التي عاشتها من جهة، والتي كانت تدور من حولها من جهة أخرى، لكن الثابت أنّ عاصمتها لم تتغير مهما اتسعت حدودها أو تقلصت، فتلمسان⁹ هي مركز الحكم ودار الملك كما يقول بن خلدون «دار ملكهم فيه وسط بين الصحراء والتل

-
- 1- الدولة المرينية: كان يعقوب بن عبد الحق أول أمير على المغرب سنة (668هـ/1269م) بعد قضائه على الموحيدين انظر، علي الصلابي- المرجع نفسه- ص522.
 - 2- بجاية: مدينة ساحلية قديمة- لعبت دورا هاما في تاريخ المغرب، كانت عاصمة بني حمّاد. انظر: الإدريسي- القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس- مقتبس من نزهة المشتاق- تحقيق: العربي اسماعيل- ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر- 1983- ص160- 161.
 - 3- الزاب: من أطراف الصحراء في سمت البلاد الجريدية من عمل افريقية وهو مثلها في حرّها- انظر: محمد بن عبد المنعم الحميري- الروض المعطار في خبر الأقطار- تحقيق: إحسان عباس- مكتبة لبنان- ط2- 1984- ص281.
 - 4- عن حدود الدولة الزيانية، انظر: مبارك الميلي- تاريخ الجزائر في القديم والحديث- ج2- مكتبة النهضة الجزائرية- 2004- ص440.
 - 5- انظر: مبارك الميلي- المرجع نفسه- ص440.
 - 6- افريقية: عمل كبير عظيم في غرب ديار مصر سميت باسم افريقس بن أبرهة ملك اليمن لأنه غزاها وافتتحها انظر: محمد بن عبد المنعم الحميري- المصدر نفسه- ص47.
 - 7- السوس في أقصى بلاد المغرب وهي مدينة جلييلة حاضرة جامعة لكل خير وفضل وأهلها أخلاط وهي بلاد السكر ويصنع منه بها كل شيء- انظر: محمد بن عبد المنعم الحميري- المصدر نفسه- ج2- ص329.
 - 8- يحيى بن خلدون- بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد- تحقيق: عبد الحميد حاجيات- ج2- المكتبة الوطنية- الجزائر- 1980- ص84.
 - 9- تلمسان: مدينة أزلية لها سور حصين متقن الوثاقه- وهي مدينتان في واحدة- يفصل بينهما سور- انظر: الإدريسي المصدر نفسه- ص149.

تسمى بلغة البربر تلمسان الكلمة مركبة من تلم ومعناه تجمع وسن معناه إثنان أي الصحراء والتل»¹.

2- السكان:

المغرب الأوسط، أو الجزائر حالياً، هو منطقة مأهولة بالسكان منذ عهود قديمة، وقد كان الأمازيغ² أول من عمّر هذه البقاع من الأرض «والغالب على القبائل البربرية التي عمّرت الجزائر هو متفرع من ثلاث شعوب عظيمة: صنهاجة³ وكتامة وزناتة»⁴. ورغم اختلاف النسابين في أصلهم، فبين قول المسعودي أنهم من نسل حام الذي نزح إلى بلاد المغرب⁵، وقول الطبري الذي يرجع بأنسابهم إلى سام بن نوح عليه السلام⁶ وأقوال أخرى لنسابين ومؤرخين غيرهما، من أمثال ابن عبد البر القرطبي⁷ والقلقشندي⁸ اللذين يؤكدان نسب الأمازيغ إلى حام بن نوح عليه السلام، ولهما كلام كثير في شعوبهم وأصولها⁹، يبقى الأكيد في الأمر أنّ الأمازيغ هم أول الأجناس التي استوطنت شمال إفريقيا بما فيها المغرب الأوسط. ومن الخصال المتأصلة في البربري، تقديسه لحرّيته، واعتزازه بأصله وتعصبه لقبيلته يرفض الظلم والاستعمار، ويدافع

1- يحيى بن خلدون- بغية الرواد- ص 281.

2- الأمازيغ: أو البربر- أمة أعجمية عمّرت الشام من لدن الطوفان واختلف في أصلهم النسابون انظر: يحيى بن خلدون- بغية الرواد- ج 1- ص 178.

3- عن أصول القبائل البربرية انظر: يحيى بن خلدون- المصدر نفسه- ج 1- ص 180-181.

4- محمد طمّار- تاريخ الأدب الجزائري- الشركة الوطنية- للنشر والتوزيع- الجزائر- د. ط- ص 07.

5- انظر: المسعودي- مروج الذهب ومعادن الجوهر- ج 1- المطبعة البهية المصرية- 1346هـ- ص 305.

6- انظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك- ج 1- دار القاموس الحديث للطباعة والنشر- بيروت- د. ت- ص 105.

7- انظر: ابن عبد البر القرطبي- القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم- مطبعة المكتبة العبدرية- النجف- العراق- 1966- ص 25.

8- انظر: القلقشندي- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب- القاهرة- 1959- ص 317.

9- يرى المؤرخ الفرنسي لويس رين أن أصول البربر تنتمي إلى جذور غير سامية- انظر:

عن أرضه وعرضه بكل بسالة، ولقد صورته لنا التاريخ: «محاربا شجاعا، مقداما، محبا للعمل، نجده بكثرة في الجبال ومناطق الصحراء»¹.

لقد شاع عن الجزائر منذ القديم، تمتعها بمناخ معتدل وأراضي خصبة شاسعة، هذا الذي جعل منها مقصد لأجناس مختلفة، إما للاستقرار والتجارة، وإما للاستعمار والسيطرة على خيراتها، ولقد امتزج بعض أولئك الوافدين، على اختلاف أسبابهم، بالمجتمع البربري، «ونجم من هذا الخليط شعب ذو شخصية وعقلية وخصال، تميّزه من غيره»². كان الفنيقيون أول الوافدين على الجزائر، بغية التجارة، وقد لاحظ الأمازيغ أنّ قدوم هؤلاء لم يكن مصحوبا بأطماع استعمارية، لذلك تقبلوهم بقبول حسن، واختلطوا بهم وقد كان لذلك الاختلاط نتائج إيجابية على المجتمع الجزائري، باعتبار أنّ الفنيقيين أصحاب لغة مكتوبة وحضارة عريقة، ولقد أكد بيروني على تأثير الفنيقيين في لغة البربر³.

وعليه «لم ينفّر البربر من القرطاجيين، فقد صاهروهم، واستفادوا من أعمالهم العمرانية، ومن نشاطهم التجاري، ومن حرفهم وصنائعهم»⁴.

لم يهادن البربر الرومان، ولا امتزجوا بهم، مثلما حدث مع الفنيقيين، وذلك لأنّ نواياهم لم تكن سليمة، بل جاءوا مستعمرين ومسيطرين على البلاد والعباد، ورغم طول مكوثهم بالجزائر، الذي ناهز خمسة قرون، إذ ظلت روما تحكم حتى القرن الثالث الميلادي⁵، لم يندمج العنصر البربري مع العنصر الروماني، لأنهم أساءوا السلوك معهم. وكذلك كان الشأن بالنسبة للوندال الذين «اكتسحوا الجزائر واتخذوا بونة⁶ عاصمة

¹- محمد طمار - تاريخ الأدب الجزائري - ص 08.

²- المرجع نفسه - ص 31.

³- انظر: Raymond Peyronnet le problème Nord Africain - paris Peyronnet et compagnie

Edition- 1924-p103.

⁴- محمد طمار - المرجع نفسه - ص 11.

⁵- المرجع نفسه - ص 11.

⁶- بونه: من بلاد افريقية قريبة من فحص القل وهي مدينة قديمة من بناء الأول وبها آثار كثيرة وهي على ساحل البحر - انظر: محمد بن عبد المنعم الحميدي- الروض المعطار في خبر الأقطار- ص 15.

لهم¹، إذ لم يتقبلهم البربر ولا خالطوهم، ولا استفادوا منهم شيئاً يذكر، لأنهم كانوا متوحشين وهمجيين، استبدوا بالبلاد واستولوا على خيراتها.

ولم يكن البيزنطيون بأكثر حظ من سابقيهما، فقد واجهوا الرفض والغضب من الأهالي بسبب معاملة العبيد التي كانوا ينتهجونها مع السكان الأصليين الذين ثاروا عليهم في نهاية الأمر².

وعندما وصل الإسلام للديار الجزائرية، ودخل العرب الفاتحين إلى المغرب العربي «اختلطوا بالبربر وامتزجوا بعضهم ببعض من غير اندماج، فتصاهروا وتساكنوا في المدن والضواحي»³.

لقد وجد الوافدون من العرب إلى الجزائر قلوباً واسعة لتقبل الدين الجديد وأبواباً مفتوحة لاستقبال القادمين من الشرق، وهذا ما لم يفعله البربري من قبل وبهذه السرعة وعلى هذا النحو، لأنه أدرك بفطرته السليمة أنّ المسلمين أصحاب رسالة سماوية، قدموا لتبليغها، وأنهم لم يدخلوا أرضه للسيطرة عليه أو لنهب خيرات بلاده.

وعليه راح البربر يمتزجون بالعرب على نطاق واسع، فبعد عبور طارق⁴ بن زياد للمضيق «أخذ العرب يفدون إلى المغرب الأقصى والأندلس فكثر مرورهم بالجزائر واختلاطهم بأهلها»⁵. وفي العصر الإسلامي للمغرب، عرفت الجزائر نزوح بعض القبائل

¹- محمد طمار- تاريخ الأدب الجزائري- ص13.

²- المرجع نفسه- ص13-14.

³- مبارك الملي- تاريخ الجزائر في القديم والحديث- ج2- ص43.

⁴- طارق بن زياد: هو فاتح الأندلس وهو بربري نفزي ونسبه هو: طارق بن زياد بن عبد الله بن لغو، وقد اجتاز البحر في سنة 92هـ من شهر رجب (710م) وهو صاحب الخطبة المشهورة، انظر: ابن عذاري- البيان المغرب- ج1- بيروت- 1951- ص43 ومحمد شيت خطاب- قادة فتح بلاد المغرب- ج1- دار الفكر- ط7- 1948- ص214.

⁵- محمد طمار- المرجع نفسه- ص07.

العربية من بني هلال¹ وبني سليم، استقرت بضواحي العاصمة الزيانية، وقد كانت معيشتها معيشة الرحل².

ولقد كان مجتمع المغرب الأوسط في العهد الزياني يتكون من الأمازيغ المنحدرين من قبيلة الزناتة ومن أشهرهم: مغراوة³، وبني يفرن وبني عبد الواد وبني مرين وبني راشد وبني توجين، وقد اختلفت سبل عيشتهم ما بين الزراعة والرعي، ينتشرون في الجبال والسهول العليا والصحراء⁴.

وأصل الزيانيين من بني عبد الواد الزناتية⁵ وشعبهم خمس: بنو يانكتنو بنو وللو ومصوجة وبني تومرت وبني ورسطف⁵.

وتعود تسمية الزيانيين ببني عبد الواد إلى جدهم عابد الوادي، كانوا عبارة عن قبائل رحل يجوبون الصحراء في الشرق الأوسط بحثا عن المراعي ما بين سجلماسة⁶ ومنطقة الزاب بإفريقية⁷.

وهكذا صفة سكان شرق المغرب الأوسط في العهد الزياني، كانوا مزيجا من كل ما سبق ذكره، بالإضافة إلى المهاجرين الأندلسيين في القرون الأخيرة ولقد استقر عدد كبير منهم بتلمسان.

1- بنو هلال وبني سليم- قبيلتان عربيتان من القبائل العربية التي استوطنت الصعيد المصري، استدعاهم الوزير العبيدي أبو القاسم إلى بلاد المغرب ورغبهم في ذلك لأسباب سياسية- انظر: مبارك الميلي- تاريخ الجزائر في القديم والحديث- ج2- ص180.

2- انظر: محمود بوعياذ- جوانب من الحياة في المغرب الأوسط- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر- 1982- ص40.

3- عن بطون زناتة، انظر: يحي بن خلدون- بغية الرواد- ج2- ص181.

4- انظر: محمود بوعياذ- المرجع نفسه- ص15.

5- يحي بن خلدون- بغية المصدر نفسه- ج2- ص84.

6- سجلماسة: مدينة قديمة كانت واقعة في ناحية تافيلالت على بعد 310 كم في الجنوب الشرقي لفاس على تخوم الصحراء- انظر: الحموي- معجم البلدان- دار صادر للطباعة والنشر- دار بيروت للطباعة والنشر- بيروت- 1957- مج3- ص192.

7- انظر: يحي بن خلدون- المصدر نفسه- ج2- ص186.

ناهيك عن بعض المجموعات اليهودية التي يعود تواجدها في المغرب الأوسط إلى ما قبل الفتح الإسلامي، وأخرى نازحة من الأندلس هروبا من الاضطهاد المسيحي هناك، استقرت في حاضرة الدولة الزيانية ومحيطها، وخاصة أقصى جنوب الدولة، بمنطقة توات.

أما المسيحيون فكانوا عبارة عن تجار جلبهم إلى تلمسان نشاطها الاقتصادي الكبير وقد كانت إقامتهم هناك مؤقتة، مرتبطة بأعمالهم التجارية¹.

3- التأسيس:

كان بنو زيان يعيشون على الرعي، وقد اشتهر رجالهم بالفروسية والنجدة والقوة، وفي عهد الموحدين استقروا بنواحي تلمسان، لم يقبلوا بالدعوة الموحدية في البداية، لكنهم اضطروا في الأخير إلى مسايرة الأوضاع آنذاك، ودخلوا في خدمة الموحدين، خدموا بإخلاص كامل وأبلوا في حروبهم البلاء الحسن، لذلك اعترف العرش الموحدى بهذه الجهود، وجعل من الزيانيين أمراء على تلمسان².

وكان لتولي الزيانيين الإمارة على تلمسان من قبل الموحدين قصة يسردها يحيى بن خلدون في بغية الرواد ومفادها: أنّ عامل وطن تلمسان آنذاك، نافر بني عبد الواد وأساء جوارهم، ثمّ قام بإقناع شقيق أمير المؤمنين الموحدى ووالي المدينة بسجن كبرائهم ففعل، ولمّا شفع فيهم شيخ مرتجلة لمتونة التابعين للجيش الموحدى، ردّ شفاعته، فغضب هذا الأخير، وقام هو وأتباعه بقتل عامل تلمسان، وفك أسر شيوخ بني عبد الواد، ثم أغراه الوضع لكي يحيى موات الدولة اللمتونية³، فرأى أنّ بني عبد الواد يقفون عائقا في وجهه،

1-انظر: محمود بوعياذ جوانب من الحياة في المغرب الأوسط- ص40.

2-انظر: يحيى بن خلدون- بغية الرواد-ج1- ص199.

3-الدولة اللمتونية: وهم المرابطون: ينتمون إلى قبيلة لمتونة وهي واحدة من سبعين قبيلة تتفرع من صنهاجة وكانوا كثيري العدد يعيشون في الصحراء وبلغت فيها مراحلهم مسيرة شهرين وفي مثلها أموالهم وكانوا على السنة والجماعة وأول ملوكهم الأمير يرلنونان اللمتوني وكان ملكا عظيما وافقت أيامه أيام عبد الرحمن ابن معاوية الداخل إلى الأندلس، توفي222هـ- انظر: تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام لابن الخطيب تحقيق: محمد ابراهيم الكتاني- دار الكتاب- الدار البيضاء- 1964- ص225.

باعتبار اخلاصهم للموحدين، فأعمل الحيلة لقتل شيوخهم، لكن خيوط المؤامرة كشفت، وقام الأمراء الزيانيون بالقبض على الشيخ اللمتوني وأتباعه¹.

وبعد هذه الحادثة، تولى جابر بن يوسف الإمارة على تلمسان، وأقام الدعوة للموحدين، سنة 627هـ²، وعليه فإنّ تولي هذا الأمير الزياني الحكم على تلمسان وأحوازها يعدّ النواة الأولى لقيام الدولة الزيانية.

ثم آلت الإمارة من بعده لولده الحسين مدّة ستة أشهر، وبعدها اخلع عنها لعمه، ثم وصل الحكم لعثمان بن يوسف، تملك سنة 630هـ، وكان فظا غليظا، ثار عليه الناس، وأخرجوه من تلمسان³.

وتولى الحكم في تلمسان بعد عثمان بن يوسف المخلوع، أبو عزّه وكدان بن زيان بن ثابت بن محمد، باجماع من قبيلة، ما عدا بني مطهر، الذين حاربوه إلى أن قتلوه خارج تلمسان سنة 633هـ، فكانت أيام حكمه ثلاث سنين⁴. وآلت الإمارة من بعده إلى أخيه أبي يحيى يغمراسن بن زيان.

حين آلت زعامة بني عبد الواد إلى الأمير يغمراسن بن زيان ورأى تدهور أحوال الموحدين، تحيّن الوقت المناسب لتحقيق حلم كبير يتمثل في تأسيس ملك عظيم له ولقبيله، «إذ لم يكن لانحطاط بني عبد المؤمن⁵ انعكاس سيء على بني عبد الواد بل إنّ

1- انظر: يحيى بن خلدون- بغية الرواد- ج1- ص199.

2- انظر: المصدر نفسه- ج1- ص200.

3- انظر: المصدر نفسه- ج1- ص202.

4- انظر: بغية الرواد- ج1- ص202.

5- بنو عبد المؤمن أو المؤمنيون: نسبة إلى عبد المؤمن بن علي بن علوي سلطان المغرب بويغ من أصحاب ابن تومرت يعد موت هذا الأخير بيعة خاصة في رمضان(524هـ) ثم بيعة عامة في 20 ربيع الأول(526هـ)- انظر: علي محمد الصلابي-صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي-ج1- ص388.

الحظّ جاء عليهم بزعيم حازم استطاع أن يشغل الفرصة السانحة لبعث دولة مستقلة¹.

وكان يغمراسن، من أشدّ بني عبد الواد بأسا وأعظمهم مهابة وجلالة، وأقواهم كاهلا على حمل أعباء الملك، واضطلاعا بالتدبير والرياسة² فلما ولي هذا الأمر بعد مهلك أخيه عزّه وكدان بن زيان... فقام به أحسن قيام... وظهر على بني مطهر وبني راشد... وأصارهم جملته... واتخذ الآلة ورتب الجنود والمسالح واستلحق العساكر من الروم... واتخذ الوزراء والكتاب وبعث في الجهات العمال ولبس شارة الملك والسلطان³.

وعليه يعدّ يغمراسن مؤسس الدولة الزيانية سنة 633هـ، وعلى يده انقطع الولاء للموحدين، وقد دخلت هذه الدولة بعده في صراعات كثيرة مع جارتها الحفصية والمرينية، مما أدى إلى سقوطها وإعادة احيائها أكثر من مرة³.

4_ السياسة:

كان ملوك آل زيان يفوقون بني مرين والحفصيين حربيا سياسيا، لكنهم أقلّ منهم عددا⁴. وقد عرفت هذه الدولة ملوكا أفاذا عرفوا كيف يديرون سياستها داخليا وخارجيا. فعلى الصعيد الداخلي، كان الحكام يرفعون منازل الفقهاء والأشراف ويدررون الأعيان من رؤساء القبائل والتجار وغيرهم، ويقدمون العطاءات للأدباء والموظفين والجنود وللبناء والتشييد في العاصمة الزيانية والمدن الأخرى⁵.

1- شارل أندري جوليان. تاريخ إفريقيا الشمالية- تعريب محمد مزالي بشير بن سلامه- الدار التونسية للنشر- 1978- ص201.

2- عبد الرحمن بن خلدون- تاريخ ابن خلدون- المجلد 2- ص2752.

3- سقطت الدولة الزيانية في يد المرينيين في عهد السلطان أبي تاشفين، ثم بعثها الأخوان أبو سعيد وأبو ثابت، ثم سقطت مرة أخرى في أيدي بني مرين وبعثها أبو حمّو موسى الثاني، انظر: التنسي- تاريخ بني زيان- ص149 وما بعدها.

4- انظر: مبارك الملي- تاريخ الجزائر في القديم والحديث- ج2- ص444.

5- انظر: محمد طمار- تاريخ الأدب الجزائري- ص108.

وكان هذا الرخاء نتيجة الاستقرار الداخلي الذي يحاول قادة البلاد توفيره رغم حالة الحرب الدائمة التي كانت تعيشها البلاد، وعلى الرغم من ذلك، كانت أيام السلم المعدودة في حياة المملكة تستغل أحسن استغلال من طرف حكامها.

ومن السياسات المتبعة من آل زيان، الرجوع إلى القبائل العربية متى احتاجوا إليهم، فيقطعون لهم الأراضي الواسعة، وجباية القبائل المستضعفة، وإذا استغنوا عنهم بالسلم، نزعوا عنهم امتيازاتهم حتى لا تقوى شكوتهم¹.

فإلى جانب ما اتصفوا به من شجاعة حربية، كان للملوك الزيانيين السبق في السياسة، ومن ذلك ضربهم بين زعماء القبائل ليكونوا دائما في حاجة للسلطة المركزية مخافة وقوع الحروب بينهم، كما كانوا يأخذون من أبنائهم رهنا على الطاعة حيث «اتخذ لهم أبو حمّو الأوّل² عصابة، وأذن لهم في النكاح والبناء واختط لهم المساجد جمعوا فيها للجمعة ونفقت بها الأسواق والصنائع»³.

ومن السياسة الداخلية أيضا، أخذ الحيطة من الأمراء الزيانيين الذين تستهويهم السلطة وشؤون الحكم، «فمتى رأوا بأحد من أقاربهم مخايل المزاحمة في الدولة أشخصوه إلى الأندلس ليشغل بالجهاد ويستريحوا من فتنته»⁴.

أمّا خارجيا، كانت سياسة الدولة الزيانية تقتضي الحكمة والدهاء هذا ما عرف به حكمائها، ولأنّ هذه الدولة واقعة بين دولتين قويتين الحفصية والميرينية، كان لزاما على الزيانيين المحافظة على حدود دولتهم، بل ومحاولة التوسع متى وجدوا لذلك سبيلا.

لقد تعددت الحروب بين الممالك الثلاث، فكم من مرة تحالفت مرين مع القبائل العربية والزناطية لتقضي عليها، لكنّ الزيانيين استطاعوا مواجهة تلك الأحلاف وتمكنوا من

1- مبارك الميلّي- تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ج2- ص354.

2- أبو حمّو الأوّل: تولى الحكم سنة707هـ- إلى غاية718هـ، أيام حصار تلمسان انظر: التنسي- تاريخ بني زيان- ص132 وما بعدها.

3- انظر: مبارك الميلّي- المرجع نفسه-ج2- ص449.

4- المرجع نفسه-ج2- ص475.

مواجهة الهجومات الآتية شرقا وغربا¹. بسبب شجاعة ودهاء حكامهم الذين لا يهابون خوض الحروب تحت أيّ ظرف، وهم في ذلك قد ساروا على نهج ملكهم العظيم ومؤسس الدولة يغمراسن الذي قال ذات مرة لأحد ملوك المرينيين حين بعث رسولا للصلح. «لا صلح بيني وبينه أبدا ولو بلغت إلى الردى، لقد قتل ولدي وقرّة عيني وولي عهدي عمر، أصالحه وأهدر دمه؟ والله لا كان هذا أبدا ولا أترك دم ولدي يمضي سدا حتى آخذ منه بالثأر وأذيق بلاده التبار»².

كانت علاقة مملكة الزيانيين مع جارتها حرب وعداء في أغلب الأحيان، لكنها لجأت إلى انتهاج سياسة المحافظة على توازن القوى، حتى لا تتحد هذه الأخيرة ضدها، خاصة وأنها أصغر الدول الثلاث والأوسط بينهم.

وعليه كانت الدولة الزيانية تميل متى مالت مصلحتها إلى بني حفص فتسالهم وتتحد معهم ضدّ المرينيين، وتقلب إلى الاتجاه المعاكس، فتعقد الصلح مع بني مرين متى كانت الضرورة تقتضي ذلك، رغم الصراع الدائم والمتأصل بين الدولتين³. وبسبب ما كانت تعانيه عاصمة المملكة من ضغوطات وتهديدات قادمة من الشرق والغرب كان لزاما على حكام تلمسان تحصين حاضرتهم، وشحنها بالأقوات والمؤن «حتى أنهم صبروا على الحصار الطويل الذي دام ثماني سنين وثلاثة أشهر وأياما»⁴.

5_ العلاقات الخارجية:

أنشأت الدولة الزيانية علاقات سياسية واقتصادية خارجية منذ تأسيسها على يد يغمراسن الذي وضع القواعد الأولى لهذه العلاقات الخارجية لما عرف عنه من حنكة سياسية ودهاء، وما كان للملوك الذين وصلوا للحكم من بعده إلا السير على نهجه.

¹-انظر: محمد طمار- تاريخ الأدب الجزائري- ص107.

²-علي بن أبي زرع الفارسي- الذخيرة السنوية في تاريخ الدولة المرينية- طباعة دار المنصور- الرباط- 1972- ص130.

³-انظر: محمد عيسى الحريري- تاريخ المغرب الإسلامي في العهد المريني-دار القلم للنشر والتوزيع- الكويت- ط2- 1987- ص217.

⁴-مبارك الملي- تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ج2- ص444.

لقد كانت تجمع الدولة الزيانية بالأندلس علاقات متينة وقوية، عمادها الأخوة وروح المسؤولية إتجاه الإخوة الأشقاء هناك، لما كانوا يلاقونه من تهديدات وأخطار من قبل الاسبان، وعليه استمرت العلاقات بينهما طويلة وحسنة، وقد بدأت عندما: «مدّ بنو الأحمر¹ ملوك غرناطة² أيديهم إلى يغمراسن لما خشوا من مزاحمة مرين لم بالأندلس»³. وكان من عادة ملوك الأندلس استصراخ الملوك الزيانيين بقصائد تحرك النخوة والغيرة على الدين وتشجذ الهمم لمساعدة الإخوان الأندلسيين، ومن ذلك ما أورده يحي بن خلدون في البغية حين قال: «فاستصرخ ملكها السلطان المجاهد الأفضل أبو عبد الله محمد بن السلطان أبي الحجاج بن السلطان أبي الوليد بن نصر أعزّه الله مولانا أمير المؤمنين⁴.... في شهر رمضان بقصيدة...»⁵.

وأكدّ يحي بن خلدون على امتعاض الملك الزياني لذلك «فأمدّهم في سبيل الله بالأحمال العديدة من الذهب والفضة والخيل المسومة والمراكب المشحونة زرعاً»⁶.

كما تبادل الملوك الزيانيون ونظراؤهم الأندلسيون الهدايا، توطيد للعلاقات بينهم ومن ذلك ما روي عن السفينة الأندلسية التي كانت محملة بالهدايا والتحف بعث بها أحد ملوك بني الأحمر إلى أبي حمّو موسى الثاني كما جرت عليه العادة بين، والتي تعرضت للقرصنة من قبل الأفرنج ممّا اضطر الملك الزياني إلى أن يفندي المركب بأمواله الخاصة نقداً⁷.

1- بنو الأحمر: أنشأوا دولة حكمت بعد اضمحلال الموحدين مدة أكثر من قرنين ونصف في غرناطة- انظر: أحمد السعيد سليمان- تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة-ج1- دار المعارف- مصر- د. ت- ص35.

2- غرناطة: هي عاصمة بني الأحمر وآخر قلاع المسلمين في الأندلس، تقع في الجنوب الشرقي للأندلس، انظر: علي محمد الصلابي- صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي-ج2- ص478.

3- مبارك الملي- تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ج2- ص448.

4- الملك الزياني المقصود هنا هو أبو حمّو موسى الثاني.

5- يحي بن خلدون- بغية الرواد-ج2- ص174.

6- المصدر نفسه-ج2- ص174.

7- عبد الرحمن الجليلي- تاريخ الجزائر العام-ج2- ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر- ط7- 1994- ص185.

ومن علاقات الزيانيين السياسية، ما كان يجمع بينهم وبين ملوك مصر، إذا كانوا يتبادلون الهدايا والسفارات، ومنه الهدية التي بعث بها الملك الظاهر سيف الدين برقوق¹ إلى الملك الزياني أبي زيان بن أبي حمو الثاني، «ولمّا وردت عليه هدية ملك مصر أبي سعيد... بعث هو أيضا إليه هدية جليلة ووجه معها قصيدة من نظمه»².

أما العلاقات الاقتصادية الخارجية للدولة الزيانية، فقد كانت متعددة ونشطة لكون تلمسان مركزا تجاريا هاما، يقصده التجار من كل مكان، مسلمين ومسيحيين على السواء، كما كانت حاضرة الدولة الزيانية، مركز عبور القوافل التجارية، من وإلى أقصى الصحراء والسودان.

وقد أكد المقرئ أنّ جدّه أبا بكر وإخوته، كانوا يمتلكون شركة تجارية ذات طابع دول بالمفهوم الحالي، إذ «مهدّوا طريق الصحراء بحفر الآبار وتأمين التجار واتخذوا طبلا للرحيل وراية تقدم عند المسير، وكان أبو بكر ومحمد بتلمسان، وعبد الرحمن بسجلماسة، وعبد الواحد علي بايوالاتن الواقعة في الشمال الشرقي الغربي لتنبكتو على بعد أربعمئة ميل»³.

6_ الزوال:

لم ينس الاسبان المساعدات الكبيرة التي كانت تقدم للأندلس ولا تزودها بالمال والرجال من كل أقطار المغرب العربي، وكذلك فتحهم الأبواب أمام اللّاجئين الأندلسيين وتوفير سبل العيش الكريم لهم.

1-الملك الظاهر برقوق: أول المماليك البرجيين بمصر تولى الحكم من784هـ- إلى غاية801هـ- انظر: التنسي- تاريخ بني زيان- ص220.

2-التنسي- المصدر نفسه- ص220.

3-مبارك الميلي- تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ج2- ص484.

وعليه بعد أن قضى الاسبان على آخر قطعة من أرض الأندلس سنة 1492م وجهوا نشاطهم نحو الغرب الإسلامي، انتقاماً منه، ومخافة عودة اللّاجئين الأندلسيين من جديد للأندلس ومحاولة استرجاع ملكهم¹.

لذلك قام المسيحيون باستباحة السواحل الجزائرية، وأقدموا على احتلال المرسى الكبير عام 1505م، واحتلوا وهران²، ثم بجاية عام 1510م، والجزيرة المواجهة لمدينة الجزائر³ ومستغانم⁴ عام 1511م، ودلّس⁵ وهنين⁶ عام 1531م وصارت تلمسان محاصرة كلياً يحيط بها الخطر من كلّ مكان⁷.

وفي هذا الوقت كانت الدولة الزيانية قد وصلت إلى أقصى درجات الضعف، اقتصادياً وسياسياً، وعمّ الوهن جميع أركان الدولة، فقد كان هناك صراع كبير بين الأمراء الزيانيين على العرش، وعمّت الخيانة البلاط الزياني، بل ولجأ بعضهم للاستعانة بالاسبان ليعتلي العرش، وكانت تلك فرصة لاسبان لزيادة الأمور تصعيداً وتعقيداً خدمة لمصالحهم التوسعية⁸.

لم يأبه أولئك الأمراء الضعفاء لما يحيط بهم وبملكهم من أخطار حقيقية، بل أعماهم التنافس حول الملك عن حقيقة ضياع ملكهم فعلياً. وقد حاول الأهالي الوقوف في وجه

1- انظر: يحي بوعزيز- تلمسان- منشورات وزارة الثقافة والسياحة- الجزائر- د. ط- ص 79.

2- وهران: مدينة على مقربة من ضفة البحر وعليها سور متقن ترابي- انظر: الإدريسي- القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس- تحقيق: هنري بريس- الجزائر- 1951- ص 158.

3- الجزائر: من أشير إلى الجزائر بني مزغنا وبين مدينة شرشال والجزائر سبعون ميلاً والجزائر مدينة جلييلة قديمة البناء في آثار الأول- انظر: محمد بن عبد المنعم الحميري- الروض المعطار في خبر الأقطار- ص 163.

4- مستغانم: مدينة تقع على شاطئ البحر على بعد 90 كم شرق وهران- انظر: الإدريسي- المصدر نفسه- ص 171- 172.

5- دلّس: مدينة كبيرة بحرية بين الجزائر وبجاية وبينهما مرسى الدحاح أربعة وعشرون ميلاً، لها سور حصين وآثار ومنتزهات- انظر: محمد بن عبد المنعم الحميدي- المصدر نفسه- ص 132.

6- هنين: مدينة حسنة في نحر البحر وهي عامرة كثيرة الزروع، انظر: الإدريسي- المصدر نفسه- ص 254.

7- انظر: يحي بوعزيز- تلمسان- ص 80-81.

8- انظر: المرجع نفسه- ص 81 وما بعدها.

أمرائهم المتخاذلين بل والخائنين، فاستغنوا بالأترك للسيطرة على الأوضاع، حاول الأتراك مراقبة الأحداث عن كثب والتدخل لإنهاء النزاعات، لكن مع تكرار المعارك والفتن بين الإخوة قام الأتراك بعزل آخر الأمراء الزيانيين وألحقوا تلمسان بالجزائر¹.

ولم يكن الاسبان الوحيدين الذين هددوا بقاء الدولة الزيانية، فبعد ظهور الدولة السعدية² بالمغرب الأقصى، زادت الأخطار المحيطة بها، لمحاولة هذه الأخيرة التدخل في الشؤون التلمسانية بغية احتلالها، لكن الأتراك كانوا لها بالمرصاد³.

لقد سعى الأتراك لتوحيد المغرب الأوسط تحت سلطة مركزية واحدة حتى يتمكنوا من مواجهة الخطر المسيحي، وهكذا تمّ «على أيديهم القضاء على الدولة التي أسسها يغمراسن بن زياد بتلمسان قبل ثلاثة قرون، وكان ذلك في أواسط القرن التاسع الهجري»⁴.

وما نخلص إليه بعد هذه الجولة إلى أعماق الدولة الزيانية من التأسيس إلى غاية الاندثار، أنّها كانت دولة قوية بالرغم من العوائق المتعددة التي وقفت دون استمرارها عقوداً أخرى، وقد تمتعت بموقع جغرافي مهم جلب لها متاعب من كل جهة، وكان لتوسطها بين الحفصيين والمرينيين الدور الأعظم في سقوطها.

أما من الناحية الاقتصادية فقد عرفت هذه الدولة الصغيرة نهضة اقتصادية كبيرة، فقد ازدهرت زراعتها وصناعاتها ازدهارا كبيرا، ناهيك عن ثراء النشاط التجاري الواسع الذي تعزز بالعلاقات التجارية والاقتصادية التي كانت تربطها بعديد الدول والموانئ.

وبالرغم من قلة الاستقرار وكثرة الأعداء والتهديدات إلا أنّ حكام بني زيان استطاعوا من خلال علو همتهم في مجال العلاقات السياسية داخليا وخارجيا أن يضمنوا استقرار

1-انظر: يحي بوعزيز- المرجع السابق- ص81 وما بعدها.

2-الدولة السعدية: تأسست على يد الشريف أبو عبد الله محمد في المغرب الأقصى بعد سقوط الدولة الوطاسية. انظر: علي محمد الصلابي- صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي-ج2- ص527- 528.

3-انظر: يحي بوعزيز- المرجع نفسه- ص86.

4-انظر: محمود بوعيدا جوانب من الحياة في المغرب الأوسط- ص22.

داخليا مهما، سمح لهذه الدولة بالبروز كدولة مهمة في محيطها، وسمح لتلمسان من البروز كأهم عواصم العلم والثقافة في العالم الإسلامي.

يقول ابن خلدون عن عموم أعمال آل زيان في تلمسان «نزلها آل زيان واتخذوها دار ملكهم وكرسيا لسلطانهم، فاختطوا بها القصور المنمقة والمنازل الحافلة واغترسوا الرياض والبساتين وأجروا خلالها المياه، فأصبحت أعظم أمصار المغرب، واشتهر فيها الأعلام وضاهت أمصار الدول الإسلامية والقواعد الخلفية»¹.

وها هو التنسي يصف لنا وصول الحكم لأبي حمّو والأعمال التي قام بها في مملكته، «ولمّا استقر المولى أبو حمّو من هالة من نصابها، وانتزع دولته من يد غصابها، ساس أهل مملكته بالسيرة الحسنى وغمر الرعية قسطاس عدله الأسنى، وقسم أوقاته بين حكم يقضيه وحق يمضيه، وعقاب يرضيه وسيف لحماية الدين ينضيه، وجفن عن عوراء الأمة يغضيه وسبيل إلى ارضاء الله تعالى ورسوله يفضيه»².

يؤكد التنسي في هذا المقام على محاولات الملك الحثيثة للقيام بكل أعباء الملك من أمن داخلي وعدل بين الرعية، والحرص على حماية حدود المملكة من الأخطار المحيطة بها، والعمل على أداء ما يرضي الله وذلك بالاهتمام بشؤون الدنيا والآخرة.

أما يحيى بن خلدون فقد أبهره ما رآه في هذه المملكة أيام أبي حمّو، أول قدومه إليها حيث يقول: «مضيت مجتازا بطول بلاده أول قدماتي عليه فرأيت أمر الله من وطن أفيح، وقطر مزمل في بجاد أسيح ومساكن مكتبة الأسفار، وسبل آمنة ذم العافية، بها من الأخفار وعدل مرسل الأعنة وأحكام ماضية الأسنة، ومصر ما شككت يوم دخولي بالجنة، ما شئت من جنّات وعيون ونعيم عطاؤه فيه غير ممنون وحدائق غلب وفاكهة وأب وأنهار تجري يذوب اللّجين غير الأسن، ومتعددة من الجمالات والمحاسن، ثم قصور زاهرات، وأنوار من الدين والدنيا باهرات وآيات من السياسات والحكم ظاهرات»³.

وشهادة ابن خلدون لأكثر دليل على ما عرفته تلمسان من تطور حضاري في ظلّ حكم أبي حمّو الذي تعلق قلبه بتلمسان، لدرجة عجزه عن مفارقتها، خاصة حين ينتزعها بنو مرين

1- ابن خلدون - التاريخ - ج7 - دار الكتاب - مصر - لبنان - د. ت - ص116.

2- التنسي - تاريخ بني زيان - ص160.

3- يحيى بن خلدون - بغية الرواد - ج2 - ص123.

منه عنوة واغتصابا، بل ويتمنى البقاء في مدينته على أيّ صفة كانت، أو ليس هو القائل: «لولا الشناعة لم أزل في بلادي تاجرا من غير تجار الصحراء الذين يذهبون بخبيث السلع ويأتون بالتبر الذي كلّ أمر الدنيا له تبع»¹

لم يقتصر اهتمام أبي حمّو بتلمسان على وجه واحد، أو على مجال دون آخر، بل حاول هذا الملك أن يجعل من عاصمته مفخرة في جميع الجوانب، وكان أولها الاهتمام بالبناء والتشييد على خطى الملوك الزيانيين الذين سبقوه وزاد على ذلك بالكثير من الاهتمام والحرص، ولقد عرف العمران في عصره تطورا كبيرا سواء ما شيّده من قصور ومنتزهات تخص الأمراء والملك أو ما شيّد من قبل الرعية لأنفسهم من منازل فائقة الجمال، أو ما عملت دولته على تشييده خدمة للمواطنين من مرافق عامة مختلفة، فقد كان أبو حمّو من بين الملوك الذين اهتموا «بتشييد القصور والمعالم وإنشاء البنايات والمجامع والمدارس والأسوار، واحداث المدن والقرى، وأعظم قصر بتلمسان قصر المشور وهو بلاط الملوك من بني زيان كان أجمل القصور الإسلامية وأروعها.... وقد اعتنى الملوك بتوسيعه وتنميته»².

لقد عرف التقدم العمراني في عهد الزيانيين عامة وخاصة في عصر أبي حمّو تقدما منقطع النظير لم تعرفه تلمسان من قبل أو من بعد «وكانت المعالم الزيانية ذات صبغة محلية في معمارها ولو كانت مقتبسة من المعمار الأندلسي»³.

كما عمل ملوك آل زيان وعلى رأسهم أبو حمّو على إنشاء المنتزهات الساحرة والبساتين الغناء من بينها: البركة العظيمة التي كانت على مقربة من تلمسان في وسط بستان فتان وهو يعدّ من أروع منتزهات تلمسان، بالإضافة إلى الملعب الكبير الذي شيّد من أجل سباقات الخيول في المناسبات العامة، أضف إلى ذلك البساتين الخلابة التي كانت تحف ضفتي وادي(صفيق)، ومنتزه(كدية العشاق) و(غدير الجورة) و(ساقية الرومي) «⁴.

1- ابن الخطيب- الإحاطة في أخبار غرناطة-تحقيق محمد عبد الله- المجلد ②- ط1- الشركة المصرية للطباعة والنشر والناشر مكتبة الخانجي - القاهرة- 1974- ص193.

2-مفدي زكريا- النشاط العقلي والتقدم الحضاري بالجزائر في عهد الزيانيين- مجلة الأصالة- العدد 26- ص163.

3- المرجع نفسه- ص156.

4- المرجع نفسه- ص164- 165.

واتخذ أمراء بني زيان المشور مقرا رسميا لإقامتهم، ففيه مساكنهم ومسجدهم، ومستودعاتهم وفي بيوته يقيم الحشم وينزل الأمراء الأجانب وبين أرجائه تنظم حفلات الاستقبال الكبرى¹ وفي ظل سياسة أبي حمّو الحكيمة، كثر عمران تلمسان وارتقى، من المساجد الكبيرة، والحمامات والمارستانات، وبيوت الرعية المنمقة، ومن المدارس الأنيقة على غرار المدرسة التي أمر أبو حمّو ببنائها لقراءة القرآن والعلوم، بمحاذاة قبر والده أبي يعقوب، وقد سماها اليعقوبية تيمنا بأبيه².

وبالإضافة إلى اليعقوبية ضمت جنبات تلمسان أربع مدارس أخرى شيّدت في عصور مختلفة، أما المساجد فهي عديدة وما يهمنها منها مسجد ابتناه «أبو حمّو الثاني لإبني الإمام ويسمى الآن باسمهما»³، كما احتوت على العديد من الفنادق، منها اثنان يستقبلان تجار جنوة⁴ والبندقية، ناهيك عن بيوت صيفية ابتناها الأهالي خارج المدينة «وهي ذات بناء جميل ومحاطة ببساتين تحتوي على فواكه غزيرة»⁵.

ولعل ذلك الرقي العمراني الذي شهدته تلمسان في عهد أبي حمّو، مردّه تشبع هذا الأخير بالحس الفني، فلا ننسى أنّه عاش فترة من الزمن في الأندلس مسقط رأسه، وعلى قلة مكوثه هناك، إلّا أنّ ذوقه قد ارتقى بسبب ما كان يحيط به من ألوان الجمال، وهذا ما حفزه ليجعل من تلمسان جوهرة نادرة، تحاكي في حسنها «إشبيلية وغرناطة في روائعها الفنية وطبيعتها الفتانة»⁶. إنّ تطور العمران لكثرة السكان وتزايد حاجاتهم، كانت أحد عوامل ازدهار الصناعة وقد كان الاهتمام بالنشاط الفلاحي وجلب أصحاب الحرف أحد أولويات أبي حمّو، الذي شجّع الصناعيين على العمل والإبداع، بل والاختراع أيضا، وشهدت الصناعة في عصره رقيا لا

1- شارل أندري جوليان - تاريخ إفريقيا الشمالية - ص 209.

2- انظر: محمود بوعباد-زهر البستان في دولة بني زيان- مخطوطات لم تكتشف- مجلة الثقافة- العدد 13- فيفري- مارس- 1973 - ص 61- من ص 84 لزهرة البستان.

3- محمد طمار - الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج- الشركة الوطنية- للنشر والتوزيع- الجزائر- 1983- ص 243.

4- جنوة: مدينة في بلاد الروم على ساحل بحر الشام، وهي قديمة البناء وأهلها تجار مياسير يسافرون بحرا وبرا. انظر: محمد بن عبد المنعم الحميدي- الروض المعطار في خبر الأقطار- ص 173.

5- ابراهيم حركات- الصلات الفكرية بين تلمسان والمغرب- مجلة الأصالة- العدد 26- ص 188- 189.

6- محمد طمار - المرجع نفسه- ص 239.

نظير له، إذ كثرت معامل الصوف والخزف والأحصرة، وصناعة السلاح في القرى والمداشر وفي أرجاء العاصمة.

لقد كانت تلمسان تعجّ بالعمال على اختلاف حرفهم وجنسياتهم ولغاتهم وأديانهم كلّ ما كان يجمع بينهم العمل والسعي وراء لقمة العيش، وهم يمثلون كلّ أنواع المهن «فمن دراق ورماح ودرّاع ولجام ووشاء وسراج وخباء ونجار وحداد وصائغ»¹.

و قد كانت تعرض اعمالهم على الخليفة ليعانها في مختلف أسواق العاصمة، وتأخذ عينات منها ويقف على روعة ما يصنع وينتج في دار حضرته السعيدة.

وقد كثرت الأسواق في تلمسان، فاختصت كل حرفة بسوق معين، كما اشتهرت تلمسان بجودة منسوجاتها، «فعرف قماش بالتلمساني»²، وفي ظل الرقي الاقتصادي آنذاك وجودة الصناعات، عرف الأهالي سعة العيش والرفاهية، فلبسوا أفخر الثياب، وامتلكوا الأدوات الثمينة المحلات بالذهب وهذا ما استنكره أحد علماء تلمسان، وهو دليل قاطع على تطور الصناعة، حيث نفر مما «تواطأ الناس عليه اليوم وأعلن بالنداء عليه في الأسواق وبمحضر الخواص والكافة من بيع الركب واللجم وقوائم السيوف ونحو ذلك مما هو محلّى بأنواع الذهب والفضة»³. ولم يقتصر إهتمام أبي حمّو على الصناعة فقط، فهي على علاقة وثيقة بالتجارة وكلّ واحدة منها مكملة للأخرى، فقد كان «حارصا كل الحرص على أن تكون البلاد مزدهرة فلا بد لذلك من أن تأمن البوادي فينطلق الفلاحون إلى أعمالهم وتأمين السبل فيمارس التجار تجارتهم في إطمئنان، يقصدون أسواق القرى والأمصار»⁴.

نال تجار تلمسان شهرة واسعة لما تميّزوا به من العفة والنشاط⁵، وهذا التطور لم يكن على مستوى التجارة الداخلية فقط، بل تعداه إلى التبادل التجاري الخارجي، حيث كان التجار

1- يحيى بن خلدون - بغية الرواد - ج2 - ص161.

2- مبارك الميلي - تاريخ الجزائر في القديم والحديث - ص484.

3- تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر. محمد بن أحمد بن قاسم سعيد العقباني. تحقيق: علي شوقي - دمشق - 1967 - ص139 - 140.

4- محمد طمار - تلمسان عبر العصور - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - د. ت - ص204.

5- مبارك الميلي - تاريخ الجزائر في القديم والحديث - ص484.

التلمسانيون يرسلون سلعهم من تلمسان إلى المناطق الصحراوية عبر طريق سجلماسة. فتلتقي قوافلهم بقوافل المغرب الأقصى ويتجهون جميعا صوب تنبكتو وغانة¹، وهناك قوافل أخرى تلمسانية تخرج من سجلماسة دائما متجهة إلى مريطانية والسنغال ومالي، «ولم تقتصر حركة تجار تلمسان على جهات الصحراء، فوجههم كان موالية أيضا شطر الأسواق الأوروبية، لم تزل وقتئذ هنين وارشغول² ووهران³، تتشكل أهم موانئ المغرب الأوسط، فالسفن المشحنة بالسلع الوطنية والمستوردة من الأقطار الأخرى، تخرج قاصدة الأندلس ومرسيلية وبيزا وجنوة، ثم ترجع إليها مشحونة بسلع تلك البلاد إلى تلمسان»⁴.

واهتم الملك الزياني بتطوير نظام الحسبة⁵، حتى يتمكن المحتسب من مراقبة التجاوزات والمنكرات والتصدي لها، ويدفع بالأهالي لاحترام تعاليم الدين الإسلامي ومصالح المجتمع «ويمنعهم من الغش والتدليس، ويحكم بهدم المباني المتداعية، ويعينه على القيام بمهمته أماناء يحلون ما شكل من القضايا من الباعة والزبناء»⁶ وكلّ هذا الحرص على تنظيم أحوال والبلاد مردّه الحفاظ على جمال تلمسان ونظافتها والمحافظة على السلم والأمن الداخلي لعاصمة المملكة. وكانت الدورات التفتيشية التي يقوم بها المحتسب لا تستثني أحدا، فكل حرفة و منهج لا بد أن، يحترم، والكلّ مجبر على الانصياع، وإلاّ عرض نفسه للعقاب، كما كانت تراقب نظافة الطرق، فيزال كلّ ما يضرّ الناس، ويفسد جمال المدينة مثل المزابل والمزاريب وغيرها،

1-غانة: مدينة من بلاد السودان بينها وبين سجلماسة مسيرة شهرين- انظر: محمد بن عبد المنعم الحميدي- الروض المعطار في خبر الأقطار- ص125.

2-ارشغول: مدينة في ساحل تلمسان من أرض المغرب بينهما فحص طوله خمسة وعشرون ميلا وهي على نهر تافنا تدخل فيه السفن اللطاف من البحر. انظر: محمد بن عبد المنعم الحميري- الروض المصدر نفسه- ص26-27.

3-وهران: بالمغرب على ساحل البحر، و قيل أنها أسست في سنة تسعين ومائتين وبنها جماعة من الأندلسيين البحريين بسبب المرسى- انظر: محمد بن عبد المنعم الحميدي- المصدر نفسه- ص612.

4-محمد طمار- تلمسان عبر العصور- ص205.

5-تطلق على حسابات الدولة وعلى دار الحسبة والمواريث وعلى ديوان مراقبة المكاييل والموازين- انظر: موسى لقبال- الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي- الشركة الوطنية- للنشر والتوزيع- الجزائر- ط1- 1971- ص20.

6-محمد طمار- تلمسان عبر العصور- ص206.

بالإضافة إلى مراقبة التجار باستمرار للقضاء على مظاهر التحايل على حقوق الناس، ويراقب المقاييس بأنواعها، وسلامة البضائع المعروضة، ويكافح الغلاء يفرض تسعير مناسب¹

والملاحظ مما سبق، النظام المحكم الذي فرضته الحكومة الزيانية للمحافظة على الانضباط داخل تلمسان وبقية الحواضر، لتسهيل حياة الأهالي وقطع الطريق على أعداء الدولة، الذين يستغلون أي خلل داخل المجتمع الزياني، لضرب استقرار وأمن البلاد، فمن المعروف أنّ استقرار الدول هو رهن باستقرار المجتمع وراحة المواطن.

ومن المظاهر التي ارتبطت بأبي حمّو في تلمسان، ما كان يقوم به بين الحين والآخر من استعراضات عسكرية، كانت تقام بالقرب من العاصمة لترهب أعداء الدولة وأكبر دليل على حنكته السياسية، وهذا يحي ابن خلدون الذي كان يحضر مثل تلك المراسيم يحدثنا عن ذلك فيقول: «صدرت الأوامر العلية للقبيل الأعزّ وكافة القواد المذكورين، بحشد العساكر إلى الحضرة الكريمة لتعرض بين يدي خليفة الله.... اجتمعت المحلات كافة بالبسيط الأفيح من ظاهر الحضرة، فجلس أمير المسلمين....لعرض جيوشه المظفرة في خباء مطل من أعلى هضبة على بسيط... به الكتائب لا يحوبها العدد ولا تحيط بأقطارها الأبصار.... قد أخذوا زينتهم»².

لقد تعددت المظاهر الاحتفالية في دار الحضرة الزيانية في عصر أبي حمّو، وعلى رأسها، ما كان يقام في كلّ سنة ليلة المولد النبوي الشريف، والتي سنسهب في التحدث عنها بالتفصيل في حينها، فالى جانب ذلك الاحتفال الكبير، كان الملك الزياني لا يفوت فرصة لإدخال البهجة والسرور على قلوب الرعية، ومنه، المهرجان العظيم الذي كان يقوم به إذا حفظ بعض ولده سورا من القرآن الكريم، خاصة طوال السور كالبقرة، حيث يزين قصر المشور الملكي ويهيأ لاستقبال الأشراف والعامّة من الناس على حدّ السواء، ويجتمع فيه العرب والأعاجم من مواطني تلمسان ويستدعي المغنون على اختلاف أصنافهم وأطوارهم، وهذا ما

¹-انظر: موسى لقبال- الحسبة المذهبية- ص70.

²-يحي بن خلدون- بغية الرواد-ج²-ص276.

حدثنا عنه كاتب الدولة يحيى بن خلدون، حيث حذق ابن الملك المدعو أبو زيان لسورة البقرة، فيقول: «فأقام نصره الله لسروره مدعى كريما وعرسا حافلا جمعت فيه الأشراف والمشروف والرفيع والوضيع، ونودي أرباب... العزف والطبرخانات... وغيرهم بالمدينة حاشرين فاجتمعوا بمشوار داره الكريمة يروقون الأبصار ويبهجون الأسماع واستتاب أيده الله للحضور ولده... أبا تاشفين... وجيء بخوانات الطعام العديدة، من كلّ ما حلا في الفم وحلا في العين فاكل النَّاس وحمدوا الله تعالى»¹.

وهكذا هو الحال تمضي الأيام في العاصمة تلمسن كلّها فرح وسرور وأمن وأمان في ظلّ الملك العادل أبي حمّو موسى الثاني، فكل الاهتمام وكلّ الحرص موجه إلى مملوكيه، يخصص وقتا محددا لهم يوميا ليستمع فيه إلى شكاويهم ويقف على طلباتهم، بمعية أعلام القوم ووجوه الحكومة الزيانية، «فإذا صلّى العصر واقتعد سرير الخلافة بمنشوره الأعظم فتحت الأبواب وأذن لهم فدخلوا لا يحويهم العدد والحساب فيقدمون إليه واحدا بعد واحد سواء في ذلك الشريف والمشروف والقوي والمضعوف، فينصف المظلوم ويعدي المستجير ويهدي العائل ويرحم المسكين إلى غروب الشمس سنّة متصلة غير منفصلة»².

كانت كلّ ملامح الحضارة مجتمعة في تلمسان من عمران وصناعة وتجارة وعلم وأدب، وازدهر اقتصادها ازدهارا متقطع النظير، وامتألت خزينة الدولة بالأموال الطائلة التي كانت تتفق في جميع المجالات، وما المساعدات التي كان الأندلسيون يحصلون عليها باستمرار إلاّ أكبر برهان على ذلك، فهي «تدل على أنّ البلاد كانت تتمتع باقتصاد وافر وعدل وأمن شامل في ظلّ هذا الملك الذي عرف كيف يفرض نفسه وسياسته الحكيمة في الداخل والخارج»³. بالرغم من تعجب المؤرخين من ازدهار تلمسان وقيام المملكة الزيانية وهي محاطة بالأطماع شرقا وغربا وشمالا⁴. والذي يفسر تلك المعجزة الاقتصادية للمدينة حضارتها العريقة التي امتدت

1- يحيى بن خلدون - بغية الرواد - ج2 - ص310.

2- المصدر نفسه ج2 - ص11 - 12.

3- محمد طمار - تلمسان عبر العصور - ص176.

4- انظر: عبد الله الشريط - محمد الميلي - الجزائر في مرآة التاريخ - مكتبة البعث قسنطينة - ط1 - 1965 - ص106.

عبر عصور طويلة، لأنّ «كثيرا من الحواضر الإسلامية ساهمت في نشر الحضارة الإسلامية، ولكن قليل منها كان عملها متواصلا مثل تلمسان، فهو حصيلة ثلاثة عشر قرنا كاملة»¹. وهكذا كان حبّ أبي حمّو لتلمسان عظيما عظمة هذه المدينة العريقة، وهي بدورها بادلتها حبّا يحبّ وسجلت اسمه إلى جانب اسمها على صفحات التاريخ فمن بين كلّ الملوك الذين جلسوا على سرير حكمها، كان هو الأوفر حظا في التخليد وتدوين أيامه، لكنّ الدول لا تزول بزوال الرجال، إذ رحل أبو حمّو وبقيت تلمسان دائما وأبدا جوهرة الغرب الإسلامي.

¹- سليمان داود بن يوسف- حلقات من تاريخ المغرب الإسلامي- ص106.

2- أبو حمّو والحياة الثقافية بتلمسان:

لقد عرف العالم عبر تاريخه المديد، مراكز ثقافية هامة، أسهمت في تطوّر البشرية جيلا بعد جيل، ومن تلك المراكز التي أثبت التاريخ الدور الهام الذي لعبته في نشر العلم والمعرفة، وعُرفت باحتضانها لأهم العلماء والمفكرين، تلمسان وجامعتها التي «طبقت شهرتها الآفاق، تلمسان الجزائرية، التي كان يشع من جامعتها نور المعرفة، والثقافة إبان القرنين الرابع عشر والخامس عشر ميلادي، حين كانت أوروبا تتخبط في الظلام والجهل والهمجية»¹.

زاحمت تلمسان في عصرها الذهبي أكبر حواضر العلم الإسلامية من أمثال: القاهرة وبغداد وقرطبة، بما اجتمع فيها من علماء في شتى الفروع الدينية والعلمية والأدبية نبغ فيها الأساتذة الأعلام وذاع صيتهم، حتى أنّ طلاب العلم آنذاك كانوا يتزاحمون للحصول على مكانة في حلقات العلم خاصتهم، وقد «علا أمر تلمسان في عهد بني زيان وتألّق نجمها خاصة في عهد أبي حمّو الثاني، فأصبحت في أيّامه هو وخلفاؤه حاضرة من أعظم وأهم عواصم العلم والسياسة في العالم الإسلامي قاطبة»².

ولعلّ أهم أسباب التطور الثقافي الذي حصل في تلمسان مرده إلى تنافس الحفصيين والزّيانيين و المرينيين في الاعتناء والاهتمام بالعلماء والأدباء وتقريبهم إلى مجالسهم، وإقامة المناظرات العلمية لهم، فقد «ابتنى سلاطين هذه الدول المدارس ووقفوا عليها الأوقاف وجعلوا من مجالسهم حقا للمناظرة بين أيديهم واتخذوا الأطباء والمفاتي والشعراء، فنهضوا بجميع فنون العلم وظهرت المؤلفات في مختلف المواضيع»³.

اعتنى الأمراء المغاربة، وخاصة الزّيانيون منهم بالمعاهد العلمية عناية بالغة إذ صرفوا المنح للأساتذة والطلبة على السواء، ولم ينسوا حظّ الموظفين بالمعاهد وأجروا الأرزاق الكثيرة

¹- سعد زغلول فؤاد- عشت مع ثوار الجزائر- دار العلم للملايين، بيروت- 1961- ص35.

²- محمد بن تاويت ومحمد الصادق عفيفي- الأدب المغربي- مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للنشر والتوزيع- طر- بيروت- 1969- ص79.

³-مبارك الملي- تاريخ الجزائر في القديم والحديث- ص491.

لهذه الأخيرة حتى تتمكن من لعب الدور المنوط بها؛ «ولم يتغيّر الوضع في عهد أبي حمّو الثاني، بل كان اعتناؤه بالعلم وأهله أشدّ وأقوى من ذي قبل»¹.

كان عصر أبي حمّو عصر رخاء علمي وأدبي، فقد كان بلاطه زاخرا بالأدباء والعلماء، «لما امتاز به من إمام بالعلوم واستعداد للمساهمة في النشاط الأدبي ونظم الشعر، فخص العلماء والطلبة بعطفه وتشجيعه، ونال الكتاب والشعراء من عطائه وكرمه»².

أحبّ أبو حمّو العلم ورجالاته، ومن أهم من نال تلك المحبة الغامرة والتعظيم والتبجيل "عبد الله الشريف"³ العالم الجليل، وقد كان هذا الأخير أحد أفذاذ عصره دينا وعلما وعقلا، علا شأنه بين العامة والخاصة، لذلك كان أبو حمّو يرجع إليه دائما مستشيرا في الأمور الهامة، ويتبرك به لعلو كعبه في علوم الدين. ولما توفي والده "أبو يعقوب"⁴ ابنتى للعلامة "عبد الله الشريف" مدرسة بقرب ضريح أبيه وعميه السلطانيين أبي سعيد وأبي ثابت⁵، سماها باليعقوبية، ويقول المؤرخ يحيى بن خلدون في البغية عن هذا الحدث «صرف أمير المسلمين أيده الله وجهه العناية والاهتمام إلى المدرسة الموضوعة على ضريح والده المولى المقدس أبي يعقوب... فولى شطرها بصر الاختبار ومدّ إليها يد الإنفاق، فضاغف بها الفعلة وأحمد المغارس وأسمد المصانع وأرحب الأبنية... واستجلب المياه، وأجزل الأوقاف وعيّن الجرايات ورسم فيها الخطط،

¹- محمد بن تاويت ومحمد الصادق عفيفي- الأدب المغربي- مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للنشر والتوزيع- طر- بيروت- 1969- ص79.

²- محمد بن تاويت ومحمد الصادق عفيفي- الأدب المغربي- مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للنشر والتوزيع- طر- بيروت- 1969- ص79.

³- عبد الله الشريف: (747هـ-811هـ) الموافق (1347م-1390م) ولد بتلمسان- يعد من أكابر علماء بلده، له مشاركة في جميع العلوم تفوق في العربية وغريبها وتضلّع في المذهب المالكي والمذاهب الأخرى. انظر: الحفناوي- تعريف الخلف برجال السلف- ج2- أنيس- سلسلة العلوم الإنسانية-1991- ص348.

⁴- أبو يعقوب: كان أكبر إخوته ولد سنة (689هـ) لم ينزع أخويه الحكم بل فضل العيش في ندرومة الواقعة شمال غربي تلمسان حتى انتهت إمارة أخويه فرحل إلى فاس إلى أن قامت دولة ابنه أبي حمّو الثاني- انظر: عبد الحميد حاجيات- أبو حمّو موسى الزياتي حياته وأثاره- ص70- 71.

⁵- أبو سعيد وأبو ثابت- انضم الأميران إلى جيوش أبي الحسن المريني وخاضا مع أمراء زياتيين آخرين معارك تحت لوائه وكان هذا الأخير يجد منافسة شديدة من ابنه أبي عنان، وفي ظلّ هذه الظروف تفتن الأميران، فانسحبا رفقة بني عبد الواد وفرسانهم وتمكنا من استرجاع الملك في 22 جمادى الآخرة (749هـ)- انظر: العلم للملايين، بيروت عبد الحميد حاجيات- المرجع نفسه- 1961- ص25.

واصطفى لتدريس العلم بها الفقيه الأعراف... أبا عبد الله محمد بن أحمد الشريف الحسنى فتم ذلك حسب الاقتراح وعلى أفضل الأمانى وفى خامس شهر صفر كان ابتداء الإقراء فيها وحضر هو أيّده الله لذلك، فكان يوماً مشهوداً¹.

ولما توفي ذلك العالم الجليل "عبد الله الشريف"، حزن أبو حمّو على هذه الخسارة الكبيرة وحضر جنازته مودعاً له، وتأسف على فقده أكثر من سواه، وبعد مراسيم الدفن بعث إلى ولده عبد الله، وأحسن إليه، ثم قال له «ما مات من خلفك وإنما مات أبوك لي لأنى أباهى به الملوك، وولاه مدرسة والده ورتب له جميع مرتباته»². كذلك أحسن الملك الزياني للعالمين الملقبين بابنى الإمام³، لما حلا بتلمسان واتصلا به، إذ اصطفاهما من خواصه وقربهما إليه، ثم أسس لهما مدرسة لكي يدرسا بها، إضافة إلى دارين للسكنى، وقد جعل منهما مفتيين للمملكة⁴، وكان يزيّن بهما مجلسه وجعلهما على رأس أعيان بلاطه الذي كان يزخر بأجل العلماء وأعظم الأدباء.

فملوك آل زيان عموماً وعلى رأسهم أبو حمّو، شجعوا أصحاب العلوم والمواهب على الإنتاج والإبداع ورحبوا بالوافدين عليهم من المبدعين وأكرموا مقامهم على غرار ما كان يفعله جيرانهم فى الممالك الأخرى، إذ كان التنافس شديداً بينهم فى هذا المجال «هذه المنافسة جعلت ملوك تلمسان وتونس وبجاية وفاس وكذلك بنو الأحمر ملوك غرناطة من بلاد الأندلس يرحبون برجال العلم والأدب والفن فى عواصمهم وينزلونهم المنزلة اللاتقة بأمثالهم ويبدلون لهم الهبات والعطايا ويرفعون من شأنهم»⁵.

¹- يحيى بن خلدون - بغية الرواد - ج2 - ص126.

²- محمد طمار - تاريخ الأدب الجزائرى - ص117.

³- أبنا الإمام - هما أبو زيد عبد الرحمن وأبو موسى عيسى، نشأ بمدينة برشك حيث كان والدهما محمد بن عبد الله التلمسانى، إماماً بأحد المساجد، لم يكن فى عهدهما أعلم منهما انظر: محمد طمار - المرجع نفسه - ص109-110.

⁴- أنظر: محمد طمار - المرجع نفسه - ص110.

⁵- الحاج بن رمضان شاوش - باقة السودان بالتعريف بحاضرة تلمسان - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - 1986 - ص396.

ومن أمثلة ذلك التشجيع الجارية السنوية التي نالها مخترع ساعة المنجانة العجيبة، ابن الفحّام¹، والتي كانت تقدر بألف دينار، قدمها له أبو حمّو جزاء على اختراعه البديع². ولم يقتصر اهتمام الملك الزيّاني بالعلماء الثلاثة المذكورين، بل شملت عنايته كلّ العلماء التلمسانيين أو الوافدين وفي مختلف العلوم من طب وبتتجيم وعلوم دينية واجتماعية وعلوم اللّغة والأدب، وقد أدى هذا الاهتمام إلى ظهور شخصيات تلمسانية فذّة «لمعت في سماء المغرب العربي مثل: الشريف³ التلمساني وولده عبد الله، وسعيد العقباني⁴، وابنه القاسم⁵ وابن مرزوق الخطيب⁶ وابن مرزوق الحفيد⁷...»⁸ وقد وفد على هؤلاء العلماء الأجلاء طلبة العلم من كلّ أنحاء العالم العربي و الإسلامي.

¹- ابن الفحّام: تلميذ أبي عبد الله بن النجار، واشتهر بصنع المنجانة التي ازدان بها قصر أبي حمّو الثاني،

²- انظر: الحاج بن رمضان شاوش- المرجع نفسه- ص396.

³- الشريف التلمساني: يعرف بالعلوي نسبة إلى قرية من أعمال تلمسان ولد بها سنة (710هـ) تعلم على يدي الإمام والآبلي، ارتحل في أرجاء المغرب العربي طلبا للعلم، وكان علماء الأندلس أعرف الناس بقدره توفي (771هـ)، انظر: محمد الطمار- تاريخ الأدب الجزائري- ص114 وما بعدها.

⁴- سعيد العقباني: فقيه مذهب مالك، صدارته في العلم مشهورة ولي قضاء الجماعة ببجاية أيام السلطان أبي عنان، ولد عام (720هـ) بتلمسان وتوفي. انظر: ابن مريم البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان- ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر- 1986- ص-106-107.

⁵- القاسم العقباني: كان عالما مغلقا حتى وصل درجة الاجتهاد وله اختيارات خارجة عن المذهب نازعه في كثير منها الإمام مرزوق الحفيد، توفي في ذي القعدة عام (720هـ) وله اختيارات، صدارته في العلم مشهورة ولي قضاء الجماعة ببجاية أيام السلطان أبي عنان، ولد عام (854هـ) وحضر جنازته السلطان ودفن بالقرب من الشيخ ابن مرزوق، رحل إلى الحج سنة (830هـ) ولقى علماء في طريقه وأجازوه- انظر: ابن مريم- المرجع نفسه- ص-147-148.

⁶- ابن مرزوق الخطيب: عالم جليل، زعيم العلماء خاصة في علم الحديث أخذ العلم عن جماعة منهم السيد خاله أخو أمه محمد بن مرزوق الكفيف والشيخ العلامة محمد بن العباس وغيرهما وكان حيا سنة (918هـ)، دخل فاس وأجاز عبد الوهاب الزقاق، انظر: ابن مريم- المصدر نفسه- ص258.

⁷- ابن مرزوق الحفيد: كان آية في تحقيق العلوم والإطلاع المفرط على المنقول وهو إمام مذهب مالك، توفي يوم الخميس عصر رابع عشر شعبان (842هـ)، انظر: ابن مريم- المرجع نفسه- ص201 وما بعدها.

⁸- محمد طمار- تلمسان عبر العصور- ص206.

وكان من بين أولئك العلماء من نال شهرة واسعة جدا، بل تمكن بعضهم من الوصول إلى مناصب عليا في حكومات أوطان أخرى، ومنهم على وجه الخصوص من أخذ على كاهله مسؤولية نشر الإسلام في ربوع إفريقيا السوداء¹.

ولأنه أديب محبّ للأدب، كان أبو حمّو معتادا على إقامة مجالس خاصة يحضرها كبار العلماء وفحول الشعراء، يتم فيها مناقشة قضايا مختلفة، وكلّما عرضت مسألة، عمل أبو حمّو على ابداء رأيه فيها موافقا أو ناقدا نقدا بناء²، وما كان لأبي حمّو أن يقوم بذلك لو لم يكن صاحب ثقافة واسعة تشمل علوما شتى، حتّى يتمكن من مجارة العلماء والأدباء.

حفظت لنا كتب التاريخ التي تؤرخ للدولة الزيانية عموما وخصوصا عصر أبي حمّو منها، أخبار المهرجانات الشعرية التي كان ينظمها هذا الأخير كلّ سنة إختفاء بذكرى المولد النبوي المبارك، وما إشتملت عليه تلك الإحتفالية من حركة فكرية وأدبية، كان ينتظرها الشعراء والأدباء كلّ عام للتنافس وإبراز المواهب.

أما طريقة التعليم آنذاك فامتازت باعتمادها على البحث والتفكير « وعدم الاكتفاء بالحفظ، فكان لذلك أثر محمود في تحفيز الأذهان وتكوين أجيال صالحة من كبار العلماء، الذين ساهموا مساهمة كبرى في تقدم الحركة العلمية الإسلامية في عصرهم في شتى المجالات³.

وكان التعليم ينقسم إلى قسمين، قسم يزاول في المساجد وهذا قسم يهتم بتحفيظ القرآن والحديث كمادة أولى أساسية، ثم يليها تعليم النحو واللّغة والفقه والأدب، أمّا المدارس فإنّها تشبه الكليات تدرس بها العلوم الإسلامية كالفقه وأصوله والحديث ومصطلحاته والقرآن وتفسيره واللّغة والنحو والأدب، كما تزيد المدارس على المساجد بتدريس العلوم الرياضية والعقلية⁴.

¹-انظر: محمود بوعياذ جوانب من الحياة في المغرب الأوسط- ص07-08.

²-محمد الشريف قاهر ابراهيم- لسان الدين بن الخطيب وتراثه الفكري في تلمسان- مجلة الأصالة- العدد 26- ص242.

³-المرجع نفسه - ص242.

⁴-انظر: مفدي زكريا- النشاط العقلي والتقدم الحضاري بالجزائر في عهد الزيانيين- مجلة الأصالة- العدد 26- ص165.

وعمل أبو حمّو على إنشاء مكتبة قيّمة تحتوي على عدد ضخم من «الكتب النفيسة التي كان يستفيد منها الطلبة بالمطالعة وقت الفراغ من الدراسة»¹ وقد فقدت محتويات تلك المكتبة في عصور لاحقة، وضاع ما كان بها من كنوز.

ومما لا شك فيه، أنّ تلمسان بلغت قمة الحضارة في كلّ المجالات، خاصة المجال الثقافي بكل فروعها في عصر الملك الأديب أبي حمّو موسى الذي أضاف على ما شيّده وقدمه أسلافه من ملوك في سبيل رفع مستوى العلم والمعرفة في حاضرة المملكة، حتى تمكنت تلمسان من المساهمة بحظ وافر في بناء صرح التمدن الإسلامي.

¹-الحاج بن رمضان شاوش- باقة السودان بالتعريف بحاضرة تلمسان- ص400.

4- أبو حمّو والنثر الفني:

ظلّ النثر في عهد الزيّانيين قليل التداول من قبل النقاد والباحثين مقارنة بالشعر الذي نال بعض الحظّ من العناية، فلم يحض النثر بما كان يجب أن يكون له أهلا من الجمع والدراسة والتحليل، ونعني هنا بالنثر الفنّي منه وهو ألوان شتّى من الفنون الأدبية، فليس «يخلو المنثور من أن يكون خطابة أو ترسلا، أو احتجاجا، أو حديثا ولكلّ واحد من هذه الوجوه موضع يستعمل فيه»¹.

والمتصفح لأدب هذه الفترة يكتشف أنّ الإنتاج النثري يفوق الإنتاج الشعري إذا ما تمت المقارنة بينهما، وذلك يعود لنشاط حركة التأليف التي كانت حاصلة، خاصة في مجال العلوم والدين، فالكتاب «قد نهضوا بالنثر نهضة فنيّة حلّوه بخيال فسيح يلائم ذلك الجمال الإقليمي البديع وزينوه بالتشبيهات والاستعارات والعبارة الأنيقة وأفرغوه، كالمشاركة والأندلسيين، في سجع يتضمن أحيانا الآيات القرآنية والأحاديث والأشعار والأمثال، واشتمل على كلّ مظاهر الحياة السياسية والعلمية والاجتماعية، وبجانب هذا النثر الفنّي كان نثر مرسل نلمسه في الأسلوب العلمي والكتابة التاريخية»².

ومن الطبيعي أن تكون حركة التأليف نشيطة في تلمسان، خاصة وأنّ «حقل الأدب بالمملكة كان خصبا وسوقه رائجة عندما حلّ بها المهاجرون الأندلسيون ونزولهم بها زاد هذا الحقل خصبا وهذه السوق رواجاً»³.

¹ قدامى بن جعفر-نقد النثر- دار الكتب العلمية- ط2- بيروت- 1982- ص93.

² محمد الطّمّار - تاريخ الأدب الجزائري- ص123.

³ المرجع نفسه- ص123.

وعليه فقد ضمّت تلمسان عدداً مهما من الأدباء اللامعين سواء كانوا من أبنائها أو من الوافدين الأندلسيين الوافدين عليها، أو المازين عبرها لأداء مناسك الحج، والذين مكث من بينهم فيها سنوات طويلة للأخذ من علمائها الأجلاء وكلّ أولئك الأدباء خلفوا إنتاجاً أدبياً وفيراً، أثروا به الحركة الثقافية في تلمسان على عهد الزيانيين، لكن مازال معظم ذلك الإنتاج مغموراً، ينتظر أن يكشف عنه.

ومن المؤكد أنّ أبا حمّو قد تأثر بهذا الجوّ الأدبي والعلمي، فأخذ بمثال علماء بلده في الإنتاج الأدبي بشقيه الشعري والنثري، وقد كان إنتاجه الشعري غزيراً مقارنة بالنثري، الذي لم يصلنا منه إلا كتابه المسمى "واسطة السلوك"، وهو يدخل ضمن أدب الحكمة والسياسة من أمثال كتاب "الأحكام السلطانية" للماوردي (ت450هـ)، وكتاب "سراج الملوك" للطرطوشي (ت520هـ) و"سلوان المطالع" لأبي ظفر الصقلي (ت565هـ) وغيرها من الكتب التي بهذا المجال، وقد جاءت كتبهم في شكل نصائح و موجهة للملوك، وقد تعدى البعض منهم الحياة السياسية إلى النصائح الموجهة للسلطين والملوك، مثلما في "رسالة الصحابة" لابن المقفع، غير أنّ أبا حمّو، كان كتابه مختلفاً نوعاً ما عن باقي الكتب التي صنفت في هذا الموضوع، وذلك لأنّه ضمّ بين جنباته قواعد سياسية يجب على الملوك الأخذ بها والخصال التي عليهم الاتصاف بها، إضافة إلى جملة من القيم الأخلاقية التي يدعو الكاتب الملك ورجال دولته أن يتحلوا بها، كما اهتم بالجانب التربوي وذلك لأنّ أبا حمّو قد ألف الكتاب خصيصاً لابنه الصغير وولي عهده المرتقب، فالكتاب على عكس غيره ليس موجهاً من قبل الحكماء والأدباء، بل هو مؤلف من قبل الملك نفسه، وموجه إلى ولده الذي كتب له بولاية العهد، «ونتيجة لذلك أن أبا حمّو طرق الموضوع من زاوية خاصة، تختلف شيئاً ما عن التي عهدناها عند غيره ممن كتب في هذا المجال ويتضح لنا ذلك، عندما نلقت إلى دراسة منهجه، ومقارنته بمنهج غيره»¹.

¹ عبد الحميد حاجيات-أبو حمّو موسى الزياني(حياته وأثاره)- ص190.

حاول أبو حمّو التوفيق بين اتجاهين مختلفين «فهو يعالج الموضوع من حيث المعطيات السياسية والأخلاقية والنفسية، مع الالتفات في شتى المناسبات إلى الواقع التاريخي الذي شاهده أو عاشه، فهو لا يكتفي بذكر القيم الأخلاقية المحمودة، بل ينظر إليها من خلال مقتضيات الإطار السياسي، ومتطلبات وظيفة من يتصف بها، من ملك أو وزير أو قائد، وغير ذلك»¹.

لقد احتوى "واسطة السلوك" على مادة دسمة «به إرشادات لابنه ولي عهده ونصائح سياسية وسلوكية واقتصادية وحربية ونفسية أيضا، كما أنّ السلطان لم يغفل عن الإرشاد الديني، وجعله قوام الأعمال فيدعو ابنه للتقوى ويحثّه على ترضيخ نفسه للدعاء وكسرهما للعبادة»².

وجاء الكتاب في أربعة أبواب، يحتوي الباب الأول على نصائح عامة، تدعو إلى التخلق بأفضل الأخلاق وأجملها إن كان الملك يبغى الفوز في الدنيا والآخرة، أما الباب الثاني فيشتمل على القواعد السياسية وقواعد الملك وقد جعلها أربع: العقل والسياسة والعدل والاعتناء بجمع المال والجيش.

والباب الثالث يتضمن الحديث عن الأخلاق التي يجب أن يكون عليها الملك والتي تعدّ دعائم الملك وهي: الشجاعة والكرم والحلم والعفو، وأخيرا الباب الرابع وهو عبارة عن تحليل نفسي لهيئة الناس خاصة وعامة، وذلك من خلال التفرس في وجوههم، وقد شملت الأبواب الأربع على أقسام تتدرج تحتها فصول مختلفة.

لقد جاء "واسطة السلوك" كثير الشواهد، اعتمد فيه الكاتب على أحداث تاريخية مستوحاة من الشرق (الهند، فارس..) ومن الغرب (الأندلس، اليونان) وأحداثا مختلفة من الحضارة الإسلامية كأخبار بني أمية وبني عباس.

¹- عبد الحميد حاجيات- المرجع السابق- ص196.

²-مقدمة تحقيق "واسطة السلوك"- ص09.

أما أسلوب كتابه فقد كان غنيا، مجملا بالسجع والجناس، «فأبو حمّو لغوي شاعر، ف جاء كتابه تحفة أدبية رائعة وقوية، سوية العبارة واضحة الأسلوب»¹، وقد كان أسلوبه في الوصايا أقرب ما يكون للأسلوب الأدبي، لا يخلو من الخيال لأنّه يستلهم كثيرا من التاريخ، "وقد إقتبسها أبو حمّو من كتب الأدب وذكرها بما جاء فيها من أشعار وحكم وأمثال، فنتج عن ذلك تمازج بين القصة التاريخية التي يتخللها أمثال وحكم وبين الأفكار السياسية والأخلاقية"².

ومن غير المستبعد أن يكون للكاتب نثر آخر لم يصل إلينا، أو أنّه موجود في مكان ما وسط رفوف الخزائن والزوايا الممتدة عبر الوطن العربي الكبير بين أعداد لا متناهية من المخطوطات الإسلامية ينتظر وصولنا إليه.

¹مقدمة تحقيق "واسطة السلوك" - ص14.

²عبد الحميد حاجيات - أبو حمّو موسى الزباني - ص207.

3- أبو حمّو وليلة المولد النبوي الشريف:

تؤكد المصادر التاريخية أنّ مستوى الشعر المولدي في الجزائر خلال القرن الثامن الهجري، كان على درجة رفيعة فنيا، مقارنة بأغراض أخرى، وأنّ دولة الأدب في تلمسان كانت بكل خير «ولا عجب في ذلك، فقد عرفت تلمسان نفرا من الأدباء والمفكرين خلال هذا القرن، كانوا زينة للفكر الجزائري وتاجا للغرب الإسلامي كلّ»¹.

وقد ازدهر هذا النوع من الشعر تحديدا بسبب اهتمام الملوك الزيانيين بالاحتفال بليلة المولد النبوي الشريف، وما تحدث خلالها من مهرجانات شعرية، والمولديات «بوجه خاص ازدهرت وأصبح لها شعراء معروفون، وقد كانت هذه المولديات رفيعة في مستوى الشعر الراقي الجميل لفظا ومعنى»².

ونقصد بالشعر المولدي، تلك القصائد التي تلقى بمناسبة المولد النبوي الشريف ويدور موضوعها حول ذكر خصال المصطفى صلى الله عليه وسلم والتغني بها، إظهار الشوق لزيارة البقاع المقدسة والحنين إليها، والتأسف على صعوبة الوصول إليها لبعدها المسافة ومشقتها. ترجع عادة الاحتفال بالمولد النبوي إلى القرن الرابع للهجرة، ويبدو أنّ الفاطميين توسعوا في احياء هذه الحفلات أكثر ممن سبقهم وأضافوا عليها مظاهر الجلال والعظمة³.

لكن أول من احتفل بالمولد النبوي وجعل من الاحتفال سنة جارية كلّ سنة هو "أبو سعيد" كوكبوري" بن أبي الحسن علي بن بكتكين التركماني الجنس الملقب بالملك المعظم مظفر الدين صاحب إربل أحدثها في أوائل القرن السادس الهجري، لأنّ السلطان صلاح الدين الأيوبي ولّاه على إربل في ذي الحجة سنة 586هـ وتوفي 630هـ، وكان ينفق على الاحتفال بالمولد ألّوفا كثيرة ويأتي بمشاهد احتفالية لم يعرف مثلها من قبل⁴. وتؤكد المصادر التاريخية أنّ العباسيين والفاطميين والأندلسيين، من بعدهم كانوا يحتفلون بالأعياد المسيحية كأعياد الميلاد وأعياد

¹ عبد المالك مرتاض- حركة الشعر المولدي في تلمسان- مجلة الأصالة- العدد 26- ص319.

² المرجع نفسه- مجلة- ص331.

³ الموسوعة العربية- (مولد)- القاهرة- 1965- ص1786.

⁴ انظر: السيّد محمد رشيد رضا- تاريخ ذكرى المولد النبوي- مطبعة المنار- ط1- 1295هـ- ص أ.

رأس السنة، ولذلك كان المشرق سابقا بسنّ الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، على غرار ما كان يفعله المسيحيون¹. ويعدّ المغاربة والأندلسيون «أرقّ الناس شوقا إلى زيارة الرسول صلى الله عليه وسلم لأنّ بعد المزار غزا قلوبهم بأقباس حنين»². ولأنّهم عرفوا عبر التاريخ بأنّهم أشدّ المسلمين حبّا له صلى الله عليه وسلم وأكثرهم رغبة بالحجّ الا ان تعسر ذلك عليهم، فبعد المسافة ومشقة السفر وأخطار الطريق وتكلفة الحجّ كلّها أسباب زادت من حنينهم وشوقهم للحبيب وأرضه المشرفة.

وعليه تلقف المغاربة فكرة الاحتفال بالمولد النبوي بحماسة شديدة وعملوا على بدأ الاحتفال بالذكرى وجعلها عادة سنوية محببة وأتوا فيها بكل أنواع المباهج والأبهة والتتميق، وقد كان أهل سبتة من آل العزفي³ أوّل المغاربة احياء للذكرى الشريفة، إذ أنّهم كانوا هم أيضا من قبل كأخوانهم المشاركة يحتفلون بأعياد الميلاد المسيحية⁴، ولذلك «يُحمد العزفيون على خلق هذا الموسم الشريف وكذلك كان شأن الزيانيين أصحاب تلمسان»⁵.

ومما لا شك فيه أنّ «ليلة ميلاده صلى الله عليه وسلم كانت من أعياد سلاطين الدولة الزيانية»⁶ وقد كان لهذه المملكة خصوصيات مميّزة في طريقة الاحتفال «خصوصيات لم تشهد مثلها الممالك المجاورة، فقد أضفى ملوك بني زيان على هذا الحدث العظيم هالة من الإكبار والإجلال إلى درجة المبالغة»⁷. وقد تطورت الاحتفالات بذكرى المولد النبوي الشريف في المملكة الزيانية تطورا منقطع النظير في عهد الملك الشاعر أبي حمّو موسى «الذي كان يشرف

¹-انظر: محمد بن تاويت- محمد الصادق عفيفي- الأدب المغربي- ص191.

²-زكي مبارك - التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق- مطبعة الكتاب العربي-1954- ص279.

³-آل العزفي- ملوك سبتة أوّل ملوكهم أبو العباس أحمد العزفي من بيت علم بسبته ورئاسة ولد(557هـ) وتوفي(633هـ)- انظر: مبارك الميلي- تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ص488.

⁴-انظر: محمد بن تاويت- محمد الصادق عفيفي- المرجع نفسه- ص192.

⁵-انظر: المرجع نفسه- ص192.

⁶-عبد الله حمادي- دراسات في الأدب المغربي القديم- دار البعث- قسنطينة- الجزائر- 1986- ص25.

⁷- المرجع نفسه- ص249.

على هذه الاحتفالات بنفسه و يقيم لها بقصره عرسا من الزينة والجمال، فقد كان يدعو أهل الرأي والعلم، يبدي لهم من مظاهر الترحاب والاحتفاء»¹.

ومؤرخوا الدولة الزيانية من أمثال التنسيّ ويحي بن خلدون يؤكدون أنّه كان يقوم بحق هذه الليلة كما يجب، بل ويحتفل بها فوق سائر المراسم الأخرى فقد كان يقيم «مدعاة تُحشر لها الأشراف والسوقة... تطوف عليهم ولدان قد لبسوا أقبية الخرز² الملون وبأيديهم مباخر ومرشات ينال منها كلّ بحظّه»³.

كما كان يدعو المنشدين العديدين، الذين تشدوا أصواتهم فتسمع الآفاق أروع ما قيل في خصال ومعجزات خاتم النبيين(ص)، والحضور مبتهج لما يسمع ويرى من روائع هذه الليلة ثم يوتى في آخر الليل «بموائد كالهالات دورا والرياض نورا، قد اشتملت من أنواع محاسن المطاعم على ألوان تشتهيها الأنفس وتستحسنها الأعين وتلذّ بسماع أساميها الآذان... والسلطان لم يفارق مجلسه الذي ابتداء جلوسه فيه»⁴.

وبعد ذلك يبدأ مهرجان الشعر فيتقدم الخليفة أولا فيلقي ما فاضت به قريحته في هذه الليلة العظيمة، ثم يليه الشعراء كلّ يظهر أحسن ما عنده من شاعرية ومشاعر بمناسبة الذكرى الشريفة، وتستمر ألوان البهجة في هذه الليلة المباركة من إنشاد ونظم ومطاعم وبخور، حتّى يحين موعد صلاة الصبح، فيقوم الخليفة ومن معه وكلّ الحضور لأداء الفريضة، وتنتهي الحفلة المبهجة بذلك.

والمتتبع لما كان يحدث في تلك الليلة «يقتنع بأنّ هذا العصر الشعري كان عصر

مولديات»⁵، ولم يكن نظم الشعر في مناسبة المولد الشريف حكرا على الشعراء المعروفين فقط، بل تنافس الجميع في إنشاد أجمل القصائد التي ستلقى بالمناسبة لذلك كان الملوك والوزراء

¹- عبد المالك مرتاض- حركة الشعر المولدي في تلمسان- ص311.

²- الخرز: ثياب تنسج من صوف - انظر: ابن منظور الإفريقي - مادة(خرز)- المجلد ⑤- ص345.

³- التنسي- تاريخ ملوك بني زيان- ص162.

⁴- المصدر نفسه- ص163-164.

⁵- عبد المالك مرتاض- حركة الشعر المولدي في تلمسان- ص314.

وغيرهم من رجالات الدولة يظهرون أفضل ما لديهم، وقد «يطول نفس قصائدكم حتى تبلغ المائة بيت أو أكثر»¹.

والأكيد في الأمر أنّ أبا حمّو عمل جاهدا حتّى يتفوق في إحياء هذه الليلة المباركة على الممالك المجاورة، إلى أن جعل منها ليلة يعجز المؤرخون عن وصف محاسنها، بل وجعل الرعية تنتظرها كلّ سنة بفارغ الصبر حتى تحظى بنصيب من الفرح والبهجة وأكد الطعام اللذيذ الفاخر وصنوف الروائح العطرة والبخور، وهذا يحي مؤرخ أبي حمّو يحدثنا عما شاهده في إحدى تلك الليالي شبه الخيالية فقال: «أطلت ليلة الميلاد النبوي على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم فأقام لها بمشور داره العلية مدعى كريما وعرسا حافلة احتشدت لها الأمم وحشر بها الأشراف والسوقة، فما شئت من نمارق مصفوفة وزرابي مبنوثة ومشامع كأنها الأسطوانات القائمة على مراكز الصفر الممدودة، والخليفة أيده الله صدر مجلسها منتظنا سرير ملكه يسر الناظرين رواؤه.... ملأ التجلة من قومه وأعيان الطبقات من أهل حضرة خلافته، على مقاعد عنها الاختصاص ورتب بعضها فوق بعض المناصب تخالهم قطع الرياض النضرات.... خفضت المهابة من أصواتهم فلا تبصر إلا جمالا وتسمع إلا همسا، يطوف عليهم ولدان أشعروا أقبية الخرز الملون، وبأيديهم مباخر ومرشات يقيم دخان عنبر.... وخزانة المنجانة ذات تماثيل اللجين المحكمة قائمة المصنع تجد بأعلاها أيقة.... والمسمع قائم صدر عترته على بعد من الخليفة مقدر يردد نغمات الألحان ويرتب رنات الإيقاع وينشد خلالها أمداح سيد الرسل وخاتم النبيين محمد بن عبد الله صلّى الله عليه وسلم»².

وعلى هذا النحو كانت تمضي ليلة المولد الشريف في كلّ سنة طول فترة حكم الملك الزياني أبي حمّو موسى، وكذلك سار على نهجه في أحيائها من تلاه من ملوك، لكن يبقى عصره مميّزا عمّن سواه في حجم تلك الاحتفالية وما ينفق من أجلها، وفي تأهب تلمسان بمن فيها فرحا وسرورا بذكرى ميلاده صلّى الله عليه وسلم.

¹ عبد الملك مرتاض - المرجع السابق - ص 314.

² يحيى بن خلدون - بغية الرواد - ج 2 - ص 40-41.

الباب الأول: النشر في واسطة السلوك

الفصل الأول: التكرار

الفصل الثاني: الانزياح

الفصل الثالث: ظواهر أسلوبية أخرى في واسطة

السلوك.

الفصل الأول: التكرار:

أ- تكرار الحروف

ب- تكرار الضمائر:

1- ضمير المخاطب

2- ضمير الغائب

3- ضمير المتكلم

ج- تكرار الكلمات:

4- تكرار الاسم

5- تكرار الفعل

6- تكرار الجمل

التكرار (La Répétition):

لون من فنون الكلام، يستخدمه الشعراء من أجل تأكيد معنى معين، أو لباعث نفسي معين له علاقة بشخصية الأديب، وتكرار ذات الحرف أو اللفظ أو العبارة، يحدث جرسا موسيقيا تستعذبه الأسماع ويعدّ هذا الأخير من الظواهر الأسلوبية الشائعة في الأدب العربي، والغاية من وراء إستعماله مختلفة «إمّا للتوكيد أو لزيادة التثبيته أو للتهويل أو للتعظيم أو للتلذذ بذكر المكرر»¹، «ويفسره بعض الدارسين بكراهية العربي للفراغ، وهيامه بملء المساحات بالزخرفة والرسوم المتصلة المكررة»².

ويلجأ الشعراء والأدباء إلى استخدام التكرار «لدوافع نفسية وأخرى فنية، أما الدوافع النفسية فإنها ذات وظيفة مزدوجة تجمع الشاعر والمتلقي على السواء، فمن ناحية الشاعر يعني التكرار اللاحاح في العبارة على معنى شعوري يبرز من بيت عناصر الموقف الشعري أكثر من غيره، وربما يجع ذلك إلى تميّزه عن سائر العناصر بالفاعلية، ومن ثم يأتي التكرار لتمييزه بالأداء»³.
ويعدّ التكرار أكثر الأشكال الأدبية اتصافا بصفة النظام، "والنظام فيه يقوم على تكرار الوحدات أكانت وحدات الوزن، أو الإيقاع أو القافية، وأي تكرار لوحدات الصوت، أو النحو، أو الصرف أو المجاز أو الدلالة؛ يكون أكثر لفتا للنظر، داخل هذا النظام القائم أساسا على التكرار»⁴.

وقد عرّف اللّغويون والبلاغيون العرب قديما ظاهرة التكرار، كما زخر الشعر العربي القديم بهذه الظاهرة والتي تعمل على إثراء الإيقاع الداخلي للشعر، وقد رأى النقد القديم أنّه لون من ألوان التأكيد مثلما لاحظوه في القرآن الكريم كما هو الشأن في سورة الرحمن التي عرفت تكرار قوله تعالى: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾⁵.

¹ ابن معصوم، علي بن أحمد-أنواع الربيع في أنواع البديع-ج²-تحقيق: شاعر هادي شكر-مطبعة النعمان- ط1-1969-العراق-ص345.

² اليافي نعيم-الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث- إتحاد الكتاب العرب-1983-ص70. www. awu. Dam- org

³ مصطفى السعدني-البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث- ص172

⁴ عبد الهادي زاهر - بنية القصيدة -مجلة كلية الآداب- جامعة صنعاء، العدد03- لسنة1981-ص222.

⁵ أنظر: [سورة الرحمن].

ويقول أحمد فارس: «وسنن العرب التكرار والاعادة إرادة الابلاغ بحسب العناية بالأمر»¹، ويربط ابن رشيق التكرار بالدافع النفسي الذي يدفعه لذلك، فهو يرى أن الشاعر لا يكرر اسما «إلا على جهة التشويق و الاستعذاب»². ليعيد الملل الذي يقلل من قيمة النص الأدبي، ومن هنا جاءت فائدة الدراسة والبحث ليكشفنا عن سرّ هذه الظاهرة في واسطة السلوك؛ و يعدّ التكرار تقنية جمالية تختلف قوته وطريقته من كاتب لآخر بحسب درجة التأثير في القارئ³.

وعليه لا يعدّ التكرار عيبا من عيوب الخطاب الشعري لأنه يعتمد عادة على النظام والتناسق في هندسة القصيدة وتوزيع حروفها، وإذا ارتبط ذلك بالمعنى كان زيادة فيه، أما من ناحية الشكل فتغدو القصيدة ذات وظيفة وقيمة جمالية.

ويرى علي العشري أنه «يُوحى بشكل أولي بسيطرة هذا العنصر المكرر والحاحه على فكر الشاعر وشعوره أو لا شعوره»⁴، والتكرار قد يكون في الحروف أو الضمائر وفي الأسماء، والأفعال وفي الجمل والعبارات، وأنواع المشتقات، وسنرصده في هذا بعض هذه الأنواع من التكرار والتي حفل بها واسطة السلوك، والذي كان واحداً من الظواهر الأسلوبية التي تميّز بها.

أ- تكرر الحروف:

والمقصود به تكرر حروف معينة كالحروف الخاصة بالجر أو بالنداء أو بالعطف وغير ذلك «فالتكرار الحرفي هو أسلوب يكرسه الاستعمال اللغوي لمحاكاة الحدث بتكرير حروف الصيغة مع ما لذلك من إبراز الجرس»⁵، وخاصية التكرار هذه موجودة بكثرة في واسطة السلوك ومن بينها قول أبي حمّو في كيفية التعامل مع العدوّ مستخدما حرف الجر "اللام" موصولا "بكاف

¹ أبو أحمد بن زكريا الرازي-الصاحبي في فقه اللّغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها- تحقيق: عمر فاروق الطباع- مكتبة المعارف- بيروت-1996-العراق-ص213.

² ابن رشيق القيرواني- العمدة-ج2-ص73.

³ عبد الرحمن تبرمسين- البنية الإيقاعية للقصيدة المعاصرة في الجزائر- دار الفجر للنشر والتوزيع- ط1- 2003- ص198.

⁴ علي العشري زايد-عن بناء القصيدة العربية- ص60.

⁵ عمر خليفة إدريس، البنية الإيقاعية في شعر البحترى-منشورات قار بونس-ط1-2003-ليبيا-ص1999.

الخطاب"، «فتبين لك العدو إما عن يمينك أو عن شمالك، غير مواجهة لك في إقبالك، فينبغي لك أن تسير سيرا رفيقا تلتقاه»¹.

لقد كرر أبو حمّو حرف "اللام" المقرون "بكاف" الخطاب ثلاث مرات في هذه الفقرة، دلالة على حرصه أن يفهم ابنه طريقة تنظيم الجيش في مقابلة العدو وكيفية التعامل معه، كما دلّ هذا التكرار أنّ الكلام موجه له تحديداً فهو المقصود بالنصيحة، لذلك عليه أن يحفظها في ذهنه ليتمكن من العمل بها في وقت لاحق.

وكذلك كانت غايته من تكرار حرف الجرّ "اللام" ثانية في قوله: «فيكون للقصر فضل على غيره من القصور، وللثوب فضل على غيرها من الذخائر، وللطعام فضل على غيره من الأطعمة»².

يكرر أبو حمّو حرف الجرّ في المثال السابق أربعة مرات لبيّن لولي عهده أهمية أن يتميز عن غيره في كلّ شيء لأنه الملك، فلا يجب أن يشبه قصره قصورا أخرى، بل على العكس بل يجب أن يكون فريد في نوعه حتّى يتميّز به صاحبه، كما يجب أن يتميّز في ثيابه، فيكون ثوبه من أرقى أنواع الثياب بين أثواب الملوك في زمانه، لأنّ لباس الملك يضىء عليه هيبه ورهبة، وكذلك الأمر بالنسبة لطعامه، وذخائره؛ وعليه لقد ساعد التكرار الكاتب هنا على إيضاح المغزى من عبارته السابقة.

ومن نماذج تكرار الحرف قول الكاتب: «أنّ المال به تدفع العدى، وحصن يتقى به من الردى، به تدفع آلام الأعراض... وبه تستفتح الصياصي... وتذل به الرقاب، وتستفتح به الأبواب، وتثال به الرغائب، وينجى به من المصائب»³.

يعي أو حمّو جيّدا أهمية المال في حياة الأفراد والأمم على السواء، ولذلك عمد إلى استخدام التكرار ثمان مرات ليوصل هذه الفكرة لولي عهده، إذ نجده يقوم بتكرار حرف الجر "الباء" المقرون بالضمير "الهاء" لكي يبرهن على أنّ سبب حدوث كلّ الأشياء التي عدّها راجع

¹ موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان - واسطة السلوك - ص 157.

² - المصدر نفسه - ص 66.

³ المصدر نفسه - ص 67.

للمال وأهميته، فالتداوي وحدث الفتوحات، وإذلال الناس وتحقيق الرغبات والنجاة من المصائب، كل ذلك مقترن بوجود المال.

وفي مقام آخر نجد أبو حمّو يقوم بتكرار اسم الشرط "من"، قائلاً: «فمن كثرت أجناده عمّرت بلاده، وهابه أعداؤه، وحساده، ومن كثر جيشه قلّ خوفه وطاب عيشه، ومن قلت أنصاره ضعف انتصاره ومن فرّط في جيشه سقط عرشه»¹.

لعلّ خبرة الكاتب الطويلة في ممارسة الحكم هي التي دفعت به إلى الرجوع دائماً للحديث عن أهمية الجيش، حيث نجده في صدد الحديث عن أهميته يكرر اسم الشرط "من" أربع مرات في العبارة السابقة، لأنّه يعني قدرة التكرار على توضيح تلك الأهمية المتمثلة في المحافظة على عرش السلطان.

وعلى غرار المثال السابق يكرر أبو حمّو أداة الشرط "إن" خمس مرات قائلاً: «فإن رأيت منشغلين بالبناء والزينة واللّهو والنساء فلتعلم يا بني أنّ هؤلاء غير معولّ عليهم في الشدائد ولا في المواقف والمشاهد وإن رأيتهم آخذين في التفاخر بالخيال والعدّة والتدريع وآلة الحرب والنجدة، فتعلم يا بني أنّ هؤلاء يعولّ عليهم في الشدائد فإنّ العدوّ يزيدون نشاطاً وشجاعة... وإن رأيتهم عند القرب من اللقاء قلّ نشاطهم... وإن لم تجد موضعاً في المال ترك إليه...»².

خوف الكاتب الدائم على مصلحة ابنه وولي عهده، بل وخوفه على الملك الذي أسسه بالحرب والدّم طيلة سنوات مريرة؛ يجعله دائم النصح والتوجيه و التحذير من مغبة التساهل في بناء جيش قويّ يدعم أسس الملك ويحافظ عليه من جميع الأخطار، لذلك ها هو في هذه الفقرة يدعوه إلى التفرس في أحوال جنوده وقادته أثناء المعارك وبعدها، حتّى يتمكن من معرفة حقيقة شجاعتهم ويكتشف مستور نواياهم، ولكي يأمن المفاجأة وسط الميدان بين أجناد العدوّ، فحينها لا يمكنه التراجع ولا إصلاح الأمور»³.

¹ موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان - المصدر السابق ص 31.

² المصدر نفسه ص 177-178.

³ المصدر نفسه ص 177-178.

يستمر الكاتب في تكرار الحروف جاعلا منه ظاهرة أسلوبية زين بها نثره، إذ نجده في العبارة التالية يكثر ممن استخدام حرف النفي "لا" وأداة الحصر "إلا" إذ كررها خمس مرات في قوله: «فلا سلطان إلا بالجيش ولا جيش إلا بالمال ولا مال إلا بالجبايا، ولا جبايا إلا بالعمارة، ولا عمارة إلا بالعدل»¹.

يولي الكاتب اهتماما كبيرا للجيش وكلّ شيء له علاقة به، إذ نجده لا ينفك أن يتحدث عنه في كلّ مرّة وفي كلّ مرة يظهر جانبا معينا له علاقة بكفاءته وقوته، هذا الأخير الذي جعل قيامه لا يكون إلا بالمال المتحصل من الجباية، التي يتحصل عليها في أموال الشعب الذي رمز له بكلمة "العمارة"، وربط قيام العمارة وتطورها بوجود العدل، ولأنّ هذه العناصر كلّها مرتبطة ببعضها في سلسلة واحدة مكن التكرار صاحب النص من تأكيد الدلالات التي كان يطمح في توضيحها لولي عهده.

يجمع أبو حمّو في المثال التالي بين ثلاثة أنواع من الحروف تتمثل في حرف النداء "الياء"، وحرف الربط "الواو" والحرف "أما" حيث كررها ثلاث مرات ليؤكد لابنه على حسن اختيار التابعين والمساعدين الأمناء، فيقول: «يا بني، وأما قضائك فيجب عليك أن تتخذ قاضيا من فقهاءك أفضلهم في متانة الدين... يا بني، وأما أعوانك فلنتخير لنفسك عونًا تجعله مقدما على أعوانك... يا بني وأما قوادك فلنتخير قوادا من أجناد جنديك زعماء صادقين في محبتك»². يشعر الكاتب بمسؤولية كبيرة اتجاه ابنه وولي عهده، لذلك نجده لا يكفّ عن تنويع النصائح والوصايا التي تمس جميع المواضيع السياسية كانت أو حياتية، فنجد في هذا المثال يلفت نظر ولده إلى أهمية اختيار أخصائه من التابعين من القضاة والأعوان والقادة حتى يشدّ بهم أزره في أيام الحرب والسلام.

ويستعمل الكاتب حرف النهي "لا" أربع مرات في قوله: «ولا تضيع لأحد علته ولا تحقر لخدم خصلته، ولا تنس له سبقيته، ولا تفسد في سبقيته نيته»³.

¹ موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان-المصدر السابق-ص141.

² المصدر نفسه-ص87.

³ المصدر نفسه-ص31.

نلاحظ من خلال المثال السابق حرص الكاتب أن يتمكن ابنه من الحفاظ على الحقوق، ولذلك نجده ينهاه عن تضييع حق من الحقوق حتى ولو كان لخدام من خدمه لأن ذلك من أكمل الأخلاق، وهو سبيل تحقيق العدل هذا الأخير الذي يعدّ أساس أيّ ملك ناجح.

أمّا في هذا المثال فيأتي أبو حمّو بـ"لا" النافية التي يكررها أربع مرات قائلاً: «فهذا يا بني ملك لا يعدل في نفسه ولا يعدل في رعيته ولا أحسن في ظاهره ولا في طوبته»¹.

كان موضوع التكرار هذه المرّة حول العدل وضرورته، وعليه كرّر الكاتب حرف النفي ليؤكد على سوء الظلم، وأتى بمثال عن الملك الذي يتسم بهذه الصفة، فهو عنده ظالم لنفسه لا يمكنه التخلق فيما يخصه أو ما يخص رعيته؛ وأبو حمّو حريص على يكون ابنه في مستقبل أيامه رجلاً عادلاً في شؤونه كلّها، وبعد ذلك ملكا عادلاً في شؤون الناس.

ب- تكرار الضمائر:

إنّ تكرار الضمائر يدفع بالقارئ إلى إنتاج دلالات خاصة لها علاقة إمّا برد هذه الضمائر إلى مراجعتها، أو بتقديرها في بعض الأحيان²، ونعني به تكرار الضمائر المختلفة كضمائر المتكلم أو المخاطب أو الغائب.

1- ضمير المخاطب:

لقد لاحظنا من خلال دراستنا هذه أنّ أبا حمّو قد أكثر من استخدام ضمير المخاطب المفرد "ك"، باعتبار أنّ كلّ ما جاء في الكتاب موجه لولده، وعليه فقد طغى هذا الضمير على باقي الضمائر.

وأول ما نستشهد به في هذا الصدد قول أبي حمّو «اعلم يا بني أنّه ينبغي لك أن تتدبر في وزارائك وجلسائك، وكتابك وفقهائك وقضاتك وأعوانك، وعمالك وقوادك وأجنادك، فأما وزارائك يا بني فيجب عليك أن تختار وزيراً كبيراً...»³.

¹ موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان - المصدر السابق - ص 143.

² سامح الرواشدة - فضاءات - دراسة نقدية في ديوان أمل دنقل - المركز القومي للنشر - د. ط - ص 53.

³ موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان - المصدر السابق - ص 60.

ساهم تكرار ضمير المخاطب في المثال السابق في خلق جو من التواصل بين الكاتب والمتلقي، كما ساهم في خلق قيمة صوتية أضافت حركة وحيوية داخل الفقرة؛ والوظيفة الأسلوبية للتكرار ساعدت الكاتب على توجيه نصيحته المتمثلة في التدبر عند اختيار أفراد دولته من وزراء وجلساء وكتاب... وغيرهم لكي يضمن تطور المملكة وازدهارها.

ويتكرر ضمير المخاطب مرّة أخرى ضمن سلسلة من الوصايا يتوجه بها الكاتب إلى ابنه، يقول: «ولا تنسى ذكر الله في سرّك ولا في جهرك ولا تدعه في جميع شأنك وأمرك؛ واجعله أنسك وشعارك وقوتك في ليلك ونهارك»¹.

لقد أسهم تكرار ضمير المخاطب هنا في تبليغ رسالة الكاتب الموجهة لولده الحبيب، فهو لا يتمنى له إلاّ الخير في الدارين، ولكي يتحقق له ذلك ها هو يذكره بتقوى الله، فيدعوه إلى ذكر الله في كل وقت وعلى كل حال.

لا تكاد تخلو صفحة من صفحات واسطة السلوك، دون أن يستخدم فيها أبو حمّو ضمير المخاطب ناصحا ابنه أو موجها له، ومن بين تلك المواضع قوله في الفراسة: «وينبغي أن تكون فراسنك في وزيرك وكاتبك وجلسائك وقاضيك ومفتيك وصاحب شرطتك وعمالك وصاحب أشغالك وقوادك وصاحب أجنادك وعدوك والرسل المتوجهة من قبلك إلى الملوك أمثالك والكتب الواردة عليك من العدو وغيره»².

كان موضوع الفقرة السابقة الفراسة وأهميتها بالنسبة للملك، إذ عليه أن يمعن النظر في كلّ أعوانه وأتباعه بمختلف تخصصاتهم والمهام الموكلة لهم، ولقد أحدث تكرار ضمير المخاطب المتمثل في حرف "الكاف" جرسا موسيقيا ملحوظا ساهم في اعطاء الفقرة نوعا من الحركة كما أسهم في تأكيد الخطاب الموجه إلى خليفته في الحكم.

¹- موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان-المصدر السابق-ص24.

²- المصدر نفسه-ص70.

2- ضمير الغائب:

ومن الضمائر التي قام الكاتب بتكرارها في واسطة السلوك، ضمير الغائب لكنّ حضوره لم يكن بالكثافة التي عرفها ضمير المخاطب، ومن أمثلة ذلك قول الكاتب: «فإذا رأيت أنّ أدنى الأمور يغضبه ويهمه ويكره وأدنى الأمور يرضيه وأقلها يسليه أو يفضيه، فتعلم أنّه ناقص عقل»¹.

لقد استخدم الكاتب ضمير الغائب ست مرات في الأفعال التالية: "يغضبه، يهمه، يكره، يرضيه، يسليه، يفضيه"، وقد أسهمت هذه الضمائر في خدمة العلاقات السياقية، إذ أنها تعود جميعاً على الوزير وهو المعنى بالحديث هنا، فأبو حمّو من خلال تعداد هذه الأفعال إنّما أراد أن يوجه ولده إلى طريقة الكشف عن شخصية وزيره، وبالتالي القدرة على الحكم عليه، إنّما إيجاباً وإمّا سلباً.

وفي موضع آخر يكرر أبو حمّو ضمير الغائب بصورة مكثفة عندما يحاول توضيح معنى مصطلح الاستخلاف لولده وولي عهده، حيث يقول «إنّ الملك خليفة الله في أرضه، الموكل بإقامة أمره ونهيه، حيث قلّده بقلائد الخلافة، وجعله حصينا منيعاً لذوي المخالفة، وأمره بإقامة الشرائع وسدّ الذرائع، ليقوم قسطاس الحقّ، في رعية الخلق، وآتاه الله من ملكه، وجعل الرعيّة تحت إيلائه وملكه»².

يجعل الكاتب من التكرار وسيلة لتبيين مفهوم "الاستخلاف" لأنّ الملك هو خليفة الله في أرضه، وكلّ شيء تحت امرته إنّما هو عائد لله وملك له، لذلك أسهم تكرار ضمير الغائب في توضيح ذلك، لأنّه يعود في كلّ جملة على الله عزّ وجلّ، وعليه فقد أسهم في تعميق الدلالة في كلّ عبارة وخدم الفكرة التي أراد أبو حمّو أن تصل لولي عهده، ومفادها، أنّ كلّ ما يقع تحت إمرته ليس ملكاً له يتصرف فيه كيفما شاء، وإنّما هو خليفة عليه، وسيكون مسؤولاً عنه يوم القيامة بين يدي المولى عزّ وجلّ.

¹ موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان - المصدر السابق ص 171.

² المصدر نفسه ص 24.

3- ضمير المتكلم:

لم يستخدم أبو حمّو ضمير المتكلم كثيرا في كتابه، وذلك عائد لطبيعة موضوع الكتاب، الذي أُلّفه تحديدا من أجل ولده، و لذلك نجد اضطرار أبي حمّو للحديث بصيغة المتكلم قليلة وفي مواضع معدودة من واسطة السلوك.

ومن بين تلك المواضع قوله: «وقد خاطرنا نحن في ذلك، وسلطنا بحول الله أحسن المسالك، وأوردنا العدى موارد المهالك، وذلك لما هاجتنا الحمية ودعتنا النفوس الأبيّة... فطوبنا المراحل، وحثتنا الركائب والرواحل، مستعينا بالله سبحانه في كلّ سكرة وحركة»¹.

إنّ استخدام ضمير المتكلم هنا وبصيغة الجماعة "نا" أضفى على الفقرة عمقا دلاليا يتمثل في تحفيز ولده على المخاطرة في سبيل الحكم ويقدم نفسه وما فعله في سبيل سلطانه، مثلا قويا على ذلك، وقد وظفّ الكاتب صيغة الجمع المتمثلة في الضمير "نحن" ظاهريا لكنّه أراد به ضمير المتكلم بصيغة المفرد لأنه هو صاحب التجربة.

لقد كان استعمال الضمير "نا" وسيلة مكنت الكاتب من رواية تفاصيل رحلته المباركة لاسترجاع عرش أجداده، وكأنه أراد أن يؤكّد على أنّ فضل استرجاع ملكه من بني مرين كان عائدا له وحده، ولا أحد يشاركه في هذا الفضل غير المولى عزّ وزجلّ.

ج- تكرار الكلمة:

يعدّ تكرار الكلمة من أهم مصادر الأدباء المعاصرين، وهي تتكون من صوت معزول أو من عدة أصوات مركبة وموزعة داخل العمل الفني «وهذه الأصوات تتوحد في بنائها وتأثيرها سواء أكانت حرفا أم كلمة ذات صفات ثابتة كالأسماء، أو ذات طبيعة متغيرة تفرضها طبيعة السياق كالفعل»².

¹- موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان- واسطة السلوك-ص33.

²- عصام شرتج- جمالية التكرار في الشعر السوري المعاصر- دار رند للطباعة والنشر والتوزيع- ط1-2010-دمشق-ص493.

وبالرغم من أنها تعدّ ظاهرة أسلوبية متداولة بين الشعراء والأدباء المعاصرين فهذا لا يعني أنها لم تكن وسيلة من وسائل التعبير والابداع لدى الأدباء القدامى، فالفرق الوحيد بينهم أنّ المبدعين القدماء كانوا يوظفونها تلقائياً دون خلفيات علمية أو سابق معرفة بالمناهج التحليلية، أمّا من هم محدثون من الأدباء فهم يلجؤون إليها وإلى كلّ أنواع التكرار، عن علم وسابق معرفة وادراك، بل ويطلبونها في انتاجهم، كأحدى ألوان ووسائل التعبير الحديثة الموظفة في الأدب المعاصر.

ولقد لجأ أبو حمّو إلى استخدامها، لأنّه رأى فيها وسيطاً نشيطاً بينه وبين الهدف من وراء تأليف واسطة السلوك، ألا وهو جمع كلّ معارفه ومداركه في أمور الحياة والسياسة والدين والدنيا، ثمّ من بعد ذلك إيصالها وتبليغها لابنه وولي عهده، مفهومة، واضحة المعالم. وعليه نجد الكاتب قد استخدم تكرار الكلمة بشقيه: الاسم والفعل، وعلى نطاق واسع في جلّ أبواب كتابه، ولذلك سنحاول رصد هذه الظاهرة في بعض المواضع من واسطة السلوك.

1- تكرار الاسم:

كان تكرار الاسم ظاهرة أسلوبية بارزة عند أبي حمّو لجأ إليه حتّى يوضح أهمية ما قام بتكراره، ومنه ما جاء في قول أبي حمّو: «ثم إنّه استقاد لهواه فنفذه لوجهه، وكان يقال: أولّ الهوى هون، وآخره هوان، وكان يقال: الهوى طاغية فمن ملكه أهلكه وكان يقال: الهوى كالنار إذا استحكمت إتقادها عسر اخمادها؛ وكالسيول إذا إتصل مدّها، تعدّر صدّها، وكان يقال: ليس الأسير من أوثقه عداه أسرا، إنّما الأسير من أوثقه هواه قهرا وأرهقه خسراً»¹.

إنّه الخوف الشديد، ذاك الذي يعتري أباً حمّو، وكيف لا، والمقصود بهذا الاهتمام ولده وفلذة كبده، والذي سيعتلي عرشه في يوم ما، ومن المعلوم أنّ أخطر شيء على الإنسان نفسه، وأنّ أكثر ما يهلك المرء هواه، وعليه سعى الكاتب أن ينبه ابنه من الهوى، فكان التكرار سبيله في ذلك، إذ نجده قد لجأ إليه خمس مرات منها ولده في كلّ مرة من خطورته الكبيرة.

¹موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان - واسطة السلوك ص 96.

لقد منح التكرار في الفقرة السابقة دلالات كثيرة لها، فهو يعبر عن الخوف على مستقبل

هذا الابن، بل والخوف على مستقبل عرشه من بعده، كما يحمل دلالات التأكيد على خطورة هذا الأمر، وعبر عن دلالة المحبة التي دفعت بالكاتب إلى الحرص على تحذير ولده من كل ما قد يفسد حياته الشخصية أو يهدد عرشه أو ملكه.

وفي موضع آخر يجعل من تكرار الاسم "أربعة" ظاهرة أسلوبية ذات دلالة معينة يفرضها السياق، يقول الكاتب: «واعلم يا بني أنّ خير الأصحاب أربعة وخير السرايا أربعمائة وخير الجيوش أربعة آلاف»¹.

لعلّ الكاتب ومن خلال ما جرّبه في الحياة من مرافقة الأصدقاء، ومن خوض المعارك والحروب، صار العدد "أربعة" بالنسبة له ذا دلالة رمزية معينة؛ لذلك عمد إلى تكراره ثلاث مرات متتالية ومع أفكار مختلفة؛ يريد منه أن يثبت مفهوما معينا لدى ابنه يحمله على السير على خطى والده في التعامل بالعدد "أربعة".

يقوم الكاتب في المثال التالي بتكرار الاسم "عدد" أربع مرات، وكأنّه صار هاجسا نفسيا لديه، حيث قام بتكرار هذه الكلمة وهو بصدد الحديث عن الجنود والجيش، ولعلّه أراد بذلك التأكيد على وجوب كثرة عدد الجنود، لأنّ ذلك ممّا يعزّز قوة الجيش، يقول: «فتنقذ فيها أحوال جيشك وقوادك وأجنادك، وعددك وأعدادك، فتميزهم تمييزا تعرف منه أحوالهم وتختبر قطعانهم وأموالهم وتضبط عددهم وتعرف عددهم...»².

ومن أمثلة ذلك قوله: «يا بني حاسب عمّالك يحفظوا أموالك، يا بني، وبالجملة فالمال أعظم الذخائر الفاخرة، وبه تنال الدنيا والآخرة، يا بني، عليك بالإيثار مما أفاد الله عليك من الأنعام»³.

¹ موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان-المصدر السابق-ص110.

² المصدر نفسه-ص110.

³ المصدر نفسه-ص29.

يريد الكاتب أن يوجه انتباه ولده إلى ما يحدثه عنه، لذلك نجده يكرر كلمة "بني" ثلاث مرات متتالية، وقد دلّ هذا التكرار على حرص الوالد الشديد على نصح ابنه وولي عهده، كي يدفعه إلى حسن استعمال المال فيما يفيد في الدنيا والآخرة .

يرى أبو حمّو بأنّ الفكر مرتبط بـرجحان العقل ولا بدّ للملك من كثرة التفكير في الأمور، حتى يحسن اتخاذ القرارات، وعليه يوصي ولده بإعمال فكره مكررا كلمة "فكرة" أكثر من مرّة في فقرة واحدة، يقول: «والفكرة مرآة تريك حسنك من قبحك، فلا تهجم على أمر إلاّ بعد فكرة ورويّة ولا تنفذ إلاّ عن بصيرة، لأنّ من طال تفكره حسن تدبره... ومن لم يستعمل فكرته فيما عليه وله ماتت فطنته»¹.

التفكير يعدّ ضرورة لدى أبي حمّو، فهو وسيلة المرء للكشف عن حقيقة نفسه فيراها على حقيقتها دون زيف أو خداع، كما يعدّ سبيل اتخاذ القرارات السليمة البعيدة عن التسرع والعجلة واعمال الفكر عنده يسهم في تغذية الفطنة والذكاء والحيلولة دون تناقصها أو موتها بسبب قلة استعمالها، والكاتب يتمنى أن يكون ولده مستقبلا رجلا كثير التدبر والتمعن في كلّ أمر، واسع الحيلة، وصاحب فطنة.

يسهم التكرار في إثارة المتلقي وتحفيزه لإطالة النظر والتمعن في البنية الدلالية التي حققها السياق التكراري، وعليه يواصل الكاتب اتخاذ التكرار كوسيلة أسلوبية تمكنه من تحقيق مبتغاه فيقول: «اعلم يا بني أنّ الملك بناء والعدل أساسه، فإذا قويّ الأساس دام البناء، وإن ضعف الأساس إنهار البناء... لا عمارة إلاّ بالعدل؛ فالعدل أساس، ومن استعمل العدل حصّن ملكه»².

كان العدل دائما أساس أيّ ملك مستقر وسلطان قوي، لذلك تعمد الكاتب أن يكرر كلمة "عدل" أربع مرات حتى يتمكّن من ترسيخ هذا المفهوم لولده، ليصبح في يوم ما ملكا عادلا يؤسس بعدله دولة قوية ومزدهرة.

¹- موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان - المصدر السابق ص58.

²- المصدر نفسه ص141.

لا نبرح تكرار الاسماء دائما، ففي العبارة التالية يكرر أبو حمّو كلمة "رشاد" كي يرسخ مفهومها معنا لدى ولده، يقول: «أمّا فقهاؤك فلتتخير لنفسك فقيها عالما نبيها موسوما بالصلاح سالكا طرق الرشاد والفلاح يرشد إلى الهدى ويهدي إلى الرشاد»¹.

يدعو الكاتب ولي عهده إلى أن يحسن اختيار فقيه صالح وعالم ويقربه منه كي يستفيد من فقهه، فيلجأ إلى تكرار الاسم "رشاد" مرتين بالإضافة إلى فعله "يرشد"، وهذا من أجل التأكيد على مفهوم الصلاح في شخص الفقيه الذي ستكون مهمته الوحيدة الارشاد إلى الهدى.

2- تكرار الفعل:

استعمل أبو حمّو تكرار الفعل بأنواعه بصورة واسعة في كتابه، وأوّل ما نستدل به على قولنا، لجوء الكاتب إلى تكرار الفعل الماضي "غرس" في قوله: «وكان يقال من غرس العلم اجتنى النباهة، ومن غرس الزهد اجتنى العزّة ومن غرس الاحسان اجتنى المحبة، ومن غرس الفكرة اجتنى الحكمة ومن غرس الوقار اجتنى المهابة ومن غرس المداراة اجتنى السلامة، ومن غرس الكبر اجتنى المقت، ومن غرس الحرس اجتنى الدّل، ومن غرس الطمع اجتنى الخزي، ومن غرس الحسد اجتنى الكمد»².

إنّ تكرار الفعل الماضي "غرس" عشر مرات منح الفقرة السابقة قد منح عباراتها ترابطا دلاليا واضحا، وهي تكشف لنا عن حكمة أبي حمّو الكبيرة، التي استقاها من تجاربه الحياتية الخاصة، وهو يرغب في أن يمررها لابنه كي يستفيد منها، والكاتب هنا يقدم لولده حصاد كلّ ما ستغرسه يداه سواء كان خيرا أو شرّا، وبذلك يختصر الطريق عليه، فهو ليس مضطرا لمعايشة التجربة حتى يستخلص العبرة بل يكفيه أن يعتبر بما قدمه له والده.

وفي نموذج آخر يكرر الكاتب الفعل "تغرس" في قوله: «ثم بعد ذلك تفرس فيه تفرس الشهم النبيه، فإن رأيتّه محبّا في النساء والأولاد وله من الذرية أعداد فتعلم أنّه لا بد أن يميل

¹ موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان-المصدر السابق-ص85.

² المصدر نفسه-ص63.

في الحكم إمّا لعرض أو لحمية ... فتفرس فيه بأن تمازحه وتجالسه وتحسن إليه وتتاصحه... فتتفرس أيضا في حديثه¹.

يستعين أبو حمّو إذا بتكرار الفعل "تفرس" ثلاث مرات، ليؤكد على أنّ الفراسة في النظر إلى الناس، تساعد على الحكم على طباعهم وأخلاقهم، وما تضرر نفوسهم، لذلك يدعو الكاتب ابنه إلى الانتباه لأحوال الناس عند تعامله معه أثناء مجالستهم أو ممازحتهم وغير ذلك من المواقف.

كان الكاتب كثيرا ما يتحدث عن القضاة ومهامهم وصفاتهم، كما ينبه إلى الطريقة التي تمكّن من معرفة كفاءتهم، وفي هذا المثال اتخذ الكاتب من التكرار وسيلة للتأكيد على كلّ ما سبق، إذ استخدم تكرار الفعل "تعلم" ثلاث مرات بالإضافة إلى الفعل "اعلم" مرة واحدة، وهو ينصح ابنه إلى التمعن في أقوال وأفعال القاضي ومن ثمة يمكنه الحكم عليه و على مدى نزاهته، يقول أبو حمّو: «وجرى على وفق منيتك، فتعلم أنه يسمح لغيرك مثل ما سمح لك في أمرك، فإن تصمم عليك ولم يسمح بها بالكلية إليك، فاعلم أنّه مخلص أمين.... فما لم يكن من شأنه وأظهر البشاشة والشكر والثناء والذكر، فتعلم أنّه محب في القضاء... ثم التزم الصمت بعد ذلك، وأظهر السكون في جملة الأشياء فتعلم أنّه متصنع»².

وفي هذا المثال يستخدم أبو حمّو تكرار الفعل المضارع "تصلح" ليعزز من خلاله الفائدة المجتاة من تخلّق الملوك بخلق العفو عند المقدرة، وما يجلبه هذا الخلق من خير لهم ولممالكهم، فيقول الكاتب: «يا بني، والعفو عند المقدرة وفي الخلافة أصل، وفيه مروءة وفضل وحكومة وعقل، تصلح من أحوالك ما لا تصلح ببالك وتدبر بالعفو ما لا تدبر بالسياسة، وتصلح به ما لا تصلح بالرئاسة»³.

خلق آخر يراه الكاتب لازما للعدالة وهو العقاب، ولتبيين أهميته في تحقيق النظام داخل المجتمع، ها هو أبو حمّو يكرر الفعل "عقب" مرتين في سطر واحد، والموضوع هذه المرّة كان

¹- موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان-المصدر السابق-ص176.

²- المصدر نفسه-ص176.

³- المصدر نفسه-ص166.

عن إفشاء السرّ وخيانة أمانة النّقة في حفظ الأسرار وكتمانها، ومما يبدو، أنّ أبا حمّو خائف على ولده من أن يحيط نفسه بمجموع أصدقاء يأتّمّنهم على أسرارهم أو أسرار دولته، ثمّ يظهر أنّهم مجموعة من الخونة والمدّعين، وهم إن كانوا كذلك سيشكلون خطراً كبيراً على حياة الملك واستقرار ملكه، وعليه، قال أبو حمّو: «يا بني من أفشى سرّك فعاقبه سرّاً، ومن أفشى سرّك جهراً فعاقبه جهراً»¹.

وعن السياسة يقول أبو حمّو في مقام آخر: «اعلم يا بني أنّ أصل السياسة التدبير، ولا يكون التدبير إلاّ بفكر صائب سليم، لأنّه من تفكر تدبّر، ومن تدبّر تخير وتحدّر»². إنّ الكاتب وهو الملك الذي مارس السياسة طويلاً، يرى أنّه من الحنكة السياسية، التدبير في الأمور، لأنّه ما خاب من عمل عقله وفكره قبل أن يمضي في قراره، وعليه، قام أبو حمّو بتكرار الفعل "تدبر" مرتين في جملة واحدة كي يظهر أهمية هذه الصفة التي يجب أن تتوفر في الملك الحكيم والعاقل.

3- تكرار الجمل:

من ألوان التكرار المعتمدة لدى الأدباء والشعراء، لجوؤهم إلى تكرار جملة معينة سواء كانت تامة أو ناقصة ومهما كان نوعها إسمية أو فعلية، لما لها من قيمة دلالية عندهم، وهذا اللون قد توفر عند أبي حمّو في كتابه واسطة السلوك، حيث نجده يلجأ إلى تكرار جمل بعينها في وسط كلامه حتّى يؤكد على دلالة الأفكار التي تضمّنها بين جنباتها.

ومن أمثلة تكرار الجمل قول الكاتب «كما يسوس صاحب البستان بستانه، فمن ذلك أنّه ينتخب أهل الشكيمة من جنده كما يفعل صاحب البستان فإنّه يخرج الشجر نوات الشوكة، وما فضل من العيدان فيحيط بها على الشجرة المثمرة فانتعشوا وكثر خيرهم كما يفعل صاحب البستان فإنّه ينقي بستانه من الحشيش فيكون معرضاً للهلاك بآفات الزمان كم يفعل صاحب

¹ موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان - المصدر السابق ص 167.

² المصدر نفسه ص 58.

البستان، فإنه لا يؤخر إجتتاب ما نضج من ثمره. كما يتعاهد صاحب البستان خوالف شجره الهالكة بالسقي... كم يفرق صاحب البستان بين الشجرتين تداخلت أغصانها»¹.
 كرّر الأديب جملة "يفعل صاحب البستان" لبيّن لولي عهده، كيف يجب أن يتعامل الملك مع شؤون مملكته، فشبّهه بصاحب البستان، والمملكة بالبستان، ونبهه إلى الطريقة التي عليه أن يتعهد بها شؤون بلاده، من خلال التمثيل بأعمال صاحب البستان المختلفة والتي يحافظ من خلالها على بستانه.

وهذا مثال آخر يلجأ فيه الكاتب إلى تكرار الجملة الاسمية "فضل على غيره" ليركز قيمة دلالية معينة لدى ابنه مفادها أنّ يكون الملك مميّزا في كلّ شيء عن غيره من الناس ليكون فريدا بين الملوك بتفرد ما يحظى به من أسباب الرفاهية، يقول: «فيكون للقصر فضل على غيره من القصور، وللثوب فضل على غيره من الثياب، وللخيرة فضل على غيرها من الذخائر وللطعام فضل على غيره من الأطعمة، ولذاته فضل على غيرها من اللذات»².

ونقف في مثال آخر على تكرار الجمل في قول الكاتب: «وأما كونه يا بني حاضر الذهن سريع الفهم، فلأنه لا يدخله في تصرفاته وليفهم الأشياء بأدنى إشارة، ويتفطن للأمور بغير عبارة، وأما كونه يا بني، محبّا في سلطانه، فلأنه يكون ناصحا لك في خدمتك، مقبلا على شأنك... وأما كونه يا بني راجح العقل والرأي... وأما كونه شجاعا عند نزول المهمات فلأنه يجزي عنك في الحركات... وأما كونه كثير المال والثروة فليبتغي بثروته عن الطمع و الرشوة... وأما كونه حسن السيرة، فصيح اللسان فلأنه جمال ملكك وترجمانه الواضح البيان»³.

يريد الكاتب من خلال تكراره لجملة "أما كونه" أن يوجه عناية ولده إلى أحوال وزيره و دلالة كلّ حال يكون عليها، فأظهر لولده ما كان يخفى عنه من معرفة في هذا المجال، فأبو حمّو يعود في كلّ مرة للحديث عن أخلاق الوزراء وصفاتهم، مخافة أن يخطئ ولي عهده اختيارهم أو التفرس في طباعهم، وما قد يجلبه هذا من مخاطر كبيرة عليه و على ملكه.

¹ موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان - المصدر السابق ص 234-235.

² المصدر نفسه -60.

³ المصدر نفسه ص 60-61.

بفضل تكرار الجملة نفسها يستطيع أبو حمّو أن يبيّن أهمية وقيمة الرسالة التي يريد أن يوجهها لولده، ، ومنه تكرار الجملة الموصولة التالية "من غرس" في كامل الفقرة التي يقول فيها: «وكان يقال من غرس العلم اجتتى النباهة، وممن غرس الزهد اجتتى العزّة، ومن غرس الاحسان اجتتى المحبة ومن غرس الفكرة اجتتى الحكمة، ومن غرس الوقار اجتتى المهابة، ومن غرس المدارة اجتتى السلامة، ومن غرس الكبر اجتتى المقت، ومن غرس الحرص اجتتى الذلّ، ومن غرس الطمع اجتتى الخزي، ومن غرس الحسد اجتتى الكمد».¹

يريد أبو حمّو أن يثبت لدى ابنه مفهوما معينا من خلال التكرار الحاصل في الفقرة السابقة، وهو أنّ الإنسان إنما يجني ثمرة ما قد غرسه سابقا، لذلك يجب عليه أن يحسن الغرس حتّى يكون محصوله نافعا ومفيدا، ولا يكون نادما بعد ذلك على سوء تقديره للأمر.

وفي ختام هذا العنصر من البحث، يمكننا أن نستخلص بأنّ التكرار بكل أنواعه، سواء تكرار الحروف أو الضمائر، أو كلمة من اسم وفعل بأنواعه، ماضي، مضارع، أمر، كان ظاهرة أسلوبية في واسطة السلوك أراد من خلالها الكاتب التأكيد على أهمية المعلومات التي تتضمنها وصاياها الموجهة لابنه وولي عهده، وذلك لما للتكرار من قع ايجابي على النفس يدفعها إلى استيعاب وقبول المعلومات والأفكار بسهولة وسلاسة.

¹ موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان-المصدر السابق -63.

الفصل الثاني: الانزياح

أ- الانزياح الاسنادي:

- 1- التنافر الاسمي
- 2- التنافر الفعلي
- 3- التنافر النعتي
- 4- التنافر الإضافي

ب- الانزياح الدلالي:

- 1- التشبيه
- 2- الاستعارة

ج- الانزياح التركيبي:

- 1- القصر والاستثناء
- 2- التقديم والتأخير
- 3- الالتفاتات

أ- الالتفات في العدد

ب- الالتفات في الضمير

ج- الالتفات في الأسلوب

د- الانزياح الصوتي:

- 1- الانزياح الاستهلاكي
- 2- الانزياح الداخلي
- 3- الانزياح الختامي

الانزياح:

إنّ الأديب في حالة بحثه عن مواطن الإبداع الفنّي، يجد نفسه أحياناً عاجزاً عن تحقيق مبتغاه لأنّ الأساليب المألوفة لا تمكنه من ذلك، ويجد طاقة النصّ الجمالية مكبوتة وعاجزة عن التعبير، فيضطر إلى التمرد على كلّ ما هو مألوف في اللغة المعيارية، إلى لغة جديدة شعرية تمكنه من استعمال اللغة «مفردات وتراكيب وصور استعمالاً يخرج بها عمّا هو معتاد ومألوف، بحيث يحقق المبدع ما ينبغي عليه أن يتصف به من تفرد وإبداع وقوة جذب»¹ وذلك ما يسمى بالانزياح.

وعليه، فالانزياح خروج عن المألوف في استعمال اللغة والتراكيب وهو «انحراف قانون اللغة، ولكنّه ليس عشوائياً، فالانزياح شرط مهم لكل شعر، فلا يخلو الشعر من الانزياح»². إنّ صور الانزياح متعددة في أنماط التعبير البيانية والبلاغية المختلفة، ولعلّ بعض النقاد ذهب إلى تقسيم الانزياح إلى عدة أقسام: كالانزياح اللغوي والإيقاعي والدلالي³. وللانزياح جذور عميقة في الدرس النقدي العربي، فقد اهتم الباحثون العرب قديماً بهذه الظاهرة، و«الاستخدام اللغوي وتعامل الشاعر مع عناصر اللغة قد دفعهم إلى الوقوف والتأمل والتفسير»⁴.

وقد اختلفت أشكال النقد لدى القدماء لكل ما هو خارج عن المعروف من القوانين اللغوية التي اعتادوا عليها في حكمهم على جمالية الشعر وجودته، وقد ظهر لديهم الانزياح في كلامهم عن التقديم والتأخير والمجاز والاستعارة وغيرها من القضايا النقدية والبلاغية الأخرى.

¹ -قصبجي عصام وأحمد محمد ويس- الانزياح في منظور الدراسات الأسلوبية- مؤسسة اليمامة الصحفية- ط1- الرياض- 2003- ص39.

² -جان كوهين- بنية اللغة الشعرية- ترجمة: محمد ولي ومحمد العمري- دار توبقال للنشر- المغرب- 1986- ص192.

³ -انظر: اليافي نعيم- أطراف الوجه الواحد- منشورات إتحاد العرب- دمشق- لبنان- ص192..awu. Dm.org.www.

⁴ -موسى سامح ربيعة- الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها- دار الكندي للنشر والتوزيع- الكويت- ط1- 2003- ص47.

حاول اللّغويون والبلاغيون العرب الأقدمون تدارس ظاهرة الانزياح من خلال التمييز بين لغة التخاطب العادية ولغة الشعر، باعتبار أنّ لغة الشعر تأثير جمالي مقصود، بينما لا تتعدى لغة التخاطب التواصل والإفهام.

ولقد كان الناقد العربي عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) من بين من اهتم بهذه الظاهرة إذ يقول «الكلام ضربان: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده (...) وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللّغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل»¹، والجرجاني بين ظاهرة الانزياح من خلال اعتقاده أنّ اللفظ يخرج من معناه المعجمي المعروف إلى معنى آخر لا يمكن فهمه إلا من خلال السياق الذي وظّف اللفظ فيه.

أما ابن جنّي فيدخل ضمن انزياح الحذف والزيادة والتقديم والتأخير والحمل على المعنى والتحريف²، ويعتقد ابن جنّي أنّ ظاهرة الانزياح تكثر في الشعر دون النثر، فالشعر هو ما يحرف فيه الكلام عن أبنيته ويعتقد أنّ المجاز يقع «ويعدل إليه عن الحقيقة، لمعان ثلاثة وهي الاتساع والتوكيد والتشبيه»³.

وعليه فالانزياح لدى القدامى من النقاد العرب إنّما هو الخروج عن النظام السائد للتعامل مع اللّغة لتتجاوز حدود التعامل الحرفي إلى التركيب اللّغوي والسياق الذي وجدت فيه الألفاظ، وهم بذلك قد انتبهوا لاجتهادات الشعراء العرب من أجل خلق معان جديدة للفظ وتوسيعهم للّغة.

لقي الانزياح (**Deviation**) اهتماماً كبيراً من قبل النقاد الغربيين وقد كانت دراساتهم امتداداً للنقاد العرب القدامى، فقد تجاوز جون كوهين (**Jean Cohen**) مثلاً مفهوم استقلالية الانزياحات بعضها عن بعض كما حددتها البلاغة القديمة «ليبني مكانها جدلية انزياحات عامة

¹ عبد القاهر الجرجاني- دلائل الإعجاز- طبعة رشيد رضا- شركة الطباعة الحديثة- القاهرة- ص177.

² أنظر: ابن جنّي- الخصائص- ج2- تحقيق: محمد علي نجار- المكتبة العلمية- بيروت- لبنان- ط. ت- ص360.

³ الخصائص- ج2- ص442.

كل حسب وظيفته ومستواه، ويهدف كوهين من خلال ذلك إلى بناء شكل متناسب وعقلاني يتضمن مجمل العمليات التي يتأسس عليها الشعر»¹.

وينقسم الانزياح لديه إلى مستويين، مستوى سياقي ومستوى دلالي ويدخل ضمن المستوى السياقي عنده، عدم ملائمة المسند للمسند إليه والانزياح التركيبي كالتقديم والتأخير، والحذف وغيرها، أما الانزياح الاستدلالي فهو عملية ذهنية تعتمد على استبدال ما هو حاضر بما غائب كالاستعارة مثلاً.

وعليه سنحاول في هذا الجزء من البحث أن نتتبع أنواع الانزياح التالية:

أ. الاسنادي، ب. الدلالي ج. التركيبي، د. الصوتي

1- الانزياح الاسنادي:

وهو متمثل «في عدم ملائمة المسند للمسند إليه أي ثمة (منافرة) بينهما، إنّ هذا ما يسميه كوهن (اللأنحو) (ungrammaticalness) ذلك أنّ الإسناد (predivation) هو أحد الوظائف النحوية، وإذا ما خرقت هذه الوظيفة النحوية فإنّ النقص يحصل في نحوية الخطاب الشعري نفسه»².

وعليه فإنّ النص الأدبي الذي يخرج عن معايير اللّغة ينتج دلالة جديدة بعيدة كالبعد عن الدلالة الأولى، وهذا ما يدفع المتلقي إلى إعادة قراءة الجمل الاسنادية بمنظور جديد يراعي فيه الانزياح الحاصل في التركيب.

1- التنافر الإسمي:

ونقصد به التنافر الحاصل بين عناصر الجملة الاسمية: المسند والمسند إليه، فكما هو معلوم، تتكون الجملة الاسمية من مبتدأ أو خبر ومن المفروض أن يتلاءما في المعنى كقولنا: العلم مفيد، أما إذا قلنا العلم نور، هنا نكون قد خرقتنا إنسجام المعنى الذي يفترض وجوده بين

¹ حسن ناظم- مفاهيم الشعرية (دراسات مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم)- المركز الثقافي العربي- بيروت- لبنان - -
الدار البيضاء- المغرب- ط1- 1994-ص163.

² المرجع نفسه ص120.

المبتدأ أو الخبر، إلّا إذا أعدنا بناء التركيب من جديد في أذهاننا، نتيجة الهدم اللغوي الذي تسبب به الانزياح.

ومن أمثلة التنافر الاسمي في واسطة السلوك قول الكاتب: «فإنّه لما كانت الأولاد قطع الأكباد، وعماد الظهر، وشفاء الصدور...»¹ فالقراءة الأولية للجملة تبين التنافر بين المبتدأ أو الخبر وهما هنا اسم كان وخبرها: الأولاد قطع الأكباد، فكيف يكون الولد قطعة من الكبد؟ لكن إذا تمعنا الجملة وأعدنا بناء المعنى نلاحظ أنّ المقصود معرّة الأولاد الكبيرة عند آبائهم، وأبو حمّو يريد أن يبيّن لابنه مقدار محبته له، ومقدار أهميته لديه، فالأبناء كالكبد بالنسبة للجسم، فلا حياة ولا صحة ولا عافية له إلّا بوجود الكبد وسلامته، فهم الشيء الأكثر أهمية للأباء فسعادتهم ومعنى وجودهم في هذه الحياة مرتبط بأبنائهم، يستمدون الفرح والقوة من قرب أولادهم وسلامتهم.

وفي موضع آخر يقول أبو حمّو: «اعلم يا بني أنّ العقل راحة النفس، فاجعل عقلك راحة نفسك، وجالب أنسك... واعلم أنّ الدنيا متقلبة فلا تغتر بغرورها»² فالأديب يرى أنّ العقل راحة النفس، كما يرى الدنيا متقلبة، ومن المعروف أنّ العقل شيء معنوي فكيف يمكنه أن يكون راحة للنفس، فهذا المعنى يشتمل على تنافر واضح، إلّا إذا أمعنا النظر في الجملة بعيدا عن الانزياح الحاصل، فنصل إلى المعنى المقصود، وهو أنّ العقل زينة المرء وإنّما يتفاضل الناس بينهم باكتمال عقولهم، فالعاقل يعطي لكل شيء قدره فلا يعطي الأمور والأحداث والرغبات أكثر من حقها، ويحسن التصرف في كلّ أمر وبذلك يريح نفسه من الحزن والهم والكدر، ولأنّ العقل سر تميّز الملوك، ولأنّ أبا حمّو يرى في ابنه ملكا مستقبليا أراد من خلال هذه العبارة أن ينبهه إلى أهمية العقل وضرورة الاتصاف به.

ويرى من جهة أخرى الدنيا متقلبة لا أمان لها، وهذه الجملة أيضا تشتمل على تنافر حاصل بين الدنيا وفكرة القلب، لأنّ الدنيا أحوال الناس فيها متقلبة، فلا يدوم شيء من الأشياء على حاله إلى الأبد، فالعمر إلى زوال، والشباب إلى زوال والصحة إلى زوال وحتى المال لا

¹ موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان - واسطة السلوك - ص 18.

² المصدر نفسه - ص 26.

يضمن صاحبه أن يمتلكه إلى الأبد، وكذلك قلوب الناس وعلاقاتهم، وعليه ينصح الأديب ابنه بعدم الاستئناس إلى أي شيء في هذه الدنيا.

ومن أمثلة التنافر الاسمي دائما جاء قول أبي حمّو: «كما قالت الحكماء التجربة مرآة العقل والغرة ثمرة الجهل، ولذلك حمدت بعض آراء الشيخ حتى قالوا: «الشيخ أشجار الوقار وبنابيع المعرفة»¹ ويظهر الانزياح جلياً في قول الكاتب: التجربة مرآة العقل والغرة ثمرة الجهل والشيخ أشجار الوقار وبنابيع المعرفة.

والتنافر حاصل بين التجربة والمرآة، فالتجربة شيء معنوي لا يمكن أن يتناسب في المعنى مع شيء مادي كالمرآة، إلا إذا حاولنا فهمها بعيدا عن الانزياح الحاصل، فنتوضح الصورة بأنّ التجارب على علاقة متينة ومباشرة بالعقل، فإذا سلم العقل سلمت التجربة وصلحت والعكس صحيح، وأبو حمّو وهو الرجل المتمرس في أحوال الدنيا سلمها وحربها، وهو من خاض أعتى المعارك وعانى من أصعب المواقف يدرك جيّدا أهمية التجارب وأهمية التفرس فيها واستنباط الدروس منها ولا يكون ذلك إلا لذي عقل راجح ووعي وواضح يتمهل في خوض أيّ تجربة ثم إنّه بعد ذلك يحاول استخلاص العبر منها قدر الامكان، وعليه تكون فعلا التجربة مرآة للعقل تزيه ما غاب عنه من أحداث ووقائع.

ويسترسل الأديب ناصحا وليّ عهده بأغلى النصائح، فحين يقول: الغرة ثمرة الجهل، يريد أن يبيّن أنّ الغرور ثمرة جهل الإنسان، لأنّ الإنسان العاقل يعلم بأنّ الدنيا لا تدوم على شكل من الأشكال ولا لشخص من الأشخاص، فيترك الغرور جانبا، ويتحلّى بالتواضع.

وقوة التنافر الاسمي تزداد قوة في قول أبي حمّو: الشيخ أشجار الوقار، فهل يعقل أن يكون الشيخ أشجارا؟ نعم يمكن ذلك إذا أعدنا بناء الهدم اللغوي الحاصل بسبب الانزياح الاسنادي، فيبين المعنى المراد من وراء ذلك، وهو أنّ الشيخ في ثباتهم وتمهلهم وحكمتهم ووقارهم أشبه ما يكونون بالشجرة تثبت فروعها في الأرض عميقا، وهامتها للسماء متجهة في

¹موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان - واسطة السلوك - ص 47.

عزّ وجلال، ولعلّ أبا حمّو أراد أن ينبه ابنه إلى ضرورة تقدير الشيوخ أصحاب التجارب والعقول، وأن يأخذ برأيهم فيما استعصى عليه من أمور، فينهل من حكمهم وحسن تبصرهم. ويسترسل أبو حمّو قائلاً: «ينابيع المعرفة» والعبارة في وصف الشيوخ دائماً، وهو يريد بها أنّ هؤلاء الشيوخ بحكم طول أعمارهم قد نهلوا كثيراً من صنوف المعارف والتجارب والحكم، وهم بذلك مصدر معلومات كثيرة تخص شتى المواضيع بل مصدر لاجابة عن الكثير من التساؤلات، وهم بذلك أشبه ما يكونون بالماء الصافي الذي يسيل من النبع في سلاسة ونقاء.

2- التنافر الفعلي:

ويتمثل في حدوث عدم تواصل وخرق في المعنى بين الفعل وفاعله، فالمفروض أن ينسجما معاً و ان يتلاءم المعنى بينهما كقولنا: أقبل أحمد، أما إذا قلنا: أقبل الفرح، يحدث هنا التنافر في المعنى بسبب الانزياح الاسنادي الواقع في الجملة.

يقول أبو حمّو في صدد حديثه عن المصطفى محمد صلّى الله عليه وسلم: «الذي زويت له الأرض فتدانت أقطارها وهي نائية شاسعة، واشتاقت له المياه فبرزت بين أصابعه نابعه، امتثل السحاب أمره فسبح باستسقائه دررا هامية هامة، وحنّ الجذع له...»¹.

ويظهر التنافر الفعلي في قوله: «زويت له الأرض»، والتنافر حاصل بين الفعل زوي والفاعل الأرض، إذ لا يمكن بأي حال من الأحوال أن نطوي الأرض، إنّما يكون الطيّ للورق وما شابه، لكننا حين نتمعن العبارة بعد إعادة بنائها في أذهاننا نتبيّن أنّ المقصود هو أنّ الله عزّ وجلّ قام بإيصال سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام إلى البيت المقدس على ظهر البراق في وقت قياسي وكأنما طويت الأرض طياً فصارت القدس قريبة من مكّة المكرمة، وأبو حمّو أراد بعبارته تلك أن يؤكد على معجزة الاسراء وبيّين من خلالها قدرة المولى عزّ وجلّ على كلّ شيء.

ويبدو التنافر الفعلي أيضاً في قول الكاتب «اشتاقت له المياه» ومن المعروف أن فعل الاشتياق منسوب للإنسان لأنّه وحده القادر على الاحساس به، ومن جهة أخرى المياه شيء

¹ موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان - واسطة السلوك - ص 18.

مادي لا يمكنها الاتصاف بخصائص الكائن الحي، ومن هنا يحدث التنافر الفعلي بين الفعل اشتاقت والفاعل "المياه"، والأديب يلمح بهذه العبارة إلى ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم في السنة من أخبار تكثير النبي الكريم للماء من بين يديه، وهي من أعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم.

ويتجلى الانزياح الاسنادي دائماً في قول الأديب (امتثل السحاب لأمره)، فالامتثال للأوامر يكون للبشر لا للظواهر الكونية، وهذا ما يعدّ خرقاً للانسجام بين الفعل والفاعل، ممّا أوجد تنافراً فعلياً، وهذه العبارة كذلك أراد بها أبو حمّو تبين بعض معجزات النبي الكريم وهي معجزة استجابة السحاب لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بهطول المطر، و الجلي هنا أنّ الكاتب يخرج عن المعتاد لينشئ أدواراً جديدة للفظ بحسب توظيفه في غير سياقه.

ويعود الكاتب مرة أخرى ليحدث تنافراً فعلياً بين الفعل وفاعله في قوله: "حنّ له الجذع"، فكيف يمكن للجذع أن يحنّ وهو جماد فاقد للإحساس والشعور؟، ولكن أبا حمّو أراد من خلال عبارته تلك تبين المعجزة التي خصّ بها المولى عزّ وجلّ نبيّه الكريم وهو زرع محبته صلى الله عليه وسلم في كلّ شيء حتّى في الجماد.

وفي موضع آخر يورد الأديب جملة أخرى تتضمن انزياحاً إسنادياً في قوله: «فلنقدم على جيشك أهل النجدة والبسالة، والشجاعة والجزالة ممّن مارس الحروب ودافع الخطوب، وصارع الأبطال، واقتحم الأهوال»¹

ويتجلى الانزياح في قوله: "واقتحم الأهوال"، إذ نلاحظ عدم تناسب في المعنى بين الفعل "اقتحم" وفاعله لأنّ فعل الاقتحام نستعمله في سياقات تتحدث عن الولوج إلى أماكن معينة بالقوّة والعنف، ومن جهة أخرى فإنّ "الأهوال" شيء معنوي لا يمكن أن نقارنه بشيء مادي محسوس، وما استخدام الأديب لهذه العبارة إلاّ من أجل اعطاء المعنى قوة تبرز الصفات العظيمة التي يجب أن يتحلّى بها قادة الجيوش من شجاعة وقوة وجرأة.

¹ موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان - واسطة السلوك - ص 102.

ويقول أبو حمّو في عبارة أخرى: «لا تخالطه الظنون ولا تماقله العيون، ولا تصوره الأوهام، ولا تحيط به الأفهام ولا يقدر قدره الأنام»¹ وهي جميعا صفات للمولى عزّ وجلّ، فقد نسب الكاتب المخالطة للظنون ولا يمكن للظنون أن تخالط أيّ شيء لأنها شيء معنوي، كما نسب التصور للأوهام، ومن المعلوم أنّ فعل التصور والتخيّل من صفات الإنسان، فلا يمكن للشيء المعنوي أن يتصور شيئا، كما أنّه نسب الإحاطة للأفهام، والإحاطة بالشيء هي أيضا من خصائص الكائن الحي من أمثال الإنسان والحيوان، والواضح من خلال عبارات الكاتب أنّه استخدم الانزياح من أجل تبيين عظمة ووحداية المولى عزّ وجلّ وارتكز على التنافر الفعلي الحاصل لتدقيق المعنى وتوضيحه.

3- التنافر النعتي:

ونقصد بهذا النوع من التنافر عدم التناسب بين الصفة والموصوف في المعنى فحين نقول مثلا: "أحلام هنيئة"، يكون المعنى بن الصفة والموصوف منسجما، على عكس قولنا "أحلام وردية"، فمن الواضح أنّ التناقص بين النعت والمنعوت مفقود، لأنّ الأحلام شيء معنوي، لا يمكن له أن يضمّ صفة للأشياء الجامدة أو محسوسة كصفة اللون مثلا. وعليه فإنّ المتصفح لكتاب واسطة السلوك، يجده محتويا على عديد الجمل التي ضمّت بن جنباتها التنافر النعتي، من أمثال قول أبي حمّو «وتقدّم عليهم قائدا بصيرا بموضع الفرص والغزّة، قد مارس الحروب المرّة»².

والجليّ هنا التنافر الحاصل بين الموصوف "الحروب" والصفة "المرّة"، إذ لا يمكن أن يكون للحرب طعم، إلّا بعد اعادة بناء المعنى من جديد في أذهاننا بعيدا عن الانزياح الموجود في الجملة، فقط حينها ندرك بأنّ الخراب والحزن والألم الذي تخلّفه الحرب يجعلنا ننعته بالمرارة، هذا الوصف القاسي للحرب جاء من معاناة أبي حمّو الطويلة من ويلات المعارك، فقد خاض قرابة الثلاثين عاما حروبا منقطعة مع بني مرين، جعلته يفقد الأحبة والأبناء، وقد شاهد عاصمة ملكه تؤخذ منه غصبا مرات عديدة، كما شاهد الخراب الذي لقيته على يد أعدائه بعد

¹ موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان-المصدر السابق -ص17.

² المصدر نفسه -ص104.

استعادتها، إذا، فأبو حمّو أكثر من يعرف طعم الحرب وأكثر المدركين لما ينجّر عنها من مآسي ودمار لا تسلم منه البلاد ولا العباد.

ولا نغادر التنافر النعتي حتى نعرّج على قوال الكاتب «فأسعفناهم بما طلبوا من العفو وسوغناهم من الأمان العذب»¹ فعدم الانسجام بين النعت "الأمان" والمنعوت "العذب" واضح جدا هنا أيضا، فكيف يمكن أن يكون الأمان عذبا؟ وهل هناك أمان غير عذب؟ طبعا ما يقصده الأديب من وراء هذا الانزياح، هو أن يعلي من قدر نفسه وهو يتحدث على عفوّه عن أعدائه، هذا العفو التام، جعلهم يشعرون بأمان كبير، جعله أبو حمّو من خلال التنافر النعتي عذبا، عذوبة التسامح الذي حظي به أعداؤه على يديه، بالرغم مما عاناه الأديب من خيانة وغدر من قبل هؤلاء.

ولا يكفّ أبو حمّو عن تنويع تشكيلاته اللغوية، حتى يصوغ تنافرا نعتيا جديدا في قوله: «تغال دونك الأبصار اللامعة والأفكار الطامحة»²، لقد نعت الكاتب الأفكار بالطموح، وهل يعقل أن تطمح الأفكار؟ نحن نعلم أنّ الطموح إنما يكون للإنسان الذي لا يكفّ عن طمعه في هذه الدنيا، فكلما تحصل على شيء طمح وطمع فيما هو أكبر، وعدم الانسجام بين النعت والمنعوت هنا، يحيلنا إلى الغرض من وراء هذا الانزياح، فلعلّ أبا حمّو أراد أن يدفع وليّ عهده إلى ضرورة الانتباه والحذر ممن يحيطون به، فيكون متفرسا في نواياهم وأن يتمعن جيّدا في كلامهم وأفكارهم، فيأخذ حذره، ويكون مستعدا دائما لمقابلتهم بما يستحقونه في اللحظة المناسبة.

ويسترسل أبو حمّو في تلوين النعوت بحسب أغراضه، فيقول في موضع آخر «فإذا رأيتّه اصفرّ وجهه، حين أعفيتّه من القضاء، فتزداد يقينا بأنّه على القضاء حريص»³ لقد نعت الأديب وجه القاضي بالاصفرار وفي هذا مبالغة شديدة، فالوجه لا يمكنه أن يتحوّل أصفرا إذا ما انفعل صاحبه، والعلاقة بين النعت والمنعوت هنا غير منسجمة، لكننا حين نتفحص المعنى

¹ موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان-المصدر السابق -ص34.

² المصدر نفسه -ص84.

³ المصدر نفسه -ص176.

بعيدا عن الانزياح الموجود ونعيد بناء العبارة في أذهاننا، يتوضح لنا غاية هذا التنافر، وهو تبين مدى تغير ملامح القاضي وعبوس تعابير وجهه إذا مال قام الملك بعزله، وهنا تظهر رغبته الشديدة في ممارسة القضاء وحرصه الكبير عليه، وهذا مناف لأخلاق القضاة العدول الصالحين لأنّ القضاء بالنسبة لهم هم وغمّ وهو في منظورهم الخاص تكليف لا تشريف. وعليه أن يبدي القاضي ذلك التغير في تعابير وجهه هو دليل على أنه غير أهل للقضاء، وأنّ عزله صار ضرورة حتمية، فمن خلال هذا التنافر النعتي يريد الكاتب أن يقدم لابنه خلاصة تجربته الخاصة في التعرف على حقيقة الناس والتمييز بينهم، لعلّه بذلك يتمكّن فيما تقدم من الأيام من حسن اختيار قضاة ورجال دولته.

4- التنافر الإضافي:

وهو حدوث عدم انسجام في المعنى بين المضاف والمضاف إليه بسبب الانزياح الاسنادي، كقول الكاتب: «يا بني، لبس ثياب العفة، وارتد برداء الوقار، وتتوج بتاج الحياء، وتزيّن بزّي السكينة، وتقلّد بصارم العدل، وتحلّ بحلية الكرم وتختم بخاتم الهيبة»¹. لقد أورد أبو حمّو في هذه الفقرة أمثلة عديدة عن التنافر الإضافي في المواضع الآتية: ثياب العفة، "رداء الوقار"، "تاج الحياء"، "زّي السكينة"، "حلية الكرم"، "خاتم الهيبة"، استطاع الأديب في الأمثلة السابقة أن يضيف وبجدارة أشياء مادية إلى صفات معنوية، محدثا بذلك تنافرا واضحا بين المضاف والمضاف إليه، إذ جعل للعفة ثيابا، وأنّى يكون للعفة ثيابا؟ بل هو ينصح ابنه بملازمة العفة والاتصاف بها دائما، لا يفارقها، حتّى تكون له بمثابة الثوب الذي يستره، كما ينصح باتخاذ الوقار هيئة وخالقا فيجعله كالرداء الذي يتجملّ به، أمّا الحياء فهو زينة أيّ شخص، وعليه يطلب من ولي عهده أن يتخلق به ويجعله كالتاج الذي يزيّن به رأسه. ولأنّ السكينة من صفات النفس المطمئنة، ها هو أبو حمّو يوجه ولده لاتخاذها زيا، والهدم اللغوي الحاصل هاهنا يجعل القارئ يعيد بناء العبارات السابقة في ذهنه حتى يتمكّن من ادراك غاية الأديب من كلّ واحدة، هذا الادراك الذي يعينه على فهم مقصود الكاتب من قوله "حلية

¹ موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان - واسطة السلوك - ص 23.

الكرم" و"خاتم الهيبة" والتي يعني بها الاتصاف بخاصية الكرم والجود فهي من مكارم الأخلاق، كما يحثه على أن يجعل لنفسه هيبة دائما أمام الناس فلا ينسى أبداً أنه ملك.

ودائماً في نفس النوع من التنافر أورد الكاتب عينات أخرى منه حيث قال: «يا بني من تدرع بدرع العدل، وقى شرّ العداء، ومن تلبس بلبس الجور سقى كأس الردى»¹، لقد أوضح الكاتب في هذه العينات ماهية التنافر الاضافي بصورة جلية للعيان، حيث أضاف "الدرع للعدل"، وهو فعلا كذلك، حيث ينبه أبو حمّو إلى أهمية العدل فهو أساس الملك والملك الذي تحصن بحصن العدل كان له درعا أمام غضب الرعية وانقلابها على السلطة، لأنّ الملك العادل محبوب بين رعيته، تقدم له وفاءها وإخلاصها، بل تقف إلى جانب ملكها مدافعة عنه إذا ما لحق به أيّ تهديد، وعليه، يحقق هذا التنافر فكرة قوية قوّة المعنى الذي أفادته.

كما جعل الأديب من خلال الانزياح الاسنادي الحاصل في عبارة "لبس الجور" للظلم لباسا يهلك صاحبه فيسقيه "كأس الردى"، و للعبارة قوة واضحة إذ مكّن هذا التنافر الاضافي أبا حمّو من تحذير ولي عهده من أخطار الظلم على الحاكم وتذكيره بتبعات ذلك، فالملك الظالم عند أبي حمّو يردي نفسه دون أن يلاحظ، فكم من أمة إنقلبت على حكامها بسبب الظلم المسلط عليها و الذي يعطيها إحساسا بالقهر يمدّها بقوة عظيمة لا يمكن لأي جيش من الجيوش التصدي لها، وقد أنشأ الأديب من خلاله عباراته السابقة شكلا من عدم الانسجام والتواصل بين المضاف والمضاف إليه أعانه على إيصال المعاني التي اختارها إلى ابنه بكل يسر.

ولا يبرح الشاعر التنافر الاضافي حتّى يعرج على هذا المثال: «يا بني إنّ الاغترار بالدنيا باطل، فاركب لها جواد الحق»²، ففي جملة "جواد الحق" تنافر واضح يكشف عن انزياح حاصل في سياق الكلام، إذ ليس من المنطقي أن يكون للحق جواد، وإنّما جاءت العبارة لتقوي المعنى الذي تضمنته، فأبو حمّو حريص أن يمتلك ولي عهده أجمل الصفات وأن يتزيّن بأكمل

¹موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان-المصدر السابق -ص23.

²المصدر نفسه -ص26.

الأخلاق، وعليه، أليس الحقّ أعظم ما يمكن للإنسان ركوب جواده حتّى يتحصن من مغريات الحياة الدنيا وزخرفها الزائل؟.

وفي ختام هذا العنصر من الانزياح، والمتمثل في الانزياح الاسنادي، يمكننا القول، أنّ أبا حمّو استخدم هذا النوع من الانزياح بصورة واسعة، فجاء كتابه متلونا بالانزياح الاسنادي بكل أنواعه، وقد أظهر ذلك قدرة الكاتب على استخدام اللّغة وتوظيفها كيفما يشاء خدمة للأفكار والمعاني التي يؤمن بها.

2- الانزياح الدلالي:

يقول "جون كوهن" عنه أنّه «مجموع التآليفات المتحققة لكلام ما»¹ ويستدل على الانزياح الدلالي بمثاله التالي: الإنسان ذئب، فهو انزياح دلالي نوعه مجاز مرسل، فلا يمكن أن يكون ذئبا لأخيه الإنسان، إلّا إذا إنتقلنا بالدلالة إلى مستوّا آخر بعيدا عن الانزياح الحاصل في الصورة البيانية لكي نفهم أنّ المقصود بالمعنى: الإنسان الشرير.

ولقد اعتنى النقد قديما وحديثا بالصورة الشعرية، ومن بين آراء القدماء حولها قول الجرجاني في التصوير: «ومعلوم أنّ سبيل الكلام سبيل التصوير والصّياعة، وأنّ سبيل المعنى، المعنى الذي يعبر عنه، سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه، كالفضة والذهب يصاغ منهما خاتم أو سوار»².

أما من بين آراء المحدثين أحمد حسين الزيات بقوله: «والمراد بالصورة إبراز المعنى العقلي، أو الحسي في صورة محسّنة، وهي خلق المعنى والأفكار المجردة، أو الواقع الخارجي من خلال النّفس خلقا جديدا»³.

وقد عدّ النقد الحديث الصورة الشعرية معيارًا من معايير الشعرية، أمّا النقاد العرب القدامى فقد جعلوها في باب الصورة الفنيّة من أمثلة: الاستعارة والتشبيه والكناية وغير ذلك.

¹ جان كوهين- بنية اللغة الشعرية- ص106.

² الجرجاني- دلائل الإعجاز- ص254.

³ أحمد حسين الزيات- دفاع عن البلاغة- عالم الكتب- ط2- 1967- ص.62.

وتتركز الدراسة في هذا الجزء من البحث على الوقوف عند الانزياح الدلالي الكائن في التشبيه والاستعارة، ومحاولة قراءة الانزياح الذي تشكل من خلالهما.

1- التشبيه:

يقول ابن رشيق في العمدة عن التشبيه أنه «صفة الشيء بما قاربه وشاكله، من جهة واحدة أو جهات كثيرة، لا من جميع جهاته، لأنه لو ناسبه مناسبة. كناية كان إياه»¹، ومن الطبيعي أن يكون مصدر التصوير عامة بما فيه التشبيه هو خيال المبدع الخصب الذي يمكنه من الانتقال بالتصوير العادي إلى التصوير الفني لأن «الصورة الشعرية لغة يكونها خيال الفنان من معطيات متعددة، يقف العالم المحسوس في مقدمتها»².

وصور التشبيه عند أبي حمّو متعددة بتعدد مصادرها ومضامينها، استخدمها الكاتب في كلّ أبواب واسطة السلوك، لأنه لا مفر من التشبيه عندما يريد أن يشرح ويوضح آراءه لولده وولي عهده، لذلك يتخذ من التمثيل سبيلا لبلوغ غايته.

وأول ما نستشهد به من تشبيهات أبي حمّو قول الكاتب «إنّ الملك بلا جيش كالأرض لا نبات لها و الطائر لا ريش له»³، نلاحظ في هذه العبارة صورا مكثفة الدلالات ساهمت فيها الألفاظ بتعميق دلالة التشبيه وتوسيعها وتأكيدها من خلال الانزياح الحاصل فيها وهو ما وهب التشبيه جمالا وإيحاءً يزيد من جمال العبارة ويقوي معناها، والغاية من هذا الانزياح الدلالي ومن هذا التشبيه أن يبين أبو حمّو لابنه أهمية الجيش بالنسبة للملك، حيث يجمع الانزياح هنا بين الملك والأرض، والملك والطائر، لينتقل التعبير من العادي إلى الفني، لأنّ التعبير العادي لا يجد أيّ علاقة بين ملك وجماد أو ملك وكائن حي، إلّا في حالة ربط المعنى بعيداً عن الانزياح الحاصل في التعبير، فالأرض بلا زرع ميتة لا حياة لها، والطائر بلا ريش عاجز عن الطيران

¹ ابن رشيق القيرواني - العمدة في محاسن الشعر ونقده - ج1 - تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد - طبعة مطبعة السعادة - ط2 - 1963 - ص286.

² علي البطل - الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري - طبعة دار الأندلس - ط1 - 1980 - ص30.

³ موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان - واسطة السلوك - ص31.

الذي خلق من أجله، وكذلك حال الملك بلا جيش فهو لن يستطيع تأسيس ملك أو حمايته من الأخطار بلا جيش يسانده في ذلك.

وفي صدد الحديث عن علاقة الملك والوزير بالرعيّة، استخدم أبو حمّو التشبيه التالي قائلاً: «وقد قالت الحكماء: مثل السلطان كمثل الطبيب والرعيّة كالعليل والوزير كالسفير بين الطبيب والعليل»¹.

لقد استعمل الكاتب أكثر من تشبيه ليوضح العلاقة القائمة بين السلطة والرعيّة، أوردها الأديب لتصعيد الدلالة وتعميق المفارقة بين عناصر التشبيه، فالانزياح الحاصل هاهنا منح اللّغة الشعرية توهجا وألقاً من خلال الانحراف الجمالي الوارد في سياق الكلام، فقد شبه أبو حمّو الملك بالطبيب والرعيّة بالمريض، فرخاء الرعيّة وسعادتها وخيرها بيد السلطان إذا كانت سياسة ملكه حكيمة، وعليه كان هو كالطبيب، وكانت الرعيّة كالمرريض الذي لا يمكنه الاستغناء عن وصفات الطبيب، كما يجعل الأديب من الوزير سفيراً بينهما، لأنّه الواسطة والرباط المباشر بين السلطان ورعيته، لأنّ هذا الأخير هو من يكوّن العلاقة المباشرة مع الناس، كمل يقوم الملك باستشارته في شؤون الدولة ويعمل بنصائحه، وهو أيضاً من يقوم بإيصال طلبات الرعيّة ويبلغ عن مشاكلها وهمومها للملك، الذي يتخذ من خلال وصف الوزير الحلول المناسبة لراحة رعيته وسعادتها.

ولا يحيد أبو حمّو عن نفس الموضوع ليستخدم تشبيهاً آخر يصف به وزير السوء وما يسببه من ضرر للناس: «ومثل الملك الصالح ووزير السوء الذي يمنع خير الملك الناس ولا يمكنهم من الدنوّ منه كالماء الصافي يكون فيه التمساح لا يستطيع المرء دخوله وإن كان سباحاً وللماء محتاجاً»²، والصورة التشبيهية هنا غاية في الحُبك، فقد منح الانزياح الدلالي الحاصل في العبارة جمالا وقوة في المعنى، وقد تمكّنا من الوصول إلى غرض الكاتب من هذا التشبيه، بعد إعادة بناء العبارة في أذهاننا، فتوصلنا إلى إيجاد الرباط بين تلك الكلمات التي لا يربط

¹-موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان-المصدر السابق -ص62.

²-المصدر نفسه -ص62.

بينهما إلاّ ذلك النسق اللّغوي الذي جعل علاقة بين الملك و الماء الصافي، ووزير السوء والتمساح.

وغاية فكرة الكاتب أن يبين أنّ صلاح الملوك وحده لا يكفي لصلاح حال العامة من الرعية ووصول خيره إليهم، فلا بد من صلاح الوزير لأنّه الخيط الذي يربط الملك بالرعية، فإذا كان هذا الأخير رجل سوء، منع خير وكرم الحاكم من الوصول إلى مملوكيه، والرعية في ذلك أشبه ما تكون بذلك الرجل شديد العطش الذي هو في حاجة ملحة للماء فهو يراه أمامه ورغم ذلك لا يقدر على الاقتراب منه لشدة خوفه من تمساح قد استقر داخل الماء الصافي.

لم يقتصر الأديب على توظيف نوع محدد من التشبيهات، إذ نجده ينوع في ذلك، فقد وظف الكاتب التشبيه البليغ في مواضع عديدة لأنّه أبلغ أنواع التشبيه والقادر على توضيح الأفكار في صور جميلة وموحية.

ومن أمثلة التشبيه البليغ قول الكاتب «وقيل كما أنّ الأبصار مرايا تتطبع فيها المشاهدات إذا سلمت من صدأ الآفات، فكذلك العقول مرايا تتطبع فيها الغايات إذا سلمت من صدأ الشهوات»¹، يبدو جليا من خلال الفقرة السابقة الانزياح الدلالي الحاصل في التركيب، فكيف يمكن أن تكون الأبصار أو العقول مرايا، إلاّ من خلال تجاوز هذا الانزياح إلى قراءة متمعنة في سياق الكلام، لندرك أنّ المقصود من هذا التشبيه ربط الأبصار بعمق الإنسان، فهي تترجم كلّ ما يكمن في النفس من أحاسيس ومشاعر، وتظهر كلّ ما حاول الإنسان إخفاءه، فتظهره للناس فاضحة صاحبها، وهي بذلك فعلا كالمرايا التي تطبع كل ما يقابلها من الأشياء فلا تخفي منها أيّ جزء أو جهة.

وكذلك الحال بالنسبة للعقول إذا سلمت من صدأ الشهوات تبين أفكار وغايات أصحابها، فالعقل مرآة صاحبه، فإذا سلم عقله فذاك دليل على صلاحه وتقواه، أمّا إذا كان صاحب شخصية سلبية أو ذات عيوب كثيرة، كان العقل حينها الشيء الوحيد الذي يفضح عيوب هذه الشخصية، لأنّ العقل زينة المرء ودليل استقامته. والمعبر عن شخصه ورغباته.

¹موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان-واسطة السلوك-ص64.

ويقول الكاتب في مثال آخر حول قدر الفقهاء: ثم الفقهاء لأنهم مصابيح الدين، وبهم اقتداء المسلمين، بهم تقام الشرائع، وتسدّ الذرائع...¹.

وصورة الانزياح الدلالي هنا واضحة جدا، فقد جعل أبو حمّو من الفقهاء مصابيحاً للدين، فجمع بين متناقضين في هذه المفارقة (المصابيح، الدين) وكيف يمكن لهما أن يجتمعا في معنى واحد؟ وهنا تبرز أهمية إعادة بناء الصورة التشبيهية بعيدا عن الهدم اللغوي الحاصل بسبب الانزياح الدلالي الحاصل في العبارة، وغاية الأديب من ذلك تبيين أهمية الفقهاء بالنسبة للناس، وأهمية الدور الذي يلعبونه في إقامة شرائع الله تعالى وهم في ذلك فعلا مصابيح الدولة لا غنى للخاصة والعامّة عنهم.

وعن فضيلة العقل يقول أبو حمّو في التشبيه التالي: «يا بني العقل شجرة من أشجار الأنس، فمن استظل بها ولازمها اجتنى منه ثمرة المحبة»²، لقد جعل الكاتب من العقل شجرة من أشجار الأنس التي تثمر محبة، فانتقل بسياق الكلام من التعبير العادي إلى التعبير الفني، مستفيدا من الانزياح الدلالي الحاصل في الجملة، وقد جعل الكاتب العقل سببا في نيل المحبة، لأنّ صاحب العقل الراجح محبوب ومقدّر عند الناس دائما.

ب - الاستعارة:

عرّفها الجرجاني قائلا: «الاستعارة ما اكتفي فيها بالاسم المستعار عن الأصل ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها»³، وتعد من أهم وسائل الابداع لأنها تمكّن الشعراء والأدباء من استخدام الخيال بصورة واسعة لينقلوا أحاسيسهم وأفكارهم بشكل جميل وموحي. ولقد عني أبو حمّو بالصورة الاستعارية، فتفنّن في رسمها وتشكيلها، فجاءت كثيرة في واسطة السلوك ومتنوعة بتنوع المصادر المستقاة منها إن كان في الطبيعة أو السيرة أو التاريخ أو القرآن والسنة.

¹ موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان - المصدر السابق - ص 111.

² المصدر نفسه - ص 26.

³ عبد القاهر الجرجاني - دلائل الإعجاز - ص 343.

وأول ما نستشهد به من الصور الاستعارية قول الكاتب عن إحدى معجزات محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «واشتاقت له المياه، فبرزت بين أصابعه نابعة»¹، ويظهر الانزياح الدلالي هنا في شوق المياه للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من خلال رسم الكاتب استعارة مكنية، جعل فيها الشوق للمياه، وكأنَّ المياه كائن بشري يشعر بالشوق والحنين، والصورة الاستعارية هنا، معبرة بحق، عن ذلك الحب الخفي للنبي محمد الذي جعله المولى عزَّ وجلَّ في القلوب، حتَّى الجماد كان يحبه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويشتاق إليه بطريقة ما والروايات في هذا الموضوع كثيرة، ذلك الشوق والحنين للنبي الكريم جعل المياه تتبع من بين أصابعه، وكأنَّها تريد لفرط حنينها ملامسة أصابعه الشريفة.

وأبو حمّو هنا إنّما أراد من خلال هذه الصورة الاستعارية الجميلة أن يشير إلى عظمة هذا النبي الكريم وعُلُوّ قدره عند المولى عزَّ وجلَّ، إذ أيّده بهذه المعجزة العظيمة، التي لم تكن وحيدة فقد ثبت في السيرة الشريفة روايات أخرى لمعجزات متعددة، كانت بمثابة دليل قويّ على نبوة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكل مكذب ومشكك.

ويستعين أبو حمّو مرة أخرى بالأسلوب الاستعاري ليرسم الصورة التالية «كان يقال لا تطمع في استصلاح الرذل»² وهذه الصورة تمثل استعارة مكنية جميلة، عرفت فيها الألفاظ انزياحاً واضحاً دفع بالمعنى إلى مخالفة السياق الكلامي، فقد تمثل الكاتب الإنسان الذي يسعى جاهداً في اصلاح الرذيلة وتطهير المجتمع منها، كالذي يحاول عبثاً استصلاحها، حيث جعل الرذيلة كالأرض التي لا تقبل استصلاحاً، وهي الأرض البور التي لا أمل في خصبها.

ولقد أراد أبو حمّو من خلال ما سبق أن يوجه عناية ابنه إلى صعوبة بل واستحالة إصلاح الرذائل في دولته، فهذا الأمر وضحته الحكمة السابقة، والحكم لا تصدر إلا عن مجرب ومتمرس في أحوال الدنيا، وإن كان يصعب الاصلاح، فما هو الحل بعد ذلك، هل يبقي الملوك الاعوجاج على حاله!، لعلَّ أبا حمّو أراد من ابنه أن يقرأ ما بين السطور، فإنَّ كان لا سبيل للإصلاح فلا مفرّ من الاستئصال، وربما هذا ما أراده الكاتب ولم يقله، فالمطلّع على

¹ - موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان - واسطة السلوك - ص 18.

² - المصدر نفسه - ص 70.

حياة هذا الملك الأديب يكتشف طول معاناته من أجل اصلاح أحوال مملكته والرقى بها إلى مصاف الحواضر المشهورة آنذاك، فقد تصدى للاعوجاج أينما كان في أحوال البلاد والعباد، فنجح أحيانا وأخفق أحيانا أخرى وعليه جاءت الصورة الاستعارية المعبرة تلك، كمثّل النتيجة النهائية التي خلص إليها الأديب من خلال تجاربه الخاصة في هذا المجال.

الانزياح الدلالي من أهم الوسائل الابداعية، فهو يعمل على استخدام الخيال بصورة واسعة، مما يضيف على العمل الفني جمالا وحيوية، من خلال التناقض الذي ينتج عن عدم تناسب السياق مع المعنى، إلا بعد اعمال خيال القارئ واكتشافه للسمات الجمالية لهذا الانزياح؛ وهذا ما يمكن أن نستشفه من خلال مثال أبي حمّو التالي وهو يقول: «ولا أسمى من همم نظرت بحسن السياسة و بتدبير الرئاسة»¹.

لقد عبرت هذه الصور الاستعارية بحق عن الانزياح الدلالي الحاصل هاهنا، فقد جعل أبو حمّو للهمم عيوننا تنتظر بها إلى شؤون السياسة، وكأنّ هذه الهمم كائن حي عاقل يمكنه من النظر في أحوال الملك بل والتدبر فيها.

أراد أبو حمّو أن يبيّن أهمية علو همّة الملوك في التدبّر في شؤون الرئاسة وأحوال السياسة، وذلك من خلال التمعّن والنظر الدقيق في كلّ صغيرة وكبيرة، فلا يترك شيئا للصدف، فيعطي لكل شيء قدره ويسوس شؤون البلاد والعباد بحكمة وتروّي، وبذلك يحصد الخير له ولمملكته.

وبالنسبة للكاتب الذي اعتلى الحكم ما يزيد عن الثلاثين عاما، يعدّ حسن التبصر في شؤون السياسة من أسمى الصفات التي يمكن لأي حاكم أن يتصف به، بل هو من أهمها، فليس هناك أسوأ من ملك أعمى لا يمكنه النظر بحكمة في أحوال ملكه، ومثّل هذا الحاكم يجني على نفسه وعلى سلطانه بيديه.

¹موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان - واسطة السلوك - ص 18.

ولا نبرح الاستعارة دائماً، حيث يعتمد أبو حمّو هذه المرّة إلى رسم صورة استعارية يهدف، من خلالها إلى توضيح المعنى الذي يقصده فيركب الانزياح الدلالي مطيّة إلى ذلك، يقول الكاتب «لا تكثر مجالسة النساء لئلا يفسدن عقلك بعقولهن، ويسرق طبعك من طباعهن»¹.

نجد مفارقة كبيرة في عبارة "ويسرق طبعك من طباعهن" بين السرقة والطبع، حيث ربط ألفاظ هذه الجملة عبر خيط غير منطقي خفي تتلاحم فيه لتكوّن دلالات ومعان تسمو عن النمط المألوف، وتتخبط فيه المعاني التي تكون أشبه برسالة مشفرة يجب فكّها حتّى نفهمها وذلك من خلال الجمع بين شيئين لا رابط بينهما في الواقع.

فأيّ علاقة تلك التي تربط السرقة بالطبع، إلّا إذا أعدنا قراءة العبارة بعيداً عن الانزياح الحاصل فيها، وحينها تتولد رابطة بينهما إذ أنّ الإنسان حقيقة يتأثر بطباع من يخالطهم ويكثر مجالستهم فتأخذ طباعه شيئاً من طبائعهم وكأنّه يسرق منهم دون أن يشعر، وأبو حمّو من خلال هذا التصوير إنّما يريد أن يتّبه ابنه من خطورة مجالسة النساء كثيراً، فلعلّ بعض الصفات الأنثوية تتسلل إليه وهو في غفلة من ذلك، فكل خاصية أنثوية قد تنتقل إليه يفقد بموازاتها صفة من صفات الرجولة، حيث أنّ شخصية النساء واهتماماتهن وأولوياتهن مختلفة عما يناسب الرجال، ومن هنا نشأ الفرق بينهما، وللمحافظة على هذه الخصوصية يجب استقلال كلّ واحد منهما عن الآخر.

يستعمل أبو حمّو اللّغة بطريقة جديدة يتواصل بها بصورة معينة، توقظ عند المتلقي لونا خاصا من الفهم الذي لا يقرأ من السياق النثري العادي، فيستخدم الانزياح الدلالي من أجل إيصال رسالته بالطريقة التي اختارها، فيقول الكاتب في موضع آخر من كتابه «... ويعظموك إذا أظهرت لهم البسط والإيناس، فإذا إتصفوا بهذه الصفات، وتميزوا بهذه السمات، تباهت بهم الخلافة، وزادتهم رفعة وأناقة»².

ففي هذه العبارة يربط الأديب بين لفظتي "تباهت والخلافة" التي تخرج عن نظام المعجم اللّغوي لتكتسب دلالات جديدة يوجدها السياق الذي وجدت فيه، فهو يعبر عن رؤيته الذاتية

¹-موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان-المصدر السابق -ص26.

²-المصدر نفسه -ص84.

للحياة بلغة موحية وغامضة بدل لغة التصريح والإيضاح، لأنّ اللغة بالنسبة له فضاء خصب يللم به أجزاء المعنى، ليتمكن من إيصال الفكرة التي يقصدها.

وعليه أيّ علاقة تلك التي تجمع بين "الخلاقة والمباهاة"، إلّا إذا أعدنا بناء المعنى في أذهاننا بعيدا عن الانزياح الدلالي الحاصل في العبارة، فنتبين الصورة الاستعارية ونتضح غاية أبي حمّو، إذ يرى أن الجلساء الناصحين، والذي ثبت إخلاصهم ووفائهم للملك، صاروا زينة للخلاقة تتباهى بهم، ومن هنا يتوضح ذلك الخيط الرفيع الذي جمع بين اللفظتين المختلفتين، لقد استطاع أبو حمّو من خلال هذا التصوير الاستعاري أن يجعل الخلاقة كالإنسان الذي يعجبه الأمر فيستصيغة ويستحسنه؛ فيتباهى ويفتخر، ولعلّ أبا حمّو يؤكد من خلال هذا التصوير على أهمية الجلساء بالنسبة للسلطان، فهم أصحاب العلم والأدب والفقّه والسياسة، يجتمعون حول السلطان فيثرون المجلس بكل أنواع المعارف والحكم والتجارب الخاصة.

وبعد هذه الدراسة نستخلص، أنّ واسطة السلوك قد حفل بألوان الانزياح الدلالي الذي يثير في النفس الغرابة بسبب أبعاده الدلالية المختلفة، وهو يعدّ من أعظم ظواهر الانزياح، لأنّه يمنح اللّغة العادية خصوصية وتوهجا، يجعلها لغة خاصة تختلف عن اللّغة العادية، إذ يمنح الانزياح النصوص الأدبية جمالا وبعداً فنيا يتأتى من خلال تفاعل المتلقي مع النص.

ج- الانزياح التركيبي:

إذا عدنا للتعريف اللّغوي نجد أنّ لفظ التركيبي مأخوذ من الفعل المضّعف (ركّب) وهو بمعنى «ركبه تركيباً وضع بعضه على بعض فتركب وتراكب»¹ ويقول ابن منظور «ركبته فتركب، فهو مركب»².

أما التركيب اصطلاحاً فهو صلب علم النحو الذي يقوم على قوانين «يعرف بها أحوال التراكيب العربية في الاعراب والبناء وغيرهما»³.

¹ -الصاح- مادة (ركب).

² -لسان العرب- مادة (ركب) -دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد- العراق- 1986.

³ -علي بن محمد الجرجاني- التعريفات-- تحقيق الدكتور أحمد مطلوب - دار الشؤون الثقافية العامة -بغداد العراق

1986_ص22-23.

وتعتمد دراسة التركيب النحوي على دراسة أجزاء التركيب (المفردات) ثم بنية التركيب كلّها لأنّ التركيب لا يكون إلا من اجتماع المفردات¹ وقد اتفق النحويون على عملية الامتزاج بين أركان الكلام "بالتأليف" أو "التعليق" فالكلام عندهم ثلاث: حرف واسم وفعل «فإذا ائتلف منها اثنان فأفادا... سمي كلاما وسمي جملة»².

والملاحظ أنّ ما ورد من اهتمام النحاة بالمصطلحات النحوية يتعلق بدراستهم للألفاظ المفردة، كالفاعل أو نائب الفاعل أو المفعول به... فهذا لا يعني أنّهم قد أغفلوا دراسة المعاني التي تؤديها التراكيب باختلاف أحوالها، وإنّما كان قصدهم إبراز المعاني المختلفة التي يؤديها اللفظ في التركيب النحوي.

ولا بد أن نشير الى أنّ النحاة في تعريفهم للكلام والجملة، قد عبّروا عن عملية الضمّ بين طرفي الاسناد ب(التركيب) فمنهم من قسم الجملة الواقعة خبرا، فجعلها إما «فعل وفاعل، وإما مبتدأ أو خبر، أما الجملة المركبة من فعل وفاعل فنحو قولك: (ضربه زيد)...وأما الجملة التي هي مركبة من ابتداء وخبر فقولك: (زيد أبوه منطلق)»³.

وعليه إنّ دراسة البنى التركيبية وتجلياتها الأسلوبية يتركز على التحليل النحوي، ويقصد به مدى الابتعاد عن معيار النحو المعروف في الربط بين دوال التراكيب الأدبية، وهذا ما يضيف على العمل الأدبي قيمة فنيّة وجماليّة، إذ أنّ هناك «تركيبا يحمل من الفعالية والتأثير والدلالات ما لا يحمله تركيب آخر... وكلّما ابتعد التركيب عن المعيار حقق شعريّة أوسع شريطة ألا يخرج عن مواصفات اللّغة خروجاً نهائياً بحيث يدمر أنظمتها بحجة الشعريّة»⁴.

¹ محمد الأنطاكي- المحيط في أصوات العربية -مكتبة دار الشرق- ط1- بيروت- 1972- ص309.

² عبد القاهر الجرجاني(ت471هـ)- الجمل- حققه وقدم له: علي حيدر- دمشق- 1972م- ص40.

³ أبو بكر محمد بن السراج النحوي- الأصول في النحو- تحقيق: عبد الحسين الفتلي- مؤسسة الرسالة- بيروت- ط2- 1987- ص64.

⁴ سامح الرواشدة- قصيدة "إسماعيل" "لأدونيس" صور من الانزياح التركيبي وجمالياته-مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية-الجامعة الأردنية المجلد 30- العدد 03-ص468.

ونهدف من وراء هذه الدراسة فحص الوحدات اللغوية التي تكشف عن السمات الأسلوبية، وتساهم في منح الخطاب تميزه عن غيره من الأساليب، والكشف عن سبب استخدام الأديب بنى نحوية دون غيرها وصلة ذلك بما يريد أن يحمله من دلالات.¹

فدراسة التراكيب تعمل على الكشف عن الأبعاد الدلالية للنص، وما يتضمنه السياق الأسلوبي من ثراء دلالي وعمق في الرؤية الشعرية، وذلك من خلال دراسة الجملة باعتبارها تمثل تركيباً يستمد حضوره من وجوده جنباً إلى جنب مع جمل وتراكيب أخرى.²

«ويعد الانزياح التركيبي من الملامح الأسلوبية البارزة التي تصب في باب الشعرية»³ وهذه الظاهرة الأسلوبية تركز على خرق القوانين المعيارية للنحو بغية تحقيق سمات شعرية جديدة.⁴

1- القصر والاستثناء:

وهو المخرج تحقيقاً أو تقديراً من مذكور أو متروك بـ " إلاّ " أو ما في معناها بشرط حصول الفائدة⁵ و«يعدّ القصر والاستثناء ظاهرة أسلوبية عند أبي حمّو، تكرر في عدة مواضع، نستهلها بقول الكاتب «فلا سلطان إلاّ بالجيش ولا جيش إلاّ بالمال، و لا مال إلاّ بالجبايا ولا جبايا إلاّ بعمارة ولا عمارة إلاّ بالعدل»⁶.

نلاحظ فيما سبق من أمثلة أنّ ملامح أبي حمّو الملك الحاكم تبدو بارزة، تمثلت في جملة من النصائح حول أسس الملك ودعائمه، لقد استعمل الأديب تجربته الخاصة في عالم السياسة حتى يتمكن من توضيح أفكاره وآراءه، وقد جعل في سبيل ذلك أسلوب الاستثناء مطية يركبها للولوج إلى مبتغاه، وقد جاءت الجمل المستثناة قصيرة متتالية، لأنّ الكاتب يرى في تلك

¹ انظر: بنية القصيدة- عبد الهادي زاهر- مجلة كلية الآداب- جامعة صنعاء- العدد 03- 1981-ص227.

² انظر: الأسلوبية ونظرية النص- إبراهيم خليل- المؤسسة العربية للتوزيع والنشر- بيروت- ط1-1997-ص140.

³ سامح الرواشدة- فضاءات- دراسة نقدية في ديوان أمل دنقل-المركز القومي للنشر-د. ط-ص53.

⁴ المرجع نفسه-ص183.

⁵ ابن هشام- أوضح المسالك- ج2- دار الجيل للنشر والتوزيع- ط5-بيروت- د.ت- ص249.

⁶ موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان- واسطة السلوك-ص141.

العناصر السياسية وحدة شاملة لتحقيق حكم ناجح؛ لذلك عمد إلى ربطها ببعضها، وليبرز مدى أهمية جعل الجملة قصيرة، لأنه يريد شدّ انتباه ولده حتّى لا يتشتت بعيدا عن هذه النصائح . فالسلطان عند أبي حمّو لا تقوم دعائمه إلاّ بالجيش القوي الذي يظهر ولاء تاما للسلطان، لكنّ هذا الأخير نفقاته كثيرة، لذلك فهو في حاجة ماسة للمال؛ ومن بين أهم مصادر المال: الجباية التي تؤخذ من عامة الناس، واشترط الكاتب للحصول على الجبايا أن تقوم عمارة، تلك العمارة التي لا تزدهر ولا تستقر وتتطور إلاّ بالعدل، وقد جعل هذا الأخير أساس كلّ خير وتطور قد تشهده أي مملكة.

ومن الجلي بعد تحليلنا ذاك، أنّ أبا حمّو قد تعمّد استخدام أسلوب الاستثناء المتتالي، والذي يمثّل انزياحا واضحا في الفقرة السابقة، أضفى على السياق العام تنوعا في التركيب أدى بدوره إلى تعدد دلالات الفقرة.

يعدّ المال بالنسبة لأيّ ملك دعامة الحكم الأساسية، فمن دونه لا يمكن لأحواله أن تستقيم، لذلك يؤكد أبو حمّو هذا المعنى لابنه قائلا: «واعلم يا بني، أنّه ينبغي لك أن لا تتفق مالك إلاّ في حقه ولا تخرجه إلاّ في مستحقه ولا تعطيه إلاّ فيما يصلح عليك ويجلب المنفعة إليك»¹.

يخشى الأديب أن يجهل ولي عهده قيمة المال، فيهدره فيما لا يجلب منفعة له أو للمملكة، ولأنّه حريص أن يوصي ابنه دائما بما يؤسس لمُلك قويّ وناجح، فهو لا ينفك يزوده بتلك النصائح التي تمثّل خلاصة تجاربه بنجاحاتها وأخطائها، ونلاحظ أنّه يعمد للاستثناء والقصر وسيلة يجدها كفيلا بإيصال مبتغاه.

وعليه ينبه الكاتب إلى ضرورة استعمال المال بعقلانية وأن يتجنب إنفاقه على من لا يستحقه، كما يفعل بعض الملوك السفهاء الذين يهدرون أموالهم في وجوه لا فائدة ترجى منها كفاخر الثياب وكثرة العطايا بلا سبب وجيه، أو على مجالس اللّهو والفساد ولذلك هو يدعو إلى تبيين مواطن إنفاق المال فيما يجلب المنفعة له.

¹ موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان-المصدر السابق -ص145.

لقد استطاع أبو حمّو من خلال الانزياح السابق أن يظهر وجهة نظره حول ضرورة صلاح الملوك في تعاملهم مع إنفاق المال، كما أظهر خوفه من أن يكبر ولي عهده ليصبح ملكا مفسدا يتسبب بجهله في القضاء على ملك سعى الكاتب طويلا وبمرارة لتأسيسه وإقامة دعائمه القوية.

ونبقى دائما مع الاستثناء بـ"إلا" فقد عمد الأديب إلى استعماله مرة أخرى في صدد الحديث عن صفات الوزير الجيد، حيث يقول: «فإن كان لا يغضب إلا من شدة الأمور، ولا يكثر إلا بأمر مشهور، ... فيقابل جميع ما يصدر عنك بالقبول، ويتلقاه بالسرور المأمول، إلا فيما يضرّ بك فلا يوافق عليه»¹.

يخشى أبو حمّو من أن يحيط وريثه نفسه بمجموعة وزراء لا يقومون بالدور المنوط بهم فيتقاعسون في خدمة شؤون الدولة والاهتمام بأحوال الرعية فيكونون خطرا كبيرا على الملك واستقراره، فهو يدرك أهمية الوزير الجيد الذي يخلص في خدمة البلاد والعباد، وأحسن الوزراء هم من تتطور بهم الممالك وتزدهر بهم أحوالها، لذلك يوظف الكاتب مجموعة جمل قصيرة متتالية يبيّن فيها لابنته بعض أوصاف الوزير المخلص، وقد ورّع فيها أسلوب القصر والاستثناء ليؤكد على الفكرة، فهو يستثني على الوزير أن يغضب إلا من أمور عظيمة وفي مواقف خطيرة،

كمال يستثني عليه الاكتراث إلا لما جلّ من الأحداث وعظم من المواقف، ويستثني عليه أيضا أن يعارض الملك في أيّ أمر، إلا فيما قد يضر به أو بالملك، فحينها فقط عليه أن يقف معارضا وناصحا.

إنّ حرص الأديب على استعمال "إلا" في عباراته مكّنه من توجيه عناية ولي عهده إلى ضرورة تخيير الوزراء الصالحين فهم وحدهم القادرين على إعانتته في التأسيس لملك عادل وعزّ دائم.

¹ موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان-المصدر السابق -ص171.

ولأنّه بالرفق يملك الحاكم قلوب الرعيّة، يوصي أبو حمّو وليّ عهده، مستخدماً أسلوب الاستثناء بـ"إلاّ" دائماً، فيقول: «يا بني خذ المال من حقّه وانفقه في مستحقّه، تكن أعدل الناس، وأفضل ملك وساس، فما كان الرفق في شيء إلاّ زانه، ولا كان الخرق في شيء إلاّ شأنه»¹. يربط أبو حمّو "المال" هذه المرة "بالرفق" فيجعل لهذين اللَّفظين المختلفين والبعيدتين دلاليًا رابطًا يولده السياق الذي جمعهما، حيث يرى أنّ حسن التصرف في المال وحسن انفاقه على مستحقّيه من عامة الشعب وعلى أصحاب الحاجات والفقراء هو لون من ألوان الرفق، والرفق عنده زينة للإنسان يثبت رجاحة عقله وحسن خلقه وطيب نفسه، على عكس الخرق الذي جعله نقيضاً للرفق، فهو يشين صاحبه وينقص من قدره بين الناس.

نصائح أبي حمّو التي لا تنتهي حرصاً على نجاح ولده في مستقبل حياته كإنسان أو ملك، يؤكدها بأسلوب القصر والاستثناء الذي يمكنه وحده من حصر الفكرة المناسبة والمختارة من قبل الكاتب بين مجموعة أفكار مناقضة ومخالفة لمبتغاه، فهو قد تمكّن من حصر زينة الأشياء والأمور في "الرفق"، وقام بعكس الصورة لتوضيح المعنى أكثر، فحصر شين الأمور والأشياء جميعاً في معنى واحد وهو "الخرق"؛ إنّ الدلالات التي تتضمن الانزياح التركيبي الحاصل في العبارة السابقة، سمح لنا بالتعرف على أسلوب تفكير أبي حمّو وطريقة تحليله للأمور.

ويستعين أبو حمّو دائماً بأسلوب الاستثناء عند الحديث عن حسن السياسة والتدبير في كلّ الأمور الخاصة بالملك، يقول: «فلا تهجم على أمر إلاّ بعد فكرة ورويّة، ولا تتفدّ إلاّ عن بصيرة؛ لأنّ من طال تفكره حسن تدبره، ومن ركب العجلة، لم يأمن الكبوة والزلة إلاّ في انتهاز الفرصة...»².

يظهر جلياً حرص أبي حمّو على أن ينبه وليّ عهده من كلّ التصرفات والسلوكات التي يمكن أن تضر به أو بملكه، ذلك الحرص النابع من محبة والد لولده، لا يتمنى له إلاّ كلّ خير وفلاح في الدارين.

¹-موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان-المصدر السابق -ص29.

²- المصدر نفسه -ص58.

ويلجأ أبو حمّو إلى استعمال الانزياح التركيبي والمتمثل في استخدام أسلوب الاستثناء والقصر ليثري المخزون الدلالي للعبارة السابقة فيحصر المبادرة للقيام بأيّ أمر في "التفكير" والتمهل"، كما يقرن التنفيذ "بالتبصر"، فالعجلة عنده سبب كل اخفاق، وعليه يدعو ابنه إلى التمهّل والتريث في اتخاذ القرارات الصائبة، ومن ثمة التنفيذ الذي يكون عن فهم وبصيرة، وقد مكّن الانزياح التركيبي الحاصل في العبارة السابقة من قراءة الدلالات المختلفة التي تولدت عن استخدام أسلوب الاستثناء فيها، كما أمّطت اللثام عن ملامح شخصية أبي حمّو السياسية والأخلاقية أيضا.

ينتظر أبو حمّو من ولي عهده أن يكون ملكا عاقلا؛ ملما بكل خصال الرسل المخلصين الذين يمثلون السلطان والمملكة، وعليه يقول له ناصحا: «وإن كان العدو لم يقض لك تلك الحاجة... ، وشكره رسولك أو سكت عن شكره ولم يذمه بسببها، فتعلم أنّه ما شكره إلاّ لما أعطاه أو ما سكت عن ذمه إلاّ لما يرجاه.... فإنّ ذلك العدو إذا لم يسمح في جانبه منه إلاّ خيرا، فلا ينال إن عاد إليه الا كرامة وبرّا...»¹.

صار أسلوب القصر والاستثناء أداة إجرائية بيد الكاتب تمكنه من الولوج الى عمق دلالات الأفكار التي توحى بها عباراته بما تحمله من نصائح وتجارب وعبر، فها هو يوصي ولي عهده بالحذر من خيانة الرسل وطمعهم، ويبين له طريقة الكشف عن خبايا نفوسهم وسوء اخلاقهم وذلك من خلال التفرس في طريقة مخاطبتهم للعدو وكيفية تبليغهم للرسائل التي كان عليهم تسليمها.

انها بصيرة ابي حمو ورغبته الشديدة في تزويد ولي عهده بكل نافع ومفيد من تجارب سبق له ان خاضها ومواقف سبق له ان عاشها فاستقى منها العبر والدروس ولذلك نجده يكثر من استعمال القصر و الاستثناء وكانه رأى فيهما السبيل الوحيد لتأكيد كل فكره وكل معنى يحرص على ايصاله لولده الحبيب.

2- التقديم والتأخير:

¹موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان-المصدر السابق -ص182-183.

ويعدّ من أهم الظواهر الأسلوبية، وهي خاصية من خصائص الجملة العربية؛ فهو يمثل خرقاً وانحرافاً عن النمط المألوف لتكوينها؛ والغاية منه تقديم ما هو أهم وتأخير الأقل أهمية، وهذا ما يحدث انزياحاً في تركيب الجملة، إذ يختل ترتيب عناصر الجملة الإسمية والفعلية المألوفة.

وقد حظي التقديم والتأخير باهتمام النحويين والبلاغيين؛ رغم بعض الاختلافات التي ميزت آرائهم، لأنّ غاية النحويين من دراسته الوقوف على التغيرات الحاصلة في الجملة، أما البلاغيون والأسلوبيون كانت تهدف دراستهم له، الكشف عن دلالاته في الجملة، وتحديد الأبعاد الجمالية للنص.

ويعرفه الجرجاني قائلاً: «هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعه ويفضي بك إلى لطيفه، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه ويلطف لديك موقعه ثم تنتظر فتجد سبب أن راقك ولطفه عندك أن قدم فيه شيء وحول اللفظ من مكان إلى مكان»¹.

وعليه يلجأ المبدعون إلى هذه الظاهرة الأسلوبية من أجل إثراء نصوصهم وإبراز قدراتهم الإبداعية، فهو دليل على مدى بلاغتهم، وللمتلقي دور فيه كذلك لأنه من يتأثر ويتفاعل بالمعنى المتولد من تغيير مراتب الاسناد؛ وأمثلة ذلك كثيرة في واسطة السلوك حتى صارت ظاهرة أسلوبية فيه، وأول ما نختاره من نماذج التقديم والتأخير قول الكاتب «فإذا رأيته اصفر وجهه حين أعفيته من القضاء، فتزداد يقينا بأنه على القضاء حريص»².

نلاحظ الجملة الحالية الإسمية "اصفر وجهه" وأصل الجملة "وجهه اصفر"، وهذا الاختلال في ترتيب العناصر أحدث انزياحاً في التركيب، ويدل هذا التقديم على الاختصاص لأنّ القاضي الحريص على القضاء اختص بتغيير ملامح وجهه دون غيره، ولعلّ أبا حمّو أراد بهذا الانزياح إبراز ذلك اللون الأصفر الذي يدلّ على تغيير حال القاضي إلى الأسوأ.

¹- عبد القاهر الجرجاني- دلائل الإعجاز- - مكتبة الخانجي- القاهرة- طه- 1989- ص84-85.

²- موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان- واسطة السلوك- ص176.

وفي مقام آخر يقول أبو حمّو: «فماذا ترى فيما دعوتك إليه من توحيد الله عزّ وجلّ الذي أجزل من العقل حظك وفتق بالمعروف فكرك وأنطق بالحكمة لسانك وقطع بمحمد صلّى الله عليه وسلم عذرك»¹، والانزياح التركيبي واضح في خبر الجملة الاسمية النعتية "الذي أجزل من العقل حظك" وما جاء بعدها من جمل معطوفة "وافتق بالمعروف فكرك..." والانزياح واقع في تقديم المتمم المتمثل الجار والمجرور على المفعول به، في كلّ الجمل السابقة، وأصل الكلام هو "الذي أجزل حظك من العقل وفتق فكرك بالمعروف وأنطق لسانك بالحكمة وقطع عذرك بمحمد صلّى الله عليه وسلم، والمقصود بهذا الانزياح بيان أهمية المقدم ألا وهو المتمم في كلّ الجمل المذكورة لأته المقصود من وراء هذه النصائح.

وهذا مثال آخر يورده الكاتب ضمنه حكمة معينة يقول: «قالت الحكماء: للكثرة الرعب وللقلّة النصر»².

والتقديم والتأخير حاصل في تبديل الرتب في الجملة الإسمية جملة مقول القول الواقعة مفعول به للفعل "قالت"، حيث قدّم المسند "الخبر" للكثرة على المسند إليه "المبتدأ" الرعب، والأمر نفسه بالنسبة للجملة المعطوفة "وللقلّة النصر"، وأصل الكلام هو "الرعب للكثرة والنصر للقلّة"، وقد عمد الكاتب إلى التقديم حتّى يبرز أهمية الكثرة لتحقيق الرعب، فكلما كان الجيش كثير العدد إلّا وزرع الرعب في نفس العدو، لكن هذا لا يعني النصر دائما، لأنّ هذا الأخير يحتاج إلى كفاءة الجنود و شجاعتهم واقدامهم حتّى ولو كان عددهم قليلا وعليه قال الكاتب و"للقلّة النصر".

وعن أهمية الكتاب بالنسبة للممالك يقول أبو حمّو مستخدما التقديم ليزرر خصوصية هذا الفرد من رجال السياسة: «لأنّ الكاتب عنوان المملكة وبه تستبين الأمور المشتبكة، ومن كتابك يستدل على عقلك ويعترف بمعرفتاك وفضلك»³.

¹- موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان-المصدر السابق -ص96.

²- المصدر نفسه -ص102.

³-المصدر نفسه -ص85.

وكما هو مبين في المثال السابق، تعتمد الكاتب تقديم شبه الجملة "به" الواقعة متمم للفعل "تستبين" وفاعله "الأمر" والغاية من وراء هذا الانزياح أن يلفت أبو حمّو عناية ابنه إلى أهمية الكتاب بالنسبة للدولة، وإلى ضرورة حسن اختيارهم، من خلال ما يكتبونه من رسائل مختلفة الأغراض باسم الدولة، يمثلون آراء ومواقف الملك، ويعرف من طرائق كتابتهم مدى قوة المملكة وأوضاعها.

يرى أبو حمّو أنّ اختيار أعوان الملك، يجب أن يخضع لشروط ومقاييس معينة، يقول: «ممثلًا لما تبديه من أمر، حقودا على الأعداء إذا أمرت، ومنفذ الحكم فيما به أشرت»¹، وقد اشتمل المثال السابق على تقديم وتأخير في الموضع التالي: حقودا على الأعداء إذا أمرت، حيث قدم الحال "حقودا" والمتمم "على الأعداء" على الفعل "أمرت" وأصل الكلام هو: إذا أمرت حقودا على الأعداء؛ وكذلك فعل الكاتب حين قدم شبه الجملة (به) الواقعة مفعولا به على الفعل "أشرت"، والأصل أن يقول: ومنفذا الحكم فيما أشرت به؛ وغاية هذا الانزياح التركيز على أهمية صرامة الحاكم في تنفيذ ما عزم عليه من أمور.

ودائما مع التقديم والتأخير، يورد الكاتب: نموذجا آخر يقول فيه: «أنّه ينبغي لك أن تتخذ لنفسك معقلا يكون لك في المهمات مؤثلا»².

والملاحظ هاهنا، تقديم أبي حمّو للمتمم وتأخير خبر كان في قوله: يكون لك في المهمات مؤثلا والأصل في الكلام أن نقول: يكون مؤثلا لك في المهمات-حيث قدم "لك في المهمات" وهو متمم وأخر "مؤثلا" وهو خبر للناسخ كان، وغرضه تخصيص "المهمات" بالأهمية في مجمل المعنى.

وآخر ما نستشهد به في هذا المقام قول الأديب عن إحدى معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم: «اشتاقق له المياه»، فقد قدم أبو حمّو شبه الجملة "له" الواقعة مفعول به، على الفاعل "المياه" الذي أخر متعمدا، حتى يبرز أنّ المشتاق إليه هو "محمد صلى الله عليه وسلم"

¹-موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان -المصدر السابق -ص133.

²-المصدر نفسه -ص113.

بغض النظر عن المشتاق كائنا من كان، فكل الكون في شوق متزايد لا ينقضي للنبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

3- الالتفات:

هو الانتقال من ضمير إلى آخر، أو من أسلوب إلى آخر، ويقول عنه أبو هلال العسكري: «الالتفات على ضربين، فواحد أن يفرغ المتكلم من المعنى، فإذا ظننت أنه يريد أن يجاوزه يلتفت إليه، فيذكره بغير ما تقدم ذكره به.... والضرب الآخر أن يكون الشاعر آنذاك في المعنى وكأنه يعترضه شك أو ظن أراد أن يرد قوله أو سائلا يسأله عن سببه، فيعود راجعا إلى ما قدمه، فإما أن يؤكدّه أو يذكر سببه أو يزيل الشكّ عنه»¹.

وستشتمل دراستنا على العناصر التالية:

أ. الالتفات في العدد_ ب. الالتفات في الضمائر_ ج. الالتفات في الأسلوب_

أ- الالتفات في العدد:

والهدف من التنويع في استعمال العدد ليس المخالفة فقط، لأنها غير قادرة وحدها على توليد الشاعرية فلا بد «من أن تكون من وراء المخالفة قيم فنية وجمالية»²، ويمكن أن يكون الالتفات في العدد: بين الأفراد والجمع، وبين الأفراد والثنائية، وبين الثنائية والجمع³. ومن أمثلة الالتفات في العدد قول أبي حمّو: «فتنفقد فيها أحوال جيشك وقوادك وأجنادك وعددك وأعدادك فتميزهم تمييزا تعرف منه أحوالهم وتختبر قطائعهم وأموالهم، وتضبط عددهم وتعرف عددهم»⁴.

والملاحظ في الفقرة السابقة أنّ الكاتب بدأ الكلام باختيار الضمير الذي يدلّ على فرد واحد وهو ضمير المخاطب "ك" ثمّ أتبعه بالضمير "هم" الذي يدلّ على الجمع؛ وغاية الالتفات هنا إبراز العلاقة القوية التي تربط الحاكم بالجيش لأنهما معا يقيمان دعائم حكم صحيح وقوي،

¹ أبو الهلال العسكري- الصناعتين- تحقيق: مفيد قميحة- دار الكتب العلمية- بيروت-1981- ص39.

² قصبجي عصام وأحمد محمد ويس- الانزياح- ص125.

³ أنظر: حسن طبل- أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية- دار الفكر العربي- القاهرة-1998- ص88.

⁴ موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان- واسطة السلوك- ص110.

وذلك ما وقف عليه الكاتب من خلال تجاربه الخاصة في مجال الحكم في أيام الحرب والسلام أيضا.

لقد وظّف الكاتب في نصوصه ظاهرة الالتفات في العدد بشكل لافت، حيث ينتقل هذه المرة من الجمع إلى المفرد، حين يوصي وليّ عهده بقواد جيوشه، يقول: «لا يصلون إلى الرعيّة بمضرة ولا بإذاية، بل يسدّون الثغور، ويصدون العدو المحذور، ويحيطون البلاد ويمنعونها من كلّ باغ وعاد، وساع في الفساد فتكون بهم مطمئن الخاطر،

أما في الباطن والظاهر»¹.

لقد استهل الكاتب كلامه باستعمال ضمير الجمع الغائب، ثم يلتفت مستعملا ضمير المفرد المخاطب، وقد ساهم هذا الالتفات في خدمة دلالات العبارة السابقة، فقد تحدثّ الكاتب بصيغة الجمع لأنّه كان يبرز أهمية قواد الجيش ويعدّد المهام التي عليهم القيام بها حماية لأمن البلاد، وعندما أراد أن يبرز علاقة ذلك براحة الملك واطمئنانه، لجأ إلى الالتفات مستعملا ضميرا مفردًا، ولعلّ الكاتب لا ينفك عن الحديث عن الجيش والقادة تأكيدًا على دورهم الريادي في استقرار وتطور أيّ بلد؛ وحتى يدفع بابنه إلى الانتباه إلى تلك الأهمية.

ودائمًا في الالتفات من الجمع إلى المفرد، نورد هذا المثال يقول أبو حمّو: «وأما أصحابك المقربون، ويطانتك الأقربون، فيجانبون مخالطة الناس، ويعظمونك إذا أظهرت لهم البسط والايّناس، فإذا اتصفوا بهذه الصفات وتميزوا بهذه السمات، تباهت بهم الخلافة وزادتهم رفعة وأناقة، وينبغي لك أن تختبر أحوالهم وتمتحن أقوالهم وأفعالهم»².

لقد وظف الكاتب صيغة الجمع في بداية العبارة في صدد الحديث عن صفات أصحاب الملك و عن طريقة تعاملهم معه ومع عامة الناس، ثم يلتفت بعد ذلك مستخدمًا ضمير المفرد، فيوجه الخطاب لوليّ عهده ناصحًا إيّاه أن يختبر أولئك الأصحاب حتى لا يتفاجأ بعد ذلك بشيء يكدر نفسه قد يصيبه من قبلهم.

ب - الالتفات في الضمائر:

¹-موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان-المصدر السابق -ص87.

²-المصدر نفسه-ص87-131.

قد يتحوّل الأديب من حين لآخر بين أنواع الضمائر حسب متطلبات التعبير، ويتحقق هذا الالتفات في الضمائر من خلال صور المخالفة بين التكلم والخطاب¹. ونستهل نماذجنا المختارة بقول الكاتب: «يا بني ولا تنسى ذكر الله في سرّك ولا في جهرك، ولا تدعه في جميع شأنك وأمرك، واجعله أنسك وشعارك، وقوتك في ليلك ونهارك، ولا يشغلك ما تقلدت من أمر الخلافة عن ذكر الله، لأنّ كلّ شيء باطل سواه، ورضّ نفسك للأذكار، وتوسل بريانيات الأشعار، هذا يا بني دأبنا، والله حسبنا، وقد ذكرنا في ذلك قصائد، نتوسل بها الله عزّ وجلّ وعلا»².

بدأ أبو حمّو فقرته السابقة بتوجيه الخطاب لابنه ناصحا له بالتمسك بحبل الله تعالى، مستعملا في ذلك كاف الخطاب، ثم إنتقل بعد ذلك إلى التمثيل بنفسه، وما تعود عليه من ذكر الله، خاصة في قصائده التي كان ينظمها بمناسبة المولد النبوي الشريف، وبذلك إنتقل إلى ضمائر المتكلم مستعملا نون الفاعلين³.

لا نبرح الالتفات في الضمائر دائما ونستشهد بمثال آخر، حيث يقول أبو حمّو: «يا بني، اصمت عمّا يضرّك، تبلغ ما يسرك، يا بني، من يرحم يرحم، ومن يصمت يسلم، ومن يفعل الخير ينعم، ومن يقل الشرّ والباطل عليه يؤثم، ومن كان لا يملك لسانه يندم»³. يقدم الكاتب لابنه تشكيلة من النصائح الأخلاقية التي يدعوه للالتزام بها، فيوجه الخطاب المباشر لولده مستخدما "كاف الخطاب" وهو يبين له فضائل الصمت ومزاياه، ثمّ ينتقل إلى ضمير الغائب، فيبيّن له فوائد الرحمة وفعل الخير، وامسك اللسان وهذا الالتفات قد عمق من دلالة العبارة لأنه بعد أن كانت المعاني محصورة في صفات معينة يدعو الكاتب ابنه للاتصاف بها، اتسع مجال الدلالة لتكون تلك النصائح عامة موجّهة لكل من يقرأ الكتاب ويتمعن في أساليبه وعباراته.

¹-أنظر: حسن طبل- أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية-ص103.

²-موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان -واسطة السلوك-ص24.

³- المصدر نفسه -ص26.

وفي مثال آخر ينتقل الكاتب من الغائب إلى الخطاب ملتفتاً، وهو يفيد ابنه بجملة من النصائح، إذ يقول: «ومن نظر في العواقب، أمن من المصائب، ومن لم يستعمل فكرته فيما عليه وله ماتت فطنته، وطالت حسرته، وعميت بصيرته فقدم النظر الصحيح قبل أفعالك، فهو أنجح لأحوالك»¹.

لقد أراد الأديب أن ينشأ ولده متأنياً ومتبصراً في الأمور يقلبها في رأسه بتمهل ورويّة كي لا يخطئ في اتخاذ قراراته، فيحصد الخيبة والندم الشديدين، وقد ساهم الالتفات السابق في تعميق دلالة العبارة وتقويتها.

يروى أبو حمّو لولده أحداث توليه الملك والمخاطر التي كابدها في سبيل ذلك، والمعارك التي دارت بينه وبين المرينيين، فنجد هاهنا، ينوّع في استعمال الضمائر، حيث يبدأ باستخدام ضمير المتكلمين "نا" ثم ينتهي باستخدام ضمير الغيبة، يقول: «وقد خاطرنا نحن في ذلك، وسلطنا بحول الله أحسن المسالك، وأوردنا العدى موارد المهالك، وذلك لما حاجتنا الحماية، ودعتنا النفوس الأبية للانتصار لملكنا وسلطاننا، واستخلاص بلادنا وأوطاننا وكان عدونا السلطان أبو عنان ابن السلطان أبي الحسن.... وعندما علم بإقبالنا ونجدة حماتنا وأبطالنا، وافق ذلك أن وقع بينه وبين قبيله الشتات والشنآن، وخشي الفضيحة في تلك الأوطان، فترك بقسنطينة قائداً من قواده وحصّة من أجناده...»².

إنّ حديث أبي حمّو عن أعدائه: قد أعاده إلى أيام سابقة حين كان لا ينتهي من معركة حتى يخوض أخرى، محاولاً الحفاظ على ملكه؛ وتلك الذكريات الممزوجة بلحظات الانتصار ولحظات الانكسار أحدثت في نفسه ثورة من الأحاسيس المختلفة، لعلّها كانت سبباً في الانزياح الحاصل في الفقرة السابقة.

ج-الالتفات في الأسلوب:

والمقصود به، أن يكون الأديب آخذاً في التعبير على أسلوب معيّن ثم فجأة ينتقل إلى أسلوب آخر، والأسلوب كما هو معروف لن يخرج عن أحد الأمرين: إمّا الخبري أو الانشائي،

¹-موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان العبد الوادي-واسطة السلوك-ص58.

²-المصدر نفسه-ص33.

والهدف من وراء هذا التنويع «امتاع المتلقي وجذب اتباهه بتلك التنوعات أو التحولات التي لا يتوقعها في نسق التعبير.... لأنّ الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن نظرية لنشاط السامع، وإيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد»¹.

يوضح أبو حمّو لوليّ عهده صفات كاتب السرّ الذميمة، فيبين له بعضها على سبيل النصح ولأخذ العبرة والحيطّة، وهو في ذلك يستخدم الأسلوب الخبري في أوصافه تلك، ثمّ يلتفت دون سابق إنذار مستعملا الأسلوب الانشائي في صيغة استفهام، يقول: «إذا رأيت كاتب سرّك كثير الألفة للناس طويل اللسان، لا يرجع إلى قياس، لا يتحفظ في كلامه، ولا يكف لسانه في جلوسه وقيامه، ويزخرف لك أمورا يرى أنّه ينفكك بها وهي ممّا تضرّ الغير بسببها فهذا غير محافظ على دينه، ومن لا يحافظ على دينه فلا يحافظ على سرّك، فهل تشاركه في أمرك؟»².

ويتلفت الكاتب مرّة أخرى من الإخبار إلى الإنشاء، حيث يذكر ويذكر ابنه بقدره المولى عزّ وجلّ وبصفاته سبحانه وتعالى التي لا تعدّ ولا تحصى، يبتغي من وراء ذلك وعظ ولده وولي عهده، حتّى يمتنّ علاقته بخالقه، فيقول: «خالق الأعيان والآثار، ومكورّ الليل والنهار، العالم بالخفيات وما تنطوي عليه الأرض والسموات سواء عند الجهر والأسرار... ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير؟»³.

لا نبرح الموضوع السابق، حيث نجد أبا حمّو يعدّد دائما صفات الخالق سبحانه وتعالى منتقلا من الإخبار إلى الإنشاء «خلق الخلق بقدرته وأحكمهم بعلمه وخصهم بمشيئته، ودبرهم بحكمته، لم يكن له في خلقهم معين ولا في تدبيرهم مبشر، وكيف يستعين من لم يزل بمن لم يكن أو يستظهر من يتقدس عن الدّل بمن دخل تحت دّل التكوين؟»⁴.

وهذا مثال آخر يستعمل فيه أبو حمّو الالتفات في الأسلوب، حينما يتعرض لموضوع التدبر وإعمال العقل، حيث ينتقل في سياق كلامه من الإخبار إلى الإنشاء مستخدما أسلوب

¹-حسن طبل- أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية-ص26.

²-موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان-واسطة السلوك-ص175.

³-المصدر نفسه-ص17.

⁴-المصدر نفسه ص17.

الأمر، يقول: «لأنّ من طال تفكره حسن تدبيره، ومن ركب العجلة، لم يأمن الكبوة والزلة، إلاّ انتهاز الفرصة، أو إزالة الغصة ومن نظر في العواقب أمن من المصائب و من لم يستعمل فكرته في ما عليه وله ماتت فطنته، وطالت حسرته، وعميت بصيرته، فقدّم النظر الصحيح قبل أفعالك فهو أنجح لأحوالك»¹.

أما في هذه المرّة، فالكاتب يبدأ كلامه مستخدماً الأسلوب الانشائي المتمثل في أسلوب الأمر، وهو ينبه ابنه إلى من يجالسه ويقتدي به، ثمّ ينهي عظته، بالانتقال إلى الأسلوب الخبري، باستخدام التوكيد، فيقول: «يا بني، جالس الفضلاء، وشاور العقلاء وخذ الرأي مع النصحاء، واقتد بذوي التجارب النبلاء، وجانب مجالسة الجهلاء، فإنّه من أخذ الرأي مع من لا يفقه الحديث كمن قدم الطرف للبهائم»².

د- الانزياح الصوتي:

يلازم الانزياح الصوتي السجع، أو ما يسمى الانسجام الصوتي، ويحدث عند خروج كلمة من النسق الصوتي العام للفقرة، وهو ثلاث أنواع: الانزياح الاستهلالي والداخلي والختامي.

1- الانزياح الاستهلالي:

وهو خروج الفاصلة الأولى عن باقي المنظومات الصوتية التي تليها، فتحدث انقطاعاً في النسق الصوتي العام للفقرة، وأول ما نستعمل به أمثلتنا قول الكاتب: «يا بني ينبغي أن يكون مجلسك مع وزيرك، مجلس هيبة ووقار، وتعظيم واكبار وتفاوض في الأخبار، وأخذ في المصالح، وتدبير يعود بالمناجح والمناجح»³.

فمن خلال تمعننا في الفقرة السابقة، نلاحظ أنّ الفاصلة الأولى انتهت بحرف "ك" الخطاب، وهي قد انفردت به، أما الفواصل التي تلتها تنوعت بين ثنائيات إنتهت بحرف "الراء" وأخرى بحرف "الحاء"، وعليه أحدث خروج الفاصلة الأولى عن أخواتها الباقيات انزياحاً صوتياً ملحوظاً.

¹-موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان -المصدر السابق-ص58.

²-المصدر نفسه-ص85.

³-المصدر نفسه-ص106.

وفي مثال آخر، يعود أبو حمّو مرّة أخرى لانشاء انزياح صوتي استهلاكي في قوله: «يا بني وأما جلساؤك فلتجالس العلماء والفقهاء والأشراف ذوي الأذهان الثاقبة والحاضرة، فصحاء اللسان، نصحاء في السرّ والاعلان، وأمّا أصحابك المقربون ويطانتك الأفيون، فيجانبون مخالطة الناس ويعظمونك إذا أظهرت لهم البسط والايّاس»¹.

يظهر جلياً مما سبق، حدوث الانزياح الصوتي من خلال عدم تناسب الفاصلة الأولى صوتياً مع باقي الفواصل، إذ أنّها انتهت بحرف "راء"، أمّا باقي الفواصل فانتتهت بحرف "النون" وأخرى بحرف "السين".

يلجأ أبو حمّو ثانية لاستخدام الانزياح الاستهلاكي وهو يتحدث عن إحدى المعارك التي جمعه بأعدائه الدائمين بني مرين حيث يقول: «فنكصوا على أعقابهم وسيوفنا متحكمة في رقابهم، ولجأوا إلى الفرار، وأيقنوا بالتباب والثبار، حلّ بهم الخسار والبور، ولم ينفعهم التحصن بالأسوار، من شبا سمر الرماح وظبي بيض الشفار»².

لقد ختم الأديب فاصلته الأولى والثانية بحرف "الميم"، وتلتها باقي الفواصل مختومة بحرف "الراء"، وهذا ما أنتج عدم تناسق في الجرس الموسيقي العام للفقرة؛ الذي يظهر مدى توتر الكاتب وهو يتحدث عن أعدائه.

لا يهمل الكاتب أيّ شيء في وصاياه، فما هو الآن ينبه ولده إلى كيفية التعامل مع خدمه وفتيانها، يقول: «وليكن قصرک يا بني محفوفاً بالفتيان والحجاب، ولتكن فتياتك على باب قصرک من خارج، واسلك في تربيتهم أحسن المناهج، فلا يطلعون على أسرار قصرک، ولا يتكشّفون على مخبّئات أمرک، وليكن لك أعوان للانتقام ممّن لزمه الأدب من خدمك وأهل قصرک..»³.

وكما هو واضح تضمنت الفقرة السابقة انزياحاً استهلالياً، حيث ختم الكاتب الفاصلة الأولى بحرف "الباء"، وأمّا ما تلاها من فواصل فقد تنوع اختتامها ما بين حرف "الجيم" وحرف "الكاف".

¹-موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان -المصدر السابق -ص131.

²-المصدر نفسه-ص34.

³-المصدر نفسه-ص44.

الانزياح الداخلي:

ونقصد به خروج الصوت الأخير لفاصلة معينة عن النظام الصوتي للفواصل السابقة لها واللاحقة، مما ينشئ انقطاعا في الإيقاع الموسيقي العام للفقرة.

ويتمثل أول انزياح داخلي نستهل به أمثلتنا في قول أبي حمّو: «وأما كتابك فلتتخير منهم لسرك، كاتباً، من وجوه بلدك، موفياً لغرضك ومقصدك... كاتماً للأسرار متحلياً بحلي الوقار، ذا عقل وافر، وفهم حاضر وذهن ثاقب، وفكر صائب، حلو الشمائل موسوما بالفضائل، جميل هيئة اللباس، والموالاتة للناس، لأنّ الكاتب عنوان المملكة، وبه تتبين الأمور المشتبكة»¹.

لقد بدأ أبو حمّو فواصله الأولى مختتماً إيّاها بحرف "الكاف" ثم بحرف "الراء" ثم "حرف الباء" على التوالي، فكانت على شكل ثنائيات تنتهي بنفس الحرف وبعد ذلك، جاءت بفاصلة منتهية بحرف "اللام" انفردت به عمّا قبلها وما بعدها، حيث ختمت الفواصل التي تلتها بحرف "السين" وحرف "التاء المربوطة" المسبوقة بحرف "الكاف"، وهذا ما مثّل انزياحاً صوتياً واضحاً أحدث خلافاً في المنظومة الصوتية للفقرة.

وفي موضع آخر يقول أبو حمّو عن صفات كاتب الدولة: «بل تشاركه في حلوك ومرك، وقلك وكثرك، ويجب على هذا الكاتب الذي تقدمت صفته، ووصفت نباهته ومعرفته، أن يكون درياً بقراءة الكتب وسردها، متحرزاً عند قراءتها من ألفاظ شائنة، أو وصمة في ضمن الكتاب كامنة»².

لقد ختمت الفاصلة الأولى والثانية بحرف "الكاف"، أما الثالثة والرابعة بحرف "الهاء"، أما الفاصلة الخامسة فقد انتهت بحرف "الهاء الممدودة"، وقد تفردت به، أما الفواصل التي تلتها لم توافقها فيه أيضاً على غرار ما سبقها من فواصل، وعليه ختم أبو حمّو فقرته بفاصل حرف "التاء المربوطة".

وآخر ما نستشهد به في هذا المقام قول الكاتب: «فلا تغضب كبيرهم ولا تحقر صغيرهم، ونوّه قوادهم، وفضلّ أجنادهم، واعدل في أرزاقهم يتواطؤوا إليك بأخلاقهم، ولا تضيع لأحد فعلته،

¹-موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان-المصدر السابق-ص85.

²-المصدر نفسه-ص106.

ولا تنس له سابقة نيته، ولا تبخلهم من إحسانك، وسائسهم سياسة وفق زمانك، وعليك بتفقد أحوالهم والتفكر في مصالحهم ومآلهم، فإنك إن حفظت أجنادك، حفظت رعيتك وبلادك، فإن أهملتهم خذلوك، وإن اعرضت عنهم ملّوك...¹.

والانزياح الصوتي حاصل في جملة "عليك بتفقد أحوالهم والتفكر في مصالحهم ومآلهم"، حيث أنّها الوحيدة التي ختمت بحرف "الميم" وبذلك فقد شدّت عمّا سبقها ولحقها من فواصل محدثة انقطاعا في النسق الصوتي العام للفقرة.

2- الانزياح الختامي:

وهو خروج الفاصلة الأخيرة في آخر حروفها عن باقي المنظومات الصوتية للفواصل التي سبقتها، محدثة خلا في الجرس الموسيقي للفقرة كلّها.

يظهر الانزياح الختامي في قول الكتاب: «يا بني، جالس الفضلاء، وشاور العقلاء وخذ الرأي مع النصحاء، واقتد بذوي التجارب النبلاء، وجانب مجالسة الجهلاء، فإنّه من أخذ الرأي مع من لا يفقه الحديث كمن قدم الطرف للبهائم»².

حيث ختمت الفاصلة الأخيرة من الفقرة السابقة بحرف "الميم" وهي بذلك انزاحت عن باقي الفواصل السابقة، والتي ختمت بحرف "الهمزة"، وهذا ما أحدث انقطاعا واضحا في النسق الصوتي العام.

لا نبرح الانزياح الختامي، حتّى نجد الكاتب يستخدمه مجددا في قوله: «وينبغي أن تكون فراستك في وزيرك وكاتبك وجلسائك وقاضيك ومفتيك وصاحب شرطتك، وعمالك وصاحب أشغالك، وقوادك وصاحب أجنادك وعدوك والرسل المتوجهة من قبلك إلى الملوك أمثالك، والكتب الواردة عليك من العدو وغيره»³.

من الملاحظ هاهنا، خروج الحرف الأخير للفاصلة الأخيرة، عن باقي حروف الفواصل السابقة والتي انتهت جميعا "بكاف الخطاب"، أمّا آخر حرف في الفقرة الأخيرة كان "الهاء".

¹- موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان-المصدر السابق-ص31.

²-المصدر نفسه-ص85.

³-المصدر نفسه-ص170.

يقول أبو حمّو في مثال آخر: «يا بني، واستعن على اعتدال مزاجك، وحفظ صحتك بالتبسط في طعامك وشرابك، ولا تكن منهمكا في الأكل، ولا تاركا له بالكلية، ولكن بقدر معلوم في أوقات معلومة، فإن ذلك أحسن لحالك، وأصح لجسمك، ولتأكل من الطعام ما تطيب به نفسك، ويعتدل به مزاجك، ولا تدخل الطعام على الطعام»¹.

لقد تنوعت نهايات الفواصل السابقة، ما بين حرف "الكاف" و"التاء المربوطة في شكل ثنائيات متتالية، غير أنّ آخر الفواصل انزاحت صوتيا عن النسق الصوتي العام، حيث ختمت بحرف "الميم".

وخلاصة القول في ختام هذا الجزء من البحث، أنّ واسطة السلوك قد ضمّ بين جنباته ألوانا من صور الانزياح، ما بين تركيبية، واسنادية، ودلالية، وصوتية، وقد شهدنا ما احتواه كل نوع من العناصر المختلفة. وبذلك إستنتجنا أنّ الانزياح كان ظاهرة أسلوبية في كتاب أبي حمّو، بالرغم من تفاوت تلك الأنواع في الحجم والجودة، وحسن الحبكة.

¹ موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان -المصدر السابق -ص43.

الفصل الثالث: ظواهر أسلوبية أخرى في واسطة السلوك:

1-التناص:

1-1 مع القرآن الكريم

2-1 مع السنة النبوية الشريفة

2-الخطاب وأساليبه:

1-1أسلوب الوصية.

2-2 أسلوب القصص والاستشهاد:

أ-الاستشهاد بالقرآن الكريم

ب-الاستشهاد بالحديث الشريف

ج-الاستشهاد بالأقوال المأثورة

د-الاستشهاد بالأمثال و الحكم

و-الاستشهاد بالشعر القديم

هـ-الاستشهاد بالتاريخ

3-الانسجام الصوتي

1-التناص:

يعدّ التناص أقدم المفاهيم النقدية عند العرب، فقد لاحظ التراث النقدي العربي هذه الظاهرة وقام بدراساتها، حيث انتبه الناقد القديم إلى تداخل النصوص من خلال استحضار الشعراء لنصوص سابقة في كتاباتهم.

وقد كانت تهدف دراساتهم إلى نسب الأشعار إلى اصحابها وتبين مدى تأثيرهم وأخذهم من تجارب سابقيهم وقد أخذت هذه العملية مسميات مختلفة باختلاف النقاد وآرائهم، فأبو هلال العسكري(ت395هـ) مثلا يرى أنّه «ليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممن تقدمهم والصب على قوالب من سبقهم»¹، وهو بذلك لا يرى عيبا في أخذ اللاحقين من الشعراء ممن سبقوهم، بل يعتقد ذلك قدرا محتوما لكل شاعر.

لكن ناقدا آخر لا يوافق العسكري إلى ما ذهب إليه، فابن رشيق(ت456هـ) يرى في التناص سرقة؛ إذا تعرض له طويلا في كتابه "العمدة" بل وجعل له بابا خاصا، ومما قاله عن هذا الموضوع: «هذا باب متسع جدا لا أحد من الشعراء أن يدعي السلامة منه، وفيه أشياء غامضة إلا عن البصير الحاذق بالصناعة، وآخر فاضحة لا تخفى على الجاهل المغفل»².

أما عبد القاهر الجرجاني(ت471هـ) فهو يرى أنّ الشعراء يتناولون المعنى الواحد؛ لكن كل واحد منهم يخرجها في شكل جديد، ويرى أنّ للمعاني أصول يسميها مقاصدا وأغراضا، والمعاني تتحقق بعملية النظم ذاتها و تتغير بتغييرها³.

لاحظ حازم القرطاجني(ت684هـ) التناص من خلال دراسته لشعر معاصريه، حيث التمس ضعفا واضحا في شعر من عاصره من شعراء وقد قال في هذا الموضوع: «فلم يوجد فيهم على طول هذه المدة من نحا نحو الفحول ولا من ذهب مذاهبهم في تأصيل مبادئ الكلام

¹-أبو الهلال العسكري: الصناعتين-ص117.

²-ابن رشيق القيرواني- العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده-ج1- تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد- دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع- بيروت-لبنان، 1981- ط2- ص266.

³-أنظر: عبد القاهر الجرجاني- دلائل الإعجاز في علم المعاني، طبعة رشيد رضا- شركة الطباعة الحديثة- دار المعاني- القاهرة- ص177.

وإحكام وضعه وانتقاء مواده التي يجب نحتها منها؛ فخرجوا بذلك عن مهيع الشعر ودخلوا في محض التكلم؛ هذا على كثرة المبدعين المتقدمين في الرعيل الأول من قدمائهم¹.

والقرطاجني هنا، يشير إلى حتمية استعانة الشاعر بمقروئياته في العملية الإبداعية؛ فالنصوص متداخلة، فالعملية الإبداعية الناجحة يجب أن تسبق بقراءات معمقة لأشعار العرب وامتصاص الألفاظ والصور، وإعادة بلورتها في شكل جديد وبصورة فنية.

تلك كانت نظرة النص النقدي العربي القديم لمفهوم التناص؛ أما الدراسات الحديثة فهي التي استطاعت تحديد مفهوم التناص وبلورته فقد استخدمه النقاد الغربيين في مقارنة النصوص كوسيلة إجرائية تساهم مساهمة كبيرة في فك رموز النص الأدبي وتحليل شفراته من أجل إثراء دلالاته ومعانيه².

والتناص ترجمة للمصطلح الغربي (Intertextuality) وهو مصطلح نقدي حديث استتبته الناقدة "جوليا كريستيفا" (J- Kristiva) من دراسة "باختين" (M- Bakhtin) لدستوفسكي عام 1969، هذا الأخير استخدم تعددية الأصوات (البوليفونية) والحوارية (الديالوج) دون استعمال المصطلح (تناص)، وقد تلقفته المناهج النقدية الحديثة كالبنوية الفرنسية والسميائية والتفكيكية، والتي تمثلت في كتابات "جوليا كريستيفا"، و"رولان بارت" (Rouland Barthes) وغيرهم من رواد الحداثة النقدية³.

وقد كتبت الناقدة الفرنسية "جوليا كريستيفا" عدة بحوث حول هذا المفهوم، صدرت في مجلتي (تالكال) (TelQuel) و(كريتيك) (critique) وأعيد نشرها في كتابيها (سيموتيك) و(نص الرواية)⁴، ومفهومها عن التناص أنه «يحيل المدلول الشعري إلى مدلولات خطابية مغايرة بشكل

¹ -حازم القرطاجي- منهاج البلاغاء وسراج الأدياء-ج¹- تحقيق: محمد الحبيب بن خوجة- دار الغرب الإسلامي-بيروت- لبنان- ط¹-ص10.

² -انظر: عز الدين إسماعيل- الشعر العربي المعاصر(قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية)- دار العودة، بيروت-لبنان- ط³- 1981- ص143.

³ -انظر: محمد عزالم-النص الغائب{تجليات التناص في الشعر العربي}- منشورات اتحاد الكتاب العرب_دمشق_ص26.

awu-Dam-org. www.

⁴ -انظر: محمد عيد المطلب_قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني_الشركة المصرية العالمية للنشر_ط¹_الجيزة_مصر_1995_ص147.

يمكن معه قراءة خطابات عديدة داخل القول الشعري هكذا يتم خلق فضاء نصي متعدد حول المدلول الشعري، تكون عناصره قابلة للتطبيق في النص الشعري الملموس، هذا الفضاء النصي سنسميه فضاء متداخلا نصيا، إنه مجال لتقاطع عدة شفرات (على الأقل اثنتين) تجد نفسها في علاقة متبادلة إذ هي نصوص تتم صناعتها عبر امتصاص وفي نفس الآن عبر هدم النصوص الأخرى للفضاء المتداخل نصياً¹.

كما عرّفه رولان بارت " بأنّ كل نص جديد نسيج لاقتباسات ماضية"² ثم يضيف قائلاً: «لا يقتصر التناص على مسألة المصدر أو التأثير، فالنص حقل عام من تراكيب مغفلة من النادر ادراك أصلها ومن اقتباسات غير واعية أو آلية تقدم بين مزدوجتين»³.

وقد تناول العديد من النقاء العرب تعريف التناص، كان على رأسهم (محمد مفتاح) الذي يرى أنه «سيفساء من نصوص أخرى أدمجت فيه بتقنيات مختلفة وممتص لها يجعلها من عندياته وبتصويرها منسجمة مع فضاء بنائه، ومع مقاصده ومحول لها بتمطيطها أو تكثيفها بقصد مناقضة خصائصها ودلالاتها أو بهدف تعقيدها»⁴.

إنّ استخدام التناص في أي عمل أدبي ليس بالمهمة السهلة لأنه يُنتظر من الأديب أن يكون ملماً بنصوص سابقة من مصادر مختلفة، مستوعبا لما تضمنته من آراء وأفكار لأنّ النص «يعتمد على تحويل النصوص السابقة وتمثيلها بنص موحد يجمع بين الحاضر والغائب وينسج بطريقة تتناسب وكلّ قارئ مبدع»⁵.

وبعد انتشار هذا المصطلح في المجال النقدي، صار ركيزة أساسية يتعامل بها جلّ الدارسين في الحقل الأدبي، محاولين من خلاله إكتشاف تلك التفاعلات والتشاركات بين مختلف النصوص، والتي افرغت في قالب نص واحد.

¹ جوليا كريستيفا- علم النص- ترجمة: فريد الزاهي- دار توبقال للنشر- ط1-الدار البيضاء- ص78-79.

² سامويل تيفين- التناص ذاكرة الأدب- ترجمة: نجيب غزاوي- اتحاد كتاب العرب- دمشق- ص14. awu-

Dam-org. www.

³ سامويل تيفين- المرجع نفسه- ص14.

⁴ محمد مفتاح- تحليل الخطاب- المركز الثقافي- ط3- 1992- ص121.

⁵ مصطفى السعدني-البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث- ص172.

وعليه سنحاول في دراستنا هذه الكشف عنه بين طيات واسطة السلوك وتتبع هذه الظاهرة وأنواعها.

وستركز الدراسة على التناسل الديني ونقصد به أن يستخدم الأديب بعض الأفكار والمعاني أو بعض المفردات المستوحاة من القرآن الكريم والسنة الشريفة، أو بعض الأحداث الدينية، يثري من خلالها منتوجه الأدبي، ويعدّ الموروث الديني من أهم المصادر التي يستقي منها الأدباء التناسل، نظرًا لثراء هذا الأخير بكل الآراء والمضامين التي يحتويها ونظرًا أيضًا لمدى إعجاب المثقف العربي بهذا المصدر و«ليس غريبًا أيضًا أن يكون الموروث الديني مصدرًا أساسيًا من المصادر التي عكف عليها الشعراء المعاصرون واستخدموا فيها شخصيات تراثية عبروا من خلالها عن بعض جوانب تجاربهم الخاصة»¹.

1-1 مع القرآن الكريم:

كان القرآن الكريم ولا يزال أهم مصدر من مصادر التناسل والصور الفنية، فهو المعجز لفظًا ومعنى، والذي لا تتضرب روافد الجمال والاعجاز فيه أبدًا، فلا عجب أن يأخذ بألباب الأدباء والمبدعين الذين ما انفكوا ينهلون من ينابيعه أفكارًا ومعاني، يزينون بها إنتاجهم، وكان أديبنا أبو حمّو واحدًا من هؤلاء الذين تأثروا بأسلوب القرآن الكريم المعجز والساحر، فاستحضر من خلاله بعض الآيات الكريمات، فكان التناسل بالمعنى أحيانًا وباللفظ أحيانًا أخرى.

وأول ما نستهل به أمثلتنا من التناسل قول الأديب «فألفينا ابن سلطان مريم، فأزلناهم وساء صباح المنذرين»²، فأبو حمّو من خلال هذه العبارة يتحدث عن إحدى معاركه الكثيرة التي جمعته بجيوش المرينيين، فقد التقى بجيوش العدو صباحًا وألحق بهم الهزيمة النكراء مثلما

¹ علي العشري، زايد. استدعاء الشخصيات التراثية الشعر المعاصر - دار الفكر العربي - القاهرة - مصر - 1977 - ص 76.

² موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان - واسطة السلوك - ص 34.

توعدهم، فكان صباحهم سيئاً نحسا عليهم، استطاع من خلاله أن ينتقم من أعدائه وينزل بابل سلطان مدين خسارة كبيرة، أثلج به قلبه الذي تألم مرارا من تلك الهزائم التي تذوقها من قبل أعدائه الدائمين، وبعبارة تلك يتمثل الأديب قول الله عز وجل ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ﴾¹.

المال هو عصب الحياة، وهو أحد دعائم الملك الناجح، ولأته كذلك فما هو أبو حمو يوصي ملك المستقبل بحسن التصرف به، وينبئه إلى ضرورة الاعتدال في الانفاق؛ ويحذره من مساوئ الاسراف، كما يبيّن له أنّ هناك من السلاطين من لا يحسن الانفاق، فيقوم بتبذير الأموال في الأمور التي لا تدر فائدة على الملك أو الأمة، ولذلك ينصحه بعدم التمثيل بأولئك الملوك المبدّرين بقوله (فهذا مسرف في السلاطين والله لا يحب المسرفين)².

وهذه الكلمات الحكيمة، تحيلنا إلى قول المولى عز وجل في الاسراف ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾³.

وفي مقام آخر يستحضر الكاتب قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾⁴. يقول أبو حمو «لم يكن له من ولي ولا نصير»⁵، فالعدو بالنسبة له في مازق كبير، بعد أن لحقت به الهزيمة الكبيرة على يد أبي حمو وأتباعه لقد حاول الفوز بالمعركة لكنّه لم يستطع لذلك سبيلا، وحاول أن يستنصر فلم يجد له من ولي ولا نصير، فكيف يكون له ذلك وهو الظالم المعتدي، والله لا ينصر الظالمين .

يوجد التناص هنا صراعا بين النص الغائب والنص الحاضر بما يولده من انفعالات شديدة، تنتج جوا نفسيا متوترا عبر صراع النصين وما يزيد تأثير النص الغائب هو أن يكون

¹-سورة الصافات، الآية [177].

²-موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان-واسطة السلوك-ص162.

³-سورة الاعراف، الآية: [31].

⁴-سورة النساء، الآية [173].

⁵-موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان-المصدر نفسه-ص162.

«مجرد لمحة فنية تثير انفعالا ذاهلا في المتلقي وتجعله من تلقاء ثقافته يستعيد دلالة قصة معينة أو يدرك ما وراء تعبير معين¹».

يجد الأديب في القرآن الكريم أجمل الصور التي يستوحي منها أفكاره فحين يتحدث عن أخلاق الملوك وكيف يكون حالها نجده يقول : «في مثل هذه المناقب فليتتافس المتنافسون»²، و إذا امعنا النظر جيدا نكتشف انه قد استقى كلامه هذا من قول الله تعالى في أهل الجنة: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلَيْنَا {19} كِتَابٌ مَرْقُومٌ {20} يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ {21} إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ {22} عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ {23} تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ {24} يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ {25} خِتَامُهُ مِسْكَ وَ فِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ {26}﴾³.

يعتمد الأديب هنا على قوة النص القرآني في كلامه ليتمكن من ترقية نصوصه في أبعادها اللغوية والفكرية؛ وتفجير طاقات دلالية خاصة لأنّ التركيبة اللغوية والدلالية لآياته جاءت في مستوى راق من الأسلوب⁴.

فالسُلطان عند أبي حمّو يحمل على كاهله عبء كبيراً لأنه سيسأل أمام المولى عزّ وجلّ عن رعيته، وهو بعد ذلك مسؤول أمام من يحكمهم، وعليه لا بدّ أن ينظر في حاله، ويحسن من نفسه ويراقبها، ولا بد له أن يتخلق بأجمل الأخلاق وأحسنها، وهذا هو مجال التنافس الحقيقي بين الملوك والسلاطين، ولا يكون التنافس بينهم في مجال المال والجيوش وأبهة الملك فحسب. ويسترسل أبو حمّو في استقاء أفكاره من القرآن الكريم، فعندما يتحدث مرة أخرى عن معاركه مع بني مرين في قوله «فنكصوا على أعقابهم وسيوفنا متحكمة في رقابهم»⁵، تتجلى

¹ مصطفى رجب- متى وكيف يقتبس الشاعر من القرآن الكريم- مجلة الفيصل الثقافية- السعودية- العدد 288، سبتمبر، 2000-ص56.

² موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان- واسطة السلوك- ص200.

³ سورة المطففين، الآية [19- 26].

⁴ مصطفى رجب- المرجع السابق- ص54.

⁵ موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان- واسطة السلوك- ص34.

عبر هذه المقولة ملامح الآية الكريمة ﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تُنْكِرُونَ﴾¹.

كانت الصورة التي ركّز عليها الأديب في هذا المقام مشهد أعدائه الفارين بعد هزيمتهم النكراء أمام أبي حمّو وجنده، وصورة هذا الأخير يلاحقهم وسيف انتصاره فوق أعناقهم، ونلاحظ في هذا المشهد تلذذ الكاتب بنصره وهو الذي عانى الأمرين من دولة المرينيين، وحالما وافته الفرصة، لم يمنع نفسه الشماتة من أعدائه المهزومين، وقد وجد في تصوير الجمال القرآني ما يعينه على رسم مشهد الهزيمة والخزي الذي ناله المرينيون على يديه.

وتكملة للفكرة السابقة، يواصل أبو حمّو الحديث عن هزيمة أعدائه فيقول: «ولجأوا إلى الفرار وأيقنوا بالنتبات والثمار وحلّ بهم الخسار والبوار»². والعبارة مستوحاة من قول المولى عزّ وجلّ في سورة إبراهيم ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَ آَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾³.

سعادة أبي حمّو بانتصاره وهزيمة أعدائه لا حدود لها، لأنّه يشعر بمدى مرارة الهزيمة على أعدائه الذين فروا موقنين أنّ لا مجال للعودة مرة أخرى فقد ضاع ما كان لهم من نصر وعزّ وقوّة، ولم يعد أمامهم إلا النجاة بأرواحهم، وهذا الحال الذي هم عليه أكثر ما يتلج صدر الملك المنتصر الذي يكّن الحقد والكراهية لهؤلاء الأعداء المغتصبين الذين أخرجوه من بلاده أكثر من مرّة واستولوا على سلطانه ونكلوا بأتباعه وشعبه.

ويستحضر الأديب قول المولى عزّ وجلّ ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَ مِنْ رِيبَاطِ الْخَيْلِ﴾⁴ فيقتبس من معنى الآية كلامه عن أهمية الاستعداد لمواجهة العدو، يقول: «والقوّة التي أمر الله تعالى نبيّه عليه الصلاة والسلام أن يستعد بها لعدوه، ليتمكن بها من غلبته وهي الرمي والرياط»⁵.

¹-المؤمنون، الآية [66].

²-موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان-واسطة السلوك-ص34.

³- إبراهيم، الآية [28].

⁴- الأنفال، الآية [60].

⁵-موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان-المصدر السابق-ص193

يعي أبو حمّو جيّدًا أهمية التجهيز والاستعداد لمقابلة العدوّ في أيّ وقت، لذلك يستعين بالفكرة التي تضمنتها الآية الكريمة، والتناص هنا كان واضحًا جدًا، فالأديب أعاد صياغة الآية القرآنية دون تغيير كبير؛ وهذا ما يسمى بالتناص الاجتراري وهو ما يعيد فيه الأديب كتابة النص الغائب بنمطية جامدة خالية من الحياة، وقد ساد هذا النوع من التناص في عصور الانحطاط الأدبي، حيث تعامل أدباء تلك الفترة مع النصوص الغائبة بوعي سكوني خالٍ من التوهج وروح الابداع¹.

ولا نغادر التناص مع القرآن الكريم حتّى نعرّج على مثال آخر يتحدث فليهِ الأديب عن ضرورة الاحسان إلى الجنود، يقول: «واخفض لهم عند الاحتياج الجناح»²، وهو بهذه العبارة يتمثل قول المولى عزّ وجلّ موسىًا بالوالدين حسنًا ﴿وَإِخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّي أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾³.

يعدّ الجيش ركيزة أيّ مملكة أو سلطان، وعليه فالاهتمام به والاحسان للجنود حتمية لمن أراد دوام سلطانه واجتتاب تمرد جيشه عليه، وأبو حمّو مدرك لذلك، وعليه فهو يحنّ ولي عهده على ذلك، ويعلمه كيفية التعامل مع الجند في حالة غضبهم واحتجاجهم، ولم يجد الأديب لتوضيح الفكرة أحسن من الاقتباس من بحر مفردات القرآن الكريم، فجاءت صورة خفض الجناح للجند والتي استعارها من كلام المولى عزّ وجلّ، قويّة معبرة وموحية لما يتطلبه التعامل بحكمة وروية في حالات الفوضى أو الاحتجاج أو التمرد التي تحدث بين الجند أحيانًا، من أجل امتصاص غضبهم والتحكّم فيه، وهي نفس الصورة من الدّل والخضوع والحكمة في التعامل مع الوالدين رحمة بهم واعترافًا بجميل تربيتهم وصبرهم على أبنائهم، فالتناص «يتعدّى

¹ انظر: محمد بنيس-ظاهرة الشعر المعاصر العربي المعاصر في المغرب- دار العودة، بيروت-لبنان- د. ط- بيروت- 1983-ص253.

² موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان-واسطة السلوك-ص146.

³ سورة الإسراء، الآية [23-24].

فكرة الاقتباس: أو الإشارة أو إنشاء علاقة بنص إلى فكرة تقوم على التفكير وإعادة البناء وإحاطة القارئ بمناخ دلالي يدفعه إلى قراءة تأويله¹.

1-2 مع السنّة النبويّة الشريفة:

كانت السنّة الشريفة ثاني مصدر استقى منه أبو حمّو أفكاره بعد القرآن الكريم، لثرائها وغناها بالمعاني الانسانية المختلفة؛ ولم يقتصر التناص عنده على الأحاديث الشريفة، بل تعداها ليشمل صفحات مشرقة من سيرته العطرة، وبعض معجزاته التي جاءت في السيرة وثبتت صحتها.

وليكن أول ما نبدأ به حديث الكاتب عن الرفق وجمال الاتصاف به، وهو في كلامه ذلك، يكاد يطابق واحدًا من أحاديثه صلّى الله عليه وسلم في الرفق، يقول أبو حمّو: "فما كان الرفق في شيء إلا زانه، ولا كان الخرق في شيء إلا شاناه" وهذا القول نسخة مشابهة لقول النبي صلّى الله عليه و سلّم: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شاناه»³.

يدرك الأديب أهمية الرفق في الحياة، لأنّه مفتاح القلوب، وبه يتمكن الفرد من إكتساب محبة الناس واحترامهم، هذا في حياة الفرد، فكيف يكون الأمر بالنسبة للسلطان الذي يحتاج الرفق أكثر من غيره حتّى يلج إلى قلوب شعبه ويكسب محبته وطاعته، ولذلك نرى أبا حمّو ينصح ولي عهده بالاتصاف به، لكي يتمكن من تحقيق ملك دائم يزيّنه الاستقرار والأمن والرخاء والقدوة في ذلك الرسول الكريم عيه الصلاة والسلام؛ فقد إمتلك القلوب وفتحها برفقه ورحمته قبل أن يفتح الأراضي والبلدان.

ويقول الكاتب عن العلاقة التي تجمع الحاكم والرعيّة والوزير «مثل السلطان كمثل الطبيب والرعيّة كالعليل، والوزير كالسفير بين الطبيب والعليل»⁴.

¹ إبراهيم خليل - التناص في "ماذا تركت الحصان وحيداً" لمحمود درويش - مجلة الراصد دائرة الثقافة والاعلام - الشارقة - العدد يونيو-2002-ص50.

² أبو حمّو بن زيان واسطة السلوك ص29.

³ صحيح مسلم تحقيق: الفاريايبي محمد دار طيبة للنشر و التوزيع ط1_الرياض_2006_الحديث رقم2594_ص1203.

⁴ أبو حمّو بن زيان_المصدر نفسه_ص62.

فالسُلطان عند أبي حمّو جسد واحد، ولكل عضو في هذا الجسد دور هام يقوم به، فقد شبه الملك بالطبيب الذي يعمل على راحة مرضاه وسلامتهم، والمريض هنا هو الرعية الضعيفة العاجزة والتي تحتاج إلى من يهتم بها وبشؤونها، والعضو الثالث في هذا الجسد المتماسك هو الوزير الذي يمثل الواسطة بين السلطان والرعية؛ يعمل على توجيه الحاكم إلى ما ينفع الحكم والناس، ويطبق أحكام السلطان بين الرعية؛ وعليه إذا صلح هذا السفير صلحت العلاقة بين الحاكم والمحكوم.

لقد استقى الأديب فكرته من حديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي يحث فيه على التعاون بين المسلمين والتكامل في كلّ شؤونهم، لأنّ وحدتهم هي مصدر قوتهم، ومن ثمّ سبب قوة دولة الإسلام في كلّ مكان وزمان، وقد أحسن الأديب استيقاء فكرته من كلام خير البشرية حين يقول: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى»¹.

ومن بين التناصات التي وردت في كتاب أبي حمّو، تقاطعه مع السيرة النبوية الشريفة وهو يمدح النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويعلي قدره.

يقول أبو حمّو في صدد حديثه عن الحبيب المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «اشتأقت له المياه، فبرزت بين أصابعه نابعة»².

والعبارة مستوحاة من السيرة النبوية التي تتحدث عن إحدى معجزات الرسول الكريم، وهي تكثير الماء من بين يديه، ومن بين تلك الروايات الصحيحة التي تتحدث عن هذه المعجزة-ما رواه جابر رضي الله عنه «أنّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان في سفر مع أصحابه، فقال (يا جابر ناد بوضوء) فقلت ألا وضوء؟ ألا وضوء؟، ولمّا لم يرد أحد قلت: يا رسول الله، ما وجدت في الركب من قطرة، وكان رجل من الأنصار يبرد لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الماء في أشجابه له، قال جابر: فقال لي: (انطلق إلى فلان بن فلان الأنصاري، فانظر هل في أشجابه من شيء؟) فانطلقت إليه، فنظرت فيها فلم أجد فيها إلاّ قطرة.... وقال: (خذ يا جابر) فصبّ

¹- صحيح مسلم - الحديث رقم 2586-ص 1201.

²- موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان- واسطة السلوك-ص 18.

عليّ [أي قطرة الماء التي وجدتها عند الأنصاري] وقل: (باسم الله)، فصببت عليه وقلت: باسم الله؛ فرأيت الماء يفور من بين أصابع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ فارت الجفنة [بالماء]، ودارت حتى امتلأت فقال: (يا جابر ناد من كان له حاجة بماء) قال: فأتى الناس فاستقوا حتى رروا، فقلت: هل بقي أحد له حاجة؟ فرجع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يده من الجفنة وهي مملأى¹.

وفي نفس السياق يشير الكاتب إلى قصة أخرى وردت في السيرة النبوية الشريفة وذلك في قوله: «وحنّ الجذع له»² والحادثة المقصودة بالعبارة، هي قصة حنين الجذع للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي مثبتة في كتب السيرة المشهورة، وصحاح السنة، قال جابر بن عبد الله: «كان المسجد مسقوفا على جذوع النخل، فكان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار»³.

لا يبرح أبو حمّو مدح النبي الكريم وذكر شمائله العطرة حيث يقول: «الذي زويت له الأرض فتدانت أقطارها وهي نائية شاسعة»⁴ وهذه العبارة إشتملت على تناص مع قصة الاسراء والمعراج المذكورة في القرآن الكريم، والمثبتة في السنة الشريفة، إذ أنّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قام برحلة إلى المسجد الأقصى في وقت قصير، ومن بعدها عرج إلى السموات العلا، وكأنّ الأرض طويت له طيّا، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ذلك: «أتيت البراق وهو دابة أبيض طويل، فوق الحمار، ودون البغل؛ يضع حافره عند منتهى طرفه، قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس، فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت، فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن، فاخترت اللبن، فقال جبريل: اخترت الفطرة....»⁵.

¹- صحيح مسلم - الحديث رقم 2586-ص 1371.

²- موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان - واسطة السلوك - ص 18.

³- القاضي عياض - الشفا بتعريف حقوق المصطفى (ص) - تحقيق: عبده علي كوشك - ط 1 - جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم - 2013 - ص 370.

⁴- موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان - المصدر نفسه - ص 18.

⁵- القاضي عياض - الشفا - ص 228.

يظهر جلياً إطلاع أبي حمّو على سيرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ لا ينفك أن يقتبس منها في كلامه، ويقول في بعض مدح النبيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتعداد معجزاته، «امتثل السحاب أمره فسبّح باستسقائه دررا هامية هامة»¹.

والحادثة المقصودة بالعبارة السابقة هي: إستجابة السحاب لدعاء الرسول الكريم في طلب المطر، والروايات في هذا الموضوع كثيرة، من بينها ما ورد في هذه القصة «أصاب النَّاس في بعض مغازيه عطش؛ فسأله عمر الدعاء فدعا، فجاءت سحابة، فسقتهم حاجتهم ثم أفلعت»².

وفي ختام هذا الجزء من البحث، نود أن نوضح أنّ أبا حمّو قد استقى الكثير من أفكاره وصوره من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، في حين لم نستطع العثور على تناصات في مجالات أخرى كالتناص مع الشعر القديم أو التاريخ، وإنّما لاحظنا استخدامه في تلك المجالات الاستشهاد الصريح مع ذكر الأسماء، ممّا جعلنا نراه ظاهرة أسلوبية ميّزت كتاب "واسطة السلوك"، سنحاول تتبعها فيما سيلي من صفحات إن شاء الله.

2- الخطاب وأساليبه:

2-1- أسلوب الوصية:

المتصفح لكتاب واسطة السلوك يلاحظ أنّ أبا حمّو التزم أسلوب الوعظ والارشاد في جلّ كتابه، وكان هذا الأسلوب متبايناً ما بين الوعظ التربوي والوعظ السياسي، ولأنّ الكتاب في الأصل ألف من أجل غرض سياسي، كان من الطبيعي أن يضم بين جنباته النصائح السياسية التي يفترض بها أن تعين ولي العهد على حسن تسيير شؤون مملكته في جميع أحوالها، كما يعدّه للتعامل مع وزرائه وخاصته، وكيفية التواصل مع رعيته، وتدبّر أموره في السلم والحرب. وعليه، فالنصائح السياسية تعدّ عماد هذا الكتاب، وهذا ما يؤكد أبو حمّو في مقدمة كتابه حيث يقول: «فراينا أولى ما نتحف به وليّ عهدنا، ووارث مجدنا، والخليفة إن شاء الله

¹-موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان-واسطة السلوك-ص18.

²-القاضي عياض- الشفا-ص400.

تعالى من بعدنا، وصايا حكيمة، وسياسة عملية علمية، مما تختص به الملوك، وتتنظم بها أمورهم انتظام السلوك، ولهذا سميت هذا الكتاب بواسطة السلوك في سياسة الملوك¹.

وما يهمننا في هذا الصدد، وما يُعني به هذا العنصر من البحث، هو الوصايا الأخلاقية التي لم يخل منها واسطة السلوك، فقد حرص أبو حمّو على توجيه مجموعة من الوصايا الأخلاقية إلى وليّ عهده، تشمل أدب السلوك، وحسن الخلق، بالإضافة إلى الإرشاد الديني الذي يقول عنه صاحب الكتاب «وقد وضعنا لك، يا بني، هذا الكتاب.... وشرحنا فيه وصايا أخروية وسياسة دنيوية، وجمعنا لك ما يصلح بين أمور الدنيا والآخرة والسعادة الباطنة والظاهرة....»².

والوصية لغة من: وصيته توصية، وأوصيته إيحاء³، وأوصى الرجل ووصّاه: عهد إليه، وتوآصى القوم: أوصى بعضهم بعضا⁴.

فالوصية إذن جاءت بمعنى الوصل الذي هو ضد الانقطاع، وتعني ذلك الجسر الواصل للأجيال السابقة بالأجيال اللاحقة لينقل صحيح المعارف وسديد الرأي وخلاصة التجارب، والمقصود بالوصية هنا «تلك الكلمات البليغة التي يقولها بعض الأشخاص على هيئة نصيحة غير ملزمة، لمن يهمله أمرهم أو يعززون عليه، كالأبناء والأصدقاء والتلاميذ»⁵.

فهدف الموصي من وصاياه أن يفيد من يوجه لهم النصائح بعصارة تجربته في الحياة الحافلة بتراكماتها المادية والمعنوية والزاهرة بطبائع الناس ونفسياتهم المختلفة وفلسفاتهم ورؤاهم المتعددة⁶.

¹- موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان - واسطة السلوك-ص19.

²- المصدر نفسه-ص189.

³-ابن فارس-أبو الحسن أحمد بن فارس(3958هـ)-معجم مقاييس اللغة-تحقيق: عبد السلام هارون-ج6-دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع-(مادة وصى).

⁴-ابن منظور، لسان العرب، (مادة وصى).

⁵-حامد صادق قنبيبي-الأدب العباسي(نثر)- دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع-2008-ص176.

⁶-انظر: محمد مسعود جبران_فنون النثر الأدبي في أثار لسان الدين بن الخطيب_مجلد2_دار المدار الإسلامي_ط1_2004_ص66.

وتتقسم الوصايا حسب قائلها إلى نوعين وصايا عفوية فطرية ونعني بها «الوصايا التي ينطلق أصحابها في إرسالها وبنها من مجرد منطلق التجربة العادية القريبة أو من النظرة التي تمثلها الفطرة السليمة دون التعويل في بنائها على رصيد معرفي ضخم من شأنه أن يحلل القضايا... أما القسم الآخر الذي أسميناه... الوصايا المعرفية المتأملّة الكاشفة، فهي وصايا أدبية تشترك مع القسم الأول في أنّ أصحابها قد امتدّ بهم حبل العمر عن أنصباة متفاوتة، وأنهم قد عركوا الحياة والأحياء وتمرسوا خلال رحلة حياتهم بالعديد من التجارب على مختلف شكولها السياسية والاجتماعية والفكرية»¹.

والوصايا فن قد عرّف منذ القدم لدى جميع الشعوب، وهو يعتمد على نقل التجارب والخبرات بين الأجيال للاستفادة منها في خلق حياة أفضل ممّن سبقهم، وتفادي أخطائهم وهفواتهم، وقد ورد ذكر الوصايا في القرآن والسنة، لأنّ الإسلام مبني على أساس الوعظ والتناصح بالخير، ومن ذلك قول المولى عزّ وجلّ: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾²، وكذلك ما جاء من وصايا مختلفة في حجة الوداع للنبي صلى الله عليه وسلم: «أيّها الناس، اسمعوا قولي، فإني لا أدري، لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً، أيّها الناس، إنّ دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ريكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا...»³.

ومن بين ما وصى به أبو حمّو ابنه قوله: «يا بني، لبس ثياب العفة، وارثد برداء الوقار، وتتوج بتاج الحياء، وتزيا بزّي السكينة، وتقلد بصارم العدل، وتحل بحلية الكرم، وتختم بخاتم الهيبة»⁴، أراد أبو حمّو أن يغرس في ابنه صفات الإنسان الصالح، بالإضافة إلى صفات الملك الصالح، وذلك ليلقنه أنّ الأولى عماد الثانية، فالأخلاق السامية والحميدة هي أهم ما في شخصية الإنسان والملك على السواء، وعليه نجده حريصاً كلّ الحرص أن يمدّ ابنه ووليّ عهده بجملة من الوصايا الأخلاقية، والتي يراها أحسن ما يمكن أن يورثه لولده الحبيب، فالعفة

¹ موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان العبد الوادي - واسطة السلوك - ص 189.

² سورة الأحقاف - الآية [60].

³ عبد السلام هارون - تهذيب سيرة ابن هشام - المجمع العلمي العرب الاسلام - بيروت - د. ت - ص 371-372.

⁴ موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان - المصدر نفسه - ص 23.

والحياء هي أصل الوقار والهيبة والسكينة، ولا خير في رجل لم يكن الكرم والعدل أجمل ما يتحلى به.

وفي موضع آخر يرشد أبو حمّو قرّة عينه إلى ضرورة التحلّي بالصبر عند الشدائد فهو من عزم الأمور، والاتصاف بخلق العفو عند المقدرة، فما تصدق مؤمن بصدقة خير من العفو، كما يشجعه على إظهار المحبة لمن يحب ففي ذلك إصلاح للقلوب وتوطيد للعلاقات بن الناس، ولا ينسى أن ينهاه عن إظهار الكره لمن يكره، فذلك ليس من الحكمة، وهو باعث على زرع الحقد والضغائن، «يا بني التزم الصبر عند الشدة والعفو عند المقدرة، وأظهر المحبة لمن تحب ولا تفش البغض لمن تكره»¹.

ولا يغفل أبو حمّو أن يوجه ابنه إلى التجلّ بالآداب العامة، وحسن السلوك إذ يقول: «يا بني، واجعل عزمك في الأدب والأفعال، والصدق في جملة الأقوال، وإن وعدت عدة، فالواجب أتك توفيتها، ولا تكثر الضحك إلاّ تبسما، فإنّ كثرة الضحك يميت النفس أو يضرها»²، ويقول أيضا: «يا بني، إياك والغفلة في أحوالك، ولا تكثر النوم في ليلك ولا في نهار، واشتغل عن نومك بالفكرة، فإنّ في الفكرة العبرة، وفي الغفلة الحسرة»³.

وها هو الآن يبيّن أهمية المال لولده، فهو عصب الحياة، لا غنى للعاقل عنه، به تقضى الحوائج وتدرك الأمانى، «واعلم يا بني أنّ المال به تدفع العدى، حصن يتقى به من الردى، به تدفع آلام الأعراض، ويتوصل إلى المقاصد والأغراض، وبه نستفتح الصياصي، وتستملك النواصي، ويقاد العاصي، ويستندى القاصي، وبالمال تستبعد الرجال، وتبلغ الآمال، وتذل به الرقاب، وتستفتح به الأبواب، وتسهل الأمور الصعاب، وتنال به الرغائب، وينجى به من المصائب»⁴.

¹ موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان -المصدر السابق -ص23.

² المصدر نفسه-ص44.

³ المصدر نفسه-ص44.

⁴ المصدر نفسه-ص28.

ولأنّ مرضاة الله عزّ وجلّ أحسن ما قد يناله المرء ويحصل عليه، بل وهو أصل الوجود، وجالب الخير والتوفيق والسداد في حياة الإنسان ومماته، حرص أبو حمّو على أن يوصي ابنه بابتغاء سبيل الطاعة، وعدم الاغترار بالحياة الدنيا، ولا بزيّف حسنّها وعزّها وملكها، فكل شيء زائل إلا وجه الله تعالى فيقول في ذلك: «يا بني، ولا تنسى ذكر الله في سرّك ولا في جهرك ولا تدعه في جميع شأنك وأمرك، واجعله أنسك وشعارك، وقوتك في ليلك ونهارك ولا يشغلك ما تقلدت من أمر الخلافة عن ذكر الله، لأنّ كلّ شيء باطل سواه»¹ ويقول في نفس الموضوع أيضا: «يا بني، إنّ الاغترار بالدنيا باطل، فاركب لها جواد الحق، وإذا أعطيت ما يفنى فاشتر به ما يبقى، فإنّ الدنيا منهج الآخرة، ومن يجعل الدنيا رأس ماله، كانت تجارته خاسرة»².

2-2 أسلوب القصص والاستشهاد:

من بين ما هو جدير بالملاحظة في واسطة السلوك، هو أسلوب الاستشهاد الذي اعتمده الكاتب في كلّ الكتاب، فهو لا يكتفي بالاستشهاد بالقرآن والسنة، بل يتعداه إلى الاستشهاد بأقوال مأثورة عن الصحابة رضوان الله عليهم أو بعض الشخصيات المشهورة في التاريخ سواء في مجال الأدب أو السياسة، بالإضافة إلى الحكم والأمثال، بل وأكثر ما يميّز أسلوب الاستشهاد لدى أبي حمّو، استخدام أسلوب القصص لتوجيه ملاحظات وأفكار معينة لابنه، وترسيخها لديه، وفي مجال القصص دائما، يعمد إلى استخدام الرمز في سرد القصة لتحقيق نسبة فهم أكبر لدى ابنه، وهو في ذلك يحاكي ما جاء في كتاب "كليّة ودمنة"³.

وعليه جاء واسطة السلوك مزينا بعدد وافر من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، والحكم والأمثال، والأبيات الشعرية، والأقوال المأثورة، والأحداث التاريخية، إضافة إلى قصص الملوك والوزراء المستقاة من الحضارة الإسلامية والانسانية، وقد أضفى هذا الأسلوب، جمالا

¹-موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان -المصدر السابق -ص24.

²-المصدر نفسه-ص26.

³-"كليّة ودمنة": كان يسمى قبل أن يترجم إلى العربية "باسم الفصول الخمسة وهي مجموعة قصص ذات طابع يرتبط بالأخلاق والحكمة، وهي قصص الفيلسوف بيدبا-تروي قصة عن ملك هندي يدعى "دبشليم" طلب من حكيمة أن يؤلف له خلاصة الحكمة بأسلوب مسهل ومعظم شخصيات القصص عبارة عن حيوانات برية.

ورونقا على الكتاب، كما أظهر فيه أبو حمّو قدراته في الحفظ وحسن التوظيف، وأماط اللثام عن قدراته الأدبية وثقافته الواسعة، ودقته اللامتناهية في اختيار الشاهد المناسب في الموقف المناسب.

أ- الاستشهاد بالقرآن الكريم:

فمن أمثلة الاستشهاد بالقرآن الكريم، ما أورده حين حدّث ابنه بضرورة اعداد الملك الراشد لجيش قوي يحمي به مملكته في أيّ خطر قد يهددها، فوظّف للاستدلال على ما يقول قول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَ مِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ...﴾¹.

وعندما بيّن لولي عهده أهمية الكرم والبذل للخاصة والعامة، وما يجلبه ذلك من خير لصاحبه، استشهد أبو حمّو بقول الحقّ عزّ وجلّ: ﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾².

ولأنّ الأبناء هم قرّة أعين آبائهم، وجلّ ما يتمناه الآباء في هذه الحياة الدنيا يستدل الكاتب بقول المولى عزّ وجلّ على لسان زكريا عليه السلام: ﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَ اجْعَلْهُ رَبِّي رَضِيًّا ﴾³.

وحين يتعرض الكاتب لعظمة الخالق وقدرته العظيمة سبحانه وتعالى وعلمه الذي وسع كلّ شيء، يستشهد بقول الحقّ: ﴿ وَ مَنْ هُوَ مُسْتَخَفٍ بِاللَّيْلِ وَ سَارِبٍ بِالنَّهَارِ ﴾⁴.

ب- الاستشهاد بالحديث الشريف:

وإذا انتقلنا إلى الاستشهاد بالحديث الشريف نجد أبا حمّو قد أكثر منه، وهو موزع على معظم صفحات الكتاب، ومن ذلك استخدامه في الحديث عن أهمية المسؤولية وضرورة تولي

¹ سورة الأنفال، الآية [177]-واسطة السلوك-ص24.

² سورة الحشر، الآية [09]- المصدر نفسه-ص162.

³ سورة مريم، الآية [06]- المصدر نفسه-ص18.

⁴ سورة الرعد، الآية [10]- المصدر نفسه-ص17.

الملك لجميع مسؤولياته على أكمل وجه، حيث أورد قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿كَلِمَةٌ رَاعٍ وَكَلِمَةٌ مَسْئُولٍ عَنْ رَعِيَّتِهِ﴾¹.

ويستشهد بحديث آخر، عندما يتعرض لصفة الحسد وخطورتها على الحاسد والمحسود فينبه ولي عهده من آثار الحسد وما يمكن أن يسببه له من أذى، فيعرض قول المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ»².

وفي مقام آخر يوصي أبو حمّو ولده بضرورة توظيف سوء الظن في تحليل الأمور بغية الحذر والاحتياط حتى لا يقع ضحية حيلٍ وألاعيب أعدائه، ويرى أنّ الظن السيء هنا دليل الحكمة والحذر وهو بذلك صفة محمودة على المسلم أن يتصف بها، ويستشهد على ذلك بقول النبي الكريم صلى الله عليه وسلم: «الحزم سوء الظن»³.

ج- الاستشهاد بالأقوال المأثورة:

أما بالنسبة للأقوال المأثورة عن الصحابة أو الشخصيات التاريخية الأخرى، فنجد أنّ الكاتب قد أكثر أيضا الاستشهاد بها، من ذلك قول سيّدنا علي رضي الله عنه في صفة الملوك وأحوالهم، «إمام عادل خير من مطر وابل وأسد خطوم خير من سلطان ظلوم ولسان ظلوم خير من فتنة تدوم»⁴.

وغاية أبي حمّو من وراء هذا القول للإمام علي رضي الله عنه حتّى ولي عهده على الاتصاف بالعدل لأنّه أساس الملك.

ويستشهد أبو حمّو إثر حديثه عن ضرورة أن يكون الملك رجل دين ودنيا فلا يهمل دنياه ومملكه، ولا يضيّع آخرته، بقول سيّدنا عمر الفاروق رضي الله عنه حين قال: «ليس الرجل رجل

¹ موسى بن يوسف-أبو حمّو بن زيان-واسطة السلوك- ص141-مصدر الحديث: مختصر صحيح مسلم-مراجعة وترجمة:

أحمد زيدان ودينا زيدان-دار التوزيع والنشر الإسلامية- القاهرة- مصر- 2000-ج1-ص704-رقم الحديث: 1201.

² المصدر نفسه-ص127-مصدر الحديث: السجستاني- سنن أبي داود- تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون-دار الرسالة العالمية- ط1-ج7-ص264-باب الحسد رقم4903.

³ المصدر نفسه-ص136-مصدر الحديث: محمد نصر الدين الألباني-سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء على الأمة-مكتبة المعارف-الرياض- ط2-1988-مجلد03-ص291.

⁴ المصدر نفسه-ص142-مصدر الحكمة: هي من أقوال سيدنا عمر بن العاص وليست لسيدنا علي-أنظر: ابن عساکر-

مختصر تاريخ دمشق- تحقيق: إبراهيم صالح-دار الفكر- ط1-دمشق-1989-ج19-ص251.

الآخرة، وإنما الرجل رجل الدنيا والآخرة¹ وهو بذلك يحبب الاعتدال في السلوك لولي عهده، كي لا يهمل آخرته بسبب الاقبال على الدنيا، ولا يهمل شؤون رعيته جزاء الاعتكاف طمعا في الآخرة.

وفي صدد الحديث عن إلزامية اتخاذ الملوك لأطباء مهرة، ووعظ ابنه باختيار طبيب ماهر يلزمه في جميع أحواله، يذكر أبو حمّو ابنه وولي عهده بأن الله عزّ وجلّ هو الطبيب الأوّل والأخير، وإنما يُتخذ الأطباء من أجل الأخذ بالأسباب لا غير، ويستشهد على قوله بما روي عن أبي بكر في مرضه وقد قيل له: أندعو لك طبيبا فقال: «الطبيب الذي أمرضني»².

ويسترسل الكاتب مستشهداً؛ حيث يستدل أبو حمّو بحكم سيدنا علي كرم الله وجهه مرة أخرى، نختار من بينها، ما وظفه الأديب وهو في عرض الحديث عن الحسد والحاسد، يقول: «قال علي بن أبي طالب : لن يصل الحسد إلى المحسود حتى يقتل الحاسد نفسه بغمّ دائم وعقل هائم وهمّ لازم، وما رأيت ظالما يتشبه بمظلوم إلاّ الحاسد»³.

ويعرج أبو حمّو صوب الفيلسوف اليوناني "أرسطو"، حيث وظف إحدى حكمه، عندما تعرض للحديث عن العامة وأحوالها، يقول: «وقال أرسطو: اتقوا العامة فإنّها إن قامت لم ترقد وإن طلبت لم توجد»⁴.

¹ موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان-المصدر السابق-ص50-مصدر الحكمة: لا توجد مقولة لعمر(ض) بهذه العبارة-وإنما حديث للرسول(ص) مع بعض التغيير-يقول(ص):«ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ولا الآخرة للدنيا ولكن خيركم من أخذ من هذه لهذه»-أنظر: إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي- كشف الخفاء ومزيل الالتباس عمّا اشتهر من الأحاديث على السنة الناس-مكتبة القدسي-القاهرة-1351هـ-ج2-ص169-رقم2139.

²المصدر نفسه-ص43-مصدر القول: ما ثبت عن أبي بكر(ض) قول:«... فقال ألا تدعو لك طبيب؟ قال: إنّي فعّال لما أريد» أنظر: ابن الجوزي صفوة الصفوة- تحقيق: محمود فاخوري-دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع-ط3-1985-ج1-ص264.

³المصدر نفسه-ص127-مصدر الحكمة: وردت الحكمة بعبارة مشابهة قال علي(ض):«الحسد حزن لازم وعقل هائم نفسّ دائم-والنعمة على المحسود نعمة وهي على الحاسد نقمة انظر: علي عاشور-5000حكمة من حكم الإمام علي- مؤسسة التاريخ العربي للطباعة-ط1-2005-ص225-رقم الحكمة: 1880.

⁴المصدر نفسه-ص112.

يحاول الملك من خلال هذه الحكمة أن يبين لولي عهده خطورة الاستهزاء بالعامّة من الشعب؛ فهو لا يمكن أن يستشعر متى تتحرك غاضبة وثائرة على أحوالها، وحينذاك لا يمكن بأيّ حال التحكم فيها أو السيطرة عليها.

د- الاستشهاد بالأمثال والحكم:

لقد جاءت الحكم كثيرة بين طيّات واسطة السلوك لا تكاد تخلو منها صفحة من صفحاته أو فقرة من فقراته، وكان من بينها قول أبي حمّو وهو يعرض لأهمية المسؤولية «عند الامتحان يكرم المرء أو يهان»¹.

أما عن ضرورة اختيار القائد المناسب والمميزات التي يجب عليه الاتصاف بها يقول: «أسد يقود ألف ثعلب خير من ثعلب يقود ألف أسد»².

وينبه ولي عهده من خطورة أعدائه، فيضنّ كلامه الحكمة التالية: «إذا عجزت عن التحصن من كلام عدوك، فأنت عن التحصن من كيدِه أعجز»³.

وفي موضع آخر، يحذر ولده من خطورة الرعية، فيضرب له مثالا عن ذلك بمحتوى الحكمة التالية: «أيدي الرعية تبع لألسنتها، فإذا قدرت أن تقول قدرت أن تصول»⁴، وقد كررت هذه الحكمة أكثر مرّة في واسطة السلوك، ولعلّه دليل على تأثر أبي حمّو الشديد بالفكرة التي تتضمنها.

الملك عند الكاتب، إنّما يكون كذلك بتميّزه عقلا وحكمة ودينا، فلا يكون تميّزه بما اكتسبه من سلطان وممتلكات وأبهة الملك، لذلك يتمثل أبو حمّو بمحتوى الحكمة التالية: «كان يقال تميز الملوك عن السوقة إنّما بفضيلة الذات، لا بفضيلة الآلات»⁵.

¹- موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان-المصدر السابق -ص61.

²- المصدر نفسه-ص102.

³- المصدر نفسه-ص124.

⁴- المصدر نفسه-ص124.

⁵- المصدر نفسه-ص65.

الحكماء أعقل الناس وأقدرهم على معرفة حقائق الأشخاص والأشياء، وذلك لما تميّزوا به من رجحان العقل وطول المراس في الحياة، وعليه يورد الكاتب هذه الحكمة «كان يقال إنّ قلوب الحكماء تستشف الأسرار من لمحات الأبصار»¹.

ولا يبرح الأديب الحكم وأهمية الاستشهاد بها إذ يقول وهو يحذر ابنه من خطر النساء وكيدهن «أول نشوز المرأة كلمة سومحت بها وأول حرن الدابة حيدة سوعدت عليها»².
 وحين ينهى ولي عهده عن احتقار الأمور البسيطة وما قد ينجّر عن ذلك من عواقب وخيمة يوظف الحكمة التالية بين طيات كلامه، يقول: «ترك نكيل الصغائر مدعاة إلى الكبائر»³.

و- الاستشهاد بالشعر القديم:

يقف أبو حمّو عند أبيات من شعر المتنبي محاولاً الاستشهاد بحكمته وتجربته في الحياة حين يحدث ابنه عن حسن التصرف في المال: «والتوسط في العطاء والبذل، وقد قال المتنبي»⁴.

فَلَا تَجْعَلَنَّ فِي الْمَجْدِ مَالَكَ كُلَّهُ	***	فَيُنْحَلُّ مَجْدٌ كَانَ بِالْمَالِ عَقْدُهُ.
وَدَبْرُهُ تَدْبِيرَ الَّذِي الْمَجْدُ كَفُّهُ	***	إِذَا حَارَبَ الْأَعْدَاءَ وَالْمَالُ زَنْدُهُ.
فَلَا مَجْدَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ	***	وَلَا مَالَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَجْدُهُ.

يصرّ أبو حمّو على أنّ المجازفة في طلب الملك محمودة، ويوصي بها ولده، ويستدل على رأيه بأبيات لامرئ القيس يقول: «وإن عاقه حلول منيته دون بلوغ امنيته فله في ذلك أوضح عذر وأجمل ذكر وأعظم فخر، كما قال امرؤ القيس»⁵:

¹- موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان-المصدر السابق-ص64.

²- المصدر نفسه-ص124.

³- المصدر نفسه-ص124.

⁴- المصدر نفسه-ص28.

⁵- المصدر نفسه-ص33.

بَكَى صَاحِبِي لَمَّا رَأَى الدَّرْبَ دُونَهُ *** وَأَيَّفَنَ أَنَا لِأَحِقَانَ بِقَيْصَرَآ.
 فَقُلْتُ لَهُ لَا تَبْكِ عَيْتُكَ إِئْمَا *** نُحَاوِلُ مُلْكَآ أَوْ نَمُوتَ فَنُعَذَّرَا.

هـ - الاستشهاد بالتاريخ:

يوظف أبو حمّو التاريخ في استشهاده، سواء بذكر معلومات تاريخية أو سرد بعض الأحداث، ومن ذلك الاستدلال بالأمين¹ بن هارون الرشيد على ماهية الملك الضعيف وكيف يكون حاله في قلة عقله وسوء تدبيره للأمور فيقول: «وهذا أيضا كالأمين بن هارون الرشيد، فإنّه كان ضعيف الرأي، ناقص العقل قليل السياسة غير محسن للرئاسة»².

كما استدل أيضا بخبر الوليد³ بن يزيد بن عبد الملك بن مروان، و استشهد به على حال الملك السيء فقال: "وهذا كالوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان فإنه كان كبير الهتار، خالعا في الانهماك العذار، سيء السيرة، خبيث السريرة، جانبا على أهله، مسيئا في فعله"⁴.

أما في مجال الاستشهاد بالأحداث التاريخية فهو يورد قصصا عديدة، من بينها ما دار بين الأمين والمأمون⁵ من حروب حول الملك وما كان بينهما من أحداث واقتتال فيقول حول إحدى تلك الحوادث: «مثل ما فعل الأمين حين بعث على⁶ بن ماهان قائدا على مائتي ألف، فقابله المأمون بطاهر⁷ بن الحسين قائدا أعنته في ثلاثة عشر ألفا وقد كان كتب إليه كتابا يقول

¹-الأمين: بن هارون الرشيد بدأت ولايته منذ وفاة أبيه وانتهت بعد حكم دام خمس سنوات تقريبا-خاض نزاعا طويلا مع أخيه المأمون انتهى بقتله-انظر: أحمد مختار العيادي- في التاريخ العباسي والأندلسي-دار النهضة العربية-بيروت-1972-ص94.

²-موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان العبد الوادي-واسطة السلوك-ص56.

³-الوليد بن يزيد: أحد خلفاء بني أمية، ولايته(742م-743م) معروف بالفسق وانتهاك الحرمات فقتل، انظر: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي-سير أعلام النبلاء- مؤسسة الرسالة-2001-ج5-ص371 وما بعدها.

⁴-موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان العبد الوادي-المصدر نفسه-ص55.

⁵-المأمون: ابن هارون الرشيد أحد الخلفاء العباسيين ولايته(813م-743م) كان بارعا في الفقه والعربية مهتما بالفلسفة-انظر: أحمد مختار العيادي- في التاريخ العباسي والأندلسي-ص101.

⁶-علي بن همام: من رجال الأمين وآله همذان وناهوند وقم واصبهان، وقد قتل في حروبه ضدّ طاهر بن الحسين انظر: أحمد مختار العيادي- في التاريخ العباسي والأندلسي-ص97.

⁷-طاهر بن الحسين: من رجال المأمون، ولي علي خراسان، أرسله المأمون لقتال علي بن همام في جيش قليل، لكنه انتصر-انظر: أحمد مختار العيادي- المرجع نفسه-ص97.

فيه، إنّي وجهت إليك بجراب من سمس لا يحصي جنودي إلا من يحصي ما فيه، فقال: فكتب إليه المأمون: عندي حمام يلتقط ذلك السمسم في يوم واحد...¹ وهو بهذه القصة يحاول ان يبيّن أن القلة مع الحق تنتصر دائماً.

ويورد أبو حمّو قصة عزل عثمان بن عفان رضي الله عنه لعمر بن العاص حين تعرض للحديث عن العمال وعزلهم، حيث قال: «ولما عزل عثمان بن عفان رضي الله عنه عمرو بن العاص عن مصر، استعمل عليها ابن أبي السرح، فحمل من المال أكثر ممّا كان يحمله عمرو فقال له عثمان: يا عمرو، أشعرت أنّ اللّقاح دّرت بعدك، فقال: ذلك لأنكم قد أجحفتهم بأولادها»².

ومن بين الأحداث التاريخية التي تعرض إليها الكاتب، حادثة حصار الملك الزياني أبي تاشفين³؛ من قبل الجيش المريني في تلمسان، يقول: «وكذلك اتفق للسلطان أبي تاشفين حين فرط في جيشه عندما حاصره بنو مرين، أمسك يده عن العطاء في الحصار، واستعد بالحصن وبالقليل من الأنصار حتّى كاد العدو أن يدخل البلد عليه طلباً لمن يعطي المال، فلم يلتفت أحد إليه»⁴.

يستلهم الكاتب من التاريخ وأحداثه العبر والحكم، فلا يبرحه حتّى يثبت العديد من قصص عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حسن سياسته وعدله؛ ومن بينها قوله عن ضرورة محاسبة العمّال «كما يروى أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كتب إلى أبي موسى أن يأتيه

¹ موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان - واسطة السلوك - ص 88.

² المصدر نفسه - ص 102.

³ أبو تاشفين: هو الملك الزياني (1283م-1303م) حكم بعد والده أبي حمّو موسى بن عثمان بعد أن قتله كان من أهل العزم لكنه لم يخل من الميل إلى أمور الدنيا وملذاتها، انظر: عثمان الكعك - موجز تاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي - دار الغرب الإسلامي - 2003 - ط 1 - ص 120.

⁴ موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان - المصدر السابق - ص 149.

بعماله، وكان واليا على العراق قال الربيع بن زياد الحارثي¹، وكنت عاملا لأبي موسى الأشعري على البحرين، فأمر عمر (ض) بقدوم العمال عليه وأن يستخلفوا جميعا...²»
ويسترسل أدينا في الاستشهاد، فيستخدم هذه المرّة قصصا من عمق حضارات إنسانية مختلفة كالفارسية والرومانية والهندية، ومن بينها قصة وزير الملك "سابور" الفارسي³، وقد أدرجها في حديثه المسترسل عن أهمية اختيار وزير مناسب يكون حكيما ووفيا والقصة تدور حول الوزير الحكيم والناصح لمليكه "سابور"، وكيف استطاع إنقاذه من بين أيدي الرومان، بعدما أخذ أسيرا إثر دخوله إلى روما متتكرا، وقد تمكن وزيره الداهية والمخلص أن يجنبه الموت المحقق ويحمي مملكة الفرس، حين عزم الملك الروماني اقتحامها بعد اقترابه منها والملك "سابور" في حوزته مكبلا، وعندها أعمل الوزير الحيلة فأنقذ نفسه وملكه والمملكة كلّها مغامرا في ذلك بسلامته وحياته، يقول أبو حمّو: «فمن كان من الوزراء جامعا لهذه الأمور، كان في سياسته ودهائه كوزير سابور، يحكى أنّه لما عزم سابور بن هرمز على الدخول لبلاد الروم متتكرا متجسسا، نهاه نصحاؤه وحذروه التغير بنفسه في أمر يمكنه أن يستتیب فيه فعصاهم.... ثم إنّ سابور توجه نحو بلاد الروم، واصطحب وزيرا كان له ولأبيه من قبله، وكان شيخا ذا دهاء وحزم، وسداد رأي، وحنكة وبصر بالديانات واللغات، وتبحر في العلوم، وخبرة بالمكائد.... بادر الوزير ففتح باب المقصورة على "سابور" واستخرجه وازال الجامعة من عنقه ويديه وتلطف حتّى اخرجه من عسكر قيصر وقصد به جندي "سابور" وهي مدينة ملكه، فانتهيا معا إلى سورها، فصرخ بهما الموكلون بحراسة السور... وعزّفهم بنفسه وأعلمهم بسلامة ملكهم...⁴».

¹ الربيع بن زياد الحارثي: صحابي من بني حارث بن كعب، استخلفه أبو موسى على قتال منازر واستعمله معاوية على خراسان-أنظر: ابن الأثير-أسد الغابة في معرفة الصحابة-دار ابن حزم-ط1-2012-ص383.

² موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان-واسطة السلوك-ص97.

³ سابور الفارسي: هو سابور بن أردشير ملك فارسي حكم ثلاثا وثلاثين سنة وكانت له حروب مع كثير من ملوك العالم تلقبه العرب سابور الجند أنظر: المسعودي-مروج الذهب ومعادن الجواهر-المكتبة العصرية-ط1-دمشق-2005-ج1-ص190.

⁴ موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان العبد الوادي-المصدر نفسه-ص62 وما بعدها.

وقد جاءت هذه القصة مطولة تجمع بين جنباتها قصصاً أخرى متداخلة من بينها قصصاً استخدم فيها الكاتب الرمز لشرح وجهة نظره، وقد جاءت في أسلوب شيق وممتع. وفي نفس الموضوع المتعلق بالوزراء المخلصين والأوفياء وضرورة حصول الملوك على أمثالهم أورد أبو حمّو قصة أخرى، عن أحد ملوك الحيرة وابنته "فارعة" التي انتقامت من قاتل أبيها واستعادت ملكه، وكيف سعى وزير غريمها للانتقام لملكه وفاء منه وإخلاصاً، والقصة جاءت مطولة، نورد بعضها منها: «جذيمة بن مالك ملك على الحيرة وما حولها من السواد، ملك ستون سنة، وكان به وضح في بدنه أي برص، وكان شديد السلطان، قد خافه القريب والبعيد، فتهيبت العرب الحاجز بين الروم والفرس... فقتل جذيمه وطرد الزباء (فارعة) إلى الشام فلحقت بالروم، وكانت عربية اللسان، حسنة البيان، شديدة السلطان، كبيرة الهمة، قال ابن الكلبي¹ لم يكن في نساء عصرها أجمل منها، وكان اسمها فارعة، وكان لها شعر إذا مشت سحبتة من ورائها، وإذا نشرته جلّ لها فسميت الزباء، وبعث ابن مريم عليه السلام بعد قتل أبيها، فبلغت بها همّتها أن جمعت الرجال وبذلت الأموال وعادت إلى دار أبيها ومملكته...»².

وكما أسلفنا الذكر، تضمنت قصة وزير "سابور" بعض القصص الرمزية، حيث جاءت القصص على لسان الحيوان وهو نفس أسلوب قصص "كليلة ودمنة"، والرمز لغة إيحائية يعبر من خلالها الأديب عن أبعاد يعجز عن الإفصاح عنها، فيلجأ إليه لنقل أفكاره وآرائه ومشاعره، عن طريق الإيحاء بما يستعصي عليه تحديده ووصفه»³.

وقد جاءت القصص الرمزية على لسان الوزير وهو يجالس القادة الرومانيين وملكه محبوس عندهم في المعسكر، فتظاهر أنه يسامر بها القادة، ولكنّه تعمد أن يفهم بها ملكه ما كان يجري من حوله، ويطمئنه، ويبشره بأنّه سوف يعمل على فكّ أسره، ومن بين ما قاله الوزير «قالت العجوز: هكذا قال الفرس للخنزير... فقال «عين أهله» للعجوز: إن رأيت أن تحدثيني بذلك

¹ محمد بن الكلبي-ت-146هـ-763م-نسابه، مفسر- متروك الحديث، أجمع العلماء على كذبه وضعفه وذمّه-أنظر: الزركلي خير الدين-الأعلام-دار العلم الملايين-ط15-دمشق-2002-ج8-ص87-88.

² موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان -واسطة السلوك-ص77 وما بعدها.

³ أنظر: زايد علي العشري، عن بناء القصة العربية-دار الفصحى-مصر-1977-ص110.

وكيف كان فإنك تحسنين إليّ به؟، فقالت العجوز: ذكر أنّ فرسا كان لرجل من الشجعان فكان يكرمه ويحبّه... فمرّ به خنزير فهمّ بقتله، ثم عطفه عليه لما رآه به من الضعف،... فسأله الخنزير عن الذنب الذي استحقّ به تلك العقوبة¹.

ثمّ يسترسل الوزير في سرد قصة أخرى على لسان العجوز دائما: «ذكر أنّ تاجرا كان له ابن ليس له ولد غيره، وكان شديد المحبة له والشغف به، فأتحفه بعض معارفه بغزال شرخ صغير، فعلق به قلب الولد... فكان لا يفارقه... حتّى إذا اشتد الغزال وشدن نجم قرناه، فقال الغلام لأهله: ما هذا في رأس الغزال؟ قالوا قرناه... فقال الطيبي للطبي: ما ظننت قبل أن أرى أنّ لي في الأرض شكلا...»².

ويصل الوزير في الأخير بالقصص الرمزية إلى إفهام ملكه أنّ المقصود بالشخصيات المذكورة شخصه وشخص وزيره والحال التي هما فيها، وما سيؤول إليه حالهما مستقبلا بفضل التخطيط المحكم للوزير الحكيم.

وفي نهاية هذا الجزء من البحث يمكن القول أنّ واسطة السلوك كان غنيا بأساليب الخطاب المختلفة كما قد رأينا سالفًا ما بين وصايا مختلفة (وقد حاولنا التركيز على الوصايا الأخلاقية) وما بين أساليب الاستشهاد التي جاءت متنوعة؛ دلّت على كثرة إطلاع أبي حمّو على مختلف أنواع الكتب وعلى اتساع ثقافته؛ وعليه يمكن القول أنّ هذا التنوع في أسلوب الكتاب يعد ظاهرة أسلوبية لدى الكاتب.

3- الانسجام الصوتي:

ونقصد به انسجام الفواصل بين التراكيب، فتأتي الجمل متناسقة الفواصل ومنسجمة الأصوات ومتماثلة الأوزان، متساوية في طول النفس أو قصره وفي الألفاظ والكلمات من جهة الوزن والعدد، وهذا الانسجام الصوتي هو ما يضيف على النثر طابعا غنائيا يحاكي القافية في الشعر، والانسجام الصوتي له جذوره البلاغية فهو نفس ما اصطلح على تسميته في علوم

¹موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان - واسطة السلوك - ص 69 وما بعدها.

²المصدر نفسه - ص 72 وما بعدها.

البلاغة السجع أو الازدواج، وقد عرفه ابن الأثير بقوله: «تواطؤ الفصول في الكلام المنثور على حرف واحد»¹.

ويعدّه أبو هلال من محاسن النثر إذ يقول: «لا يحسن منثور الكلام، ولا يخلو حتّى يكون مزدوجاً، ولا تكاد تجد لبلّغ كلاماً يخلو من الازدواج»².

وقد اعتمد أبو حمّو على الانسجام الصوتي في تدوين كتابه، وهو في ذلك لا يخرج عما طبع أسلوب التأليف في عصره، حيث لا يخلو كتاب من كتب تلك العهود من أهم أنواع التحسين البديع ألا وهو السجع أساساً ثم باقي الأنواع الأخرى من أمثلة الطباق والجناس وغيره. ومن أمثلة الانسجام الصوتي في كتاب أبي حمّو قوله: «أن يكون خيار قومه وعترته، وكبير عشيرته وبيته، وأن يكون وافر العقل، عارياً من الجهل، حاضر الذهن»³ فكما هو ملاحظ جاءت التراكيب متساوية في الحجم، وقد اعتمد فيها على قصار الجمل، كما نلاحظ الانسجام في وزن الكلمات، وكذلك توحيد الحرف الأخير في كلّ فاصلتين متتاليتين، ويمكننا تحديد مواطن الانسجام من خلال الجدول التالي:

الجدول رقم (1)

حرف الفاصلة	التركيب الثاني	التركيب الأوّل
الهاء	كبير عشيرته وبيته	خيار قومه وعترته
اللّام	عارياً من الجهل	وافر العقل

¹ انظر: ابن الأثير-المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر-تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد-ج1-المكتبة العصرية-بيروت-1995-ص195.

² أبو الهلال العسكري: الصناعتين-العصرية-بيروت-1986-ص260.

³ موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان العبد الوادي-واسطة السلوك-ص60.

1_المصدر نفسه_ص120

وفي موضع آخر يختار أبو حمّو تراكيبه وكلماته وأوزانه بدقة كبيرة، فصبغ نثره في هذه الفقرة بصيغة غنائية محسوسة، حيث يقول: «وأما فضيلة الأدوات فاتخاذ المباني الوثيقة العليّة، والملابس الأنيفة السريّة والذخيرة النفيسة السنيّة والمطاعم اللذيذة الشهية والمراكب الشريفة البهيّة»¹ ومن خلال تفحصنا للفقرة نجد أن الأديب لم يكتف بتوحيد الحرف الأخير في التراكيب المتتالية بل أضاف إليه ما زاد الحس الموسيقي ترسيخا في الأسماع وهو الياء المشددة التي سبقت التاء المربوطة المنطوقة "هاء" في آخر كلّ فاصلة، وكأنّه أراد بنهاية الفواصل التي اختارها تأكيد معنى معين لابنه وترسيخه لديه وهو ضرورة اتخاذ أبهة الملك من مباني وملابس ومطاعم ومراكب والتمتع بها، ونستدلّ على رصد الانسجام الصوتي في هذه الفقرة بالجدول التالي:

الجدول رقم (1)

حرف الفاصلة	التراكيب المتتالية
الياء المشدّدة والتاء المربوطة	-المباني الوثيقة العليّة
	-الملابس الأنيفة السرية
	-المطاعم اللذيذة الشهية
	-المراكب الشريفة البهيّة

وفي وصية لابنه باختيار كاتب يشتمل على أوصاف الكمال لأنّه عنوان المملكة وممثل ملكها قال أبو حمّو: «... كاتباً من وجوه بلادك، موفياً لغرضك وقصدك، فصيح اللسان، جريئ الجنان، بليغ البيان، عارفاً بالآداب، سالكا طرق الصواب، بارع الخط، حسن الضبط،

عالما بالحلّ والربط، كاتما للأسرار، متحليا بالوقار، ذا عقل وافر وفهم حاضر وذهن ثاقب وفكر صائب، حلو الشمائل، موسوما بالفضائل...»¹.

والملاحظ في هذه الفقرة تنوع الفواصل، فقد أتى بفاصلتين أو أكثر من نفس الحرف الأخير ثم ينتقل إلى فواصل جديدة بحرف جديد، فجاءت الفقرة متعددة الجرس الموسيقي؛ ولهذا الأمر علاقة وطيدة بالموضوع المعالج فيها وهو صفات كاتب الدولة التي يجب عليه أن يشتمل عليها، فبتعدد الصفات تعددت الفواصل، فجاء المبنى مدعما للمعنى المراد.

وفي صدد حديثه عن اختيار الملك لرجال دولته؛ تأتي الفواصل مختومة بحرف الكاف، فكانت كاف الخطاب هنا نعم الموضح بأنّ الكلام موجه لولي عهده، بحسن الاختيار، لأنّ رجال الدولة، عماد المملكة ومسيروها جنبا لجنب مع الملك، فإن أحسن إنتقاءهم يعود إليه خيرهم، وإن أساء التدبر في أحوالهم فإنّ شرهم يعود عليه أيضا، يقول أبو حمّو: اعلم يا بني، أنّه ينبغي لك أن تتدبر في وزرائك وجلسائك، وكتابك، وفقهائك وقضاتك وأعوانك؛ وعمالك وقوادك وأجنادك»².

والانسجام الصوتي في هذه الفقرة ممثل في الجدول الآتي:

الجدول رقم (3)

حرف الفاصلة	التراكيب المتتالية
حرف الكاف	أن تتدبر: في وزرائك وجلسائك وكتابك وفقهائك وعمالك وقوادك وأجنادك

¹- موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان العبد الوادي-واسطة السلوك-ص132.

²- المصدر نفسه -ص60.

وهذا مثال آخر تحدث فيه الكاتب عن القرب من المولى عزّ وجلّ يقول: «ولا تنس ذكر الله في سرّك ولا في جهرك، ولا تدعه في جميع شأنك وأمرك؛ واجعله أنسك وشعارك، وقوتك في ليلك ونهارك»¹.

يخشى الكاتب على ولده أن يعتز بالملك والجاه ورغد العيش، فيتحجر قلبه ويضعف إيمانه، ويبتعد عن ذكر الله، لذلك ومن خلال المثال السابق ينبهه إلى هذا الموضوع؛ مستخدماً "كاف الخطاب" في ختام الفواصل حتى يؤكد على ابنه أنه معنيّ بهذا الكلام؛ ولقد جاءت الفواصل، متساوية الحجم، ومتناسقة، تنساب بسلاسة إلى الأذن ومن ثمّة إلى القلب، ونمثل الانسجام الصوتي بالجدول الآتي:

الجدول رقم (4)

حرف الفاصلة	التركيب الثاني	التركيب الأوّل
حرف الكاف	ولا تدعه في جميع شأنك وأمرك وقوتك في ليلك ونهارك	ولا تنسى ذكر الله في سرّك ولا في جهرك واجعله أنسك وشعارك

الظلم أسوأ ما قد يتصف به أي ملك، بل وأيّ إنسان، وإذا إتصفت أيّ مملكة بالظلم، فاعلم بأنّ أيامها قد وّلت، وصارت في لحظاتها الأخيرة لأنّ للمظلوم إذا غضب هبة لا يحمد عقباها، قد تأتي على الأخضر واليابس، فالرخاء والاستقرار والتطور في أيّ مكان مقرون بانتشار العدل، وهذا ما أراد الكاتب أن يترسخ في ذهن ولي عهده، حيث قال: «فإنّ ريح الظلم إذا عصفت قصفت، وريح العدل إذا هبّت ربت»².

¹- موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان - المصدر السابق - ص 24.

²- المصدر نفسه - ص 23.

نلاحظ أنّ الكاتب ختم فواصله بحرف "التاء" وهي تاء التأنيث التي تعود على ربح الظلم وريح العدل؛ وقد جاءت الفواصل متساوية الحجم، أضفت جرسا موسيقيا على الفقرة التي وردت فيها، ونمّثل الانسجام الصوتي الحاصل في الفقرة بالجدول التالي:

الجدول رقم(5)

حرف الفاصلة	التركيب الثاني	التركيب الأول
	وربح العدل إذا هبت ربت	فإنّ ربح الظلم إذا عصفت قصفت

كما سبق وذكرنا جاء كتاب واسطة السلوك من بدايته إلى نهايته مرصعا بالسجع، الذي أحدث تشكيلا صوتيا مميّزا للكتاب، وعليه لا يمكننا حصر هذه الظاهرة الأسلوبية، و عليه سنكتفي بذكر النماذج الأخرى من غير شرح و ستكون ممثلة في الجدول اللاحق، والذي ضمّ عيّنات مختلفة، جاء جزء منها متناسقا في حجم الفواصل ووزن الكلمات، بينما جاء بعضها الآخر مفتقرا لذلك الانسجام وهو حال جلّ الفقرات في واسطة السلوك.

الجدول رقم(6)

حرف الفاصلة	التركيب الثاني	التركيب الأول	النموذج
الكاف	- في حالتي ترففك وإرهاقك - بل يزرجه تخويفك وإرهابك	- عارفا بتصرفاتك وأخلاقك - فريما غضبت على من لا تريد أن يدركه عقابك	1

النون	- واستخلاص بلادنا و اوطاننا	- ودعتنا النفوس الأبية للانتصار لملكنا وسلطاننا	2
الراء الميم	- والعدل في الخاصة والجمهور - والصبر في اللازم	- حسن التدبير في الأمور - والأخذ بالحزم	3
الهاء	- الموكل بإقامة أمره ونهيه	- إنَّ الملك خليفة الله في أرضه	4
التاء المربوطة	- وجعله حصينا منيعا لذوي المخالفة	- قلّده بقلائد الخلافة	5
العين	- وسدّ الذرائع	- وأمره بإقامة الشرائع	6
القاف	- في رعاية الخلق	- ليقيم قسطاس الحقّ	7

ومن خلال تتبع هذه الظاهرة في واسطة السلوك رأينا أنّ أكثر حروف الفواصل استخداما هو "كاف" الخطاب، لأن الكتاب بطبيعة الحال موجه لولد الكاتب وولي عهده، وما نخلص إليه في الختام، أنّ أبا حمّو صار على نهج من سبقه التأليف في عصره، فلذلك جاء كتابه غنيا بالانسجام الصوتي في كلّ تراكيبه، مع تباين في تناسق الفواصل فيما بينها في الطول والقصر، وفي أوزان الكلمات.

الباب الثاني: الشعر في واسطة السلوك

الفصل الأوّل: الحقول الدلالية في شعر أبي حمّو

الفصل الثاني: البنى التركيبية في شعر أبي حمّو

الفصل الثالث: البنى الصرفية في شعر أبي حمّو

الفصل الأول: الحقول الدلالية في شعر أبي حمّو.

I- الجانب النظري:

تمهيد.

1) تعريف الحقول الدلالية

2) نشأة الحقول الدلالية

3) مبادئ نظرية الحقول الدلالية

II- الجانب التطبيقي:

1) أبرز الحقول الدلالية في شعر أبي حمّو.

2) التحليل الدلالي لشعر أبي حمّو:

أ- مجال الطبيعة الجامدة

ب- مجال الطبيعة الحية

ج- مجال الإنسان ومتعلقاته

د- مجال الدين

1) نشأة الحقول الدلالية:

لقد تبلورت فكرة الحقول الدلالية في عشرينيات وثلاثينيات هذا القرن بفضل علماء

سويسريين وألمان، خاصة **Ispen** (1924) و **Jolles** (1934) و **Prozig** (1934) و **Trier** (1934)؛ وقد كانت دراسة **Trier** للألفاظ الفكرية في اللغة الألمانية الوسيطة من أولى الدراسات التطبيقية كما قام **R-Meyer** باختيار ودراسة ثلاثة أنماط من الحقول الدلالية، كما قام علماء الأنثروبولوجيا الأمريكيون بأنواع من الدراسات التطبيقية خاصة في مجالات: القرابة والنبات والحيوان والألوان والأمراض¹.

2) مبادئ نظرية الحقول الدلالية:

1. الاستبدال (Paradigmatic): ويقصد به إمكانية أن تحل الكلمات محلّ أختها في الاستعمال أو في الدلالة مثل لفظة (وجل) ولفظة (خائف) ولفظة (متهيب من) فقد تعدّ هذه المفردات من المترادفات، ولكنها تنتمي جميعا لمفهوم الخشية والخوف².

2. التلاؤم (Syntagmatic): ويقصد به أنّ علاقة المفردات ببعضها مرده إلى كونها من باب واحد كباب الألوان مثلا³.

3. التسلسل والترتيب (Sequence): أنه يؤخذ بعين الاعتبار في عملية التسلسل والترتيب؛ القدم والأهمية والأولوية مثلما هو الحال بالنسبة لأيام الأسبوع أو المقاييس أو الأوزان أو الترتيب الألف بائي⁴.

4. الاقتران (Collocation): أيّ أنّ اقتران بعض مفردات الحقول الدلالية ببعض يساعد على فهم دلالتها أو يشرح معنى فعلها، فمثلا: اقتران (يعضّ) بالأسنان يميّز لفظ (أسنان) من

¹-أنظر: أحمد مختار عمر: المرجع السابق-ص82-83.

²-أنظر: بالمر-علم الدلالة إطار جديد-ترجمة: صبري إبراهيم السيد-دار المعرفة الجامعية-الإسكندرية- 21995-ج1-ص78.

³-أنظر: أحمد مختار عمر: المرجع نفسه-ص80.

⁴-أنظر: رشيد العبيدي: مباحث في علم اللغة واللسانيات-دار الشؤون الثقافية العامة-بغداد-ط1-2002-ص191.

لفظ (أسنان المشط) أو (أسنان المنشار) أو (أسنان المسامير) وعليه تعرف دلالة الكلمة من خلال ما يصاحبها¹.

وقد يتسع مفهوم الحقل الدلالي ليشمل الأنواع الآتية:

1/ الكلمات المترادفة والكلمات المتضادة.

2/ الأوزان الاشتقاقية، وأطلق عليها اسم الحقول الصرفية.

3/ أجزاء الكلام وتصنيفاتها النحوية.

4/ الحقول السنتجمائية (Semantik Fields)، وتشمل الكلمات التي تتربط عن طريق

الاستعمال، ولكنها لا تقع أبداً في نفس الموقع النحوي مثل (كلب ونباح-فرس وصهيل، يسمع أذن، أشقر شعر...)².

1- الجانب التطبيقي:

1) أبرز الحقول الدلالية في شعر أبي حمو:

كان الهدف من وراء دراسة الحقول الدلالية في شعر أبي حمو التعرف على ثروة الشاعر المعجمية التي استخدمها في قصائده الموزعة في "واسطة السلوك"³ ومن ثمة إمكانية الحكم عليها وعلى أسلوب الشاعر.

لقد تنوع المعجم اللغوي لدى أبي حمو، وكان كل التركيز على المفردة من خلال تمييزها وإعادة تدويرها إلى الحقل الدلالي الذي تنتمي إليه بالاشتراك مع غيرها من الألفاظ؛ والغاية من ذلك التعرف على الشاعر كإنسان ذي نظرة معينة للذات والحياة والطبيعة.

ويمكن تصنيف الحقول الدلالية في شعر أبي حمو كالتالي:

أ. المجال الدلالي العام الأول (الطبيعة الجامدة): ونقصد به العناصر البيئية التي لا حياة فيها: كالجبال والأنهار والنبات والنار.. .

¹ أنظر: رشيد العبيدي: المرجع السابق-ص192.

² أنظر: احمد مختار عمر- علم الدلالة- عالم-ص80-81.

³ عدد القصائد المعنوية بالدراسة سبع قصائد أثبتتها أبو حمو في كتابه "واسطة السلوك".

ب. المجال الدلالي العام الثاني (الطبيعة الحيّة): ونقصد بها الحيوانات المختلفة، أليفة ومفترسة وطيور.

ج. المجال الدلالي العام الثالث (الإنسان ومتعلقاته): ونقصد به كل ما يخص الإنسان من مشاعر وسلوك وأخلاق وأعضاء وأدوات حياتية وأمور قدرية تصيبه.

د. المجال الدلالي العام الرابع (الدين): ونقصد به الإيمان وكلّ الأمور التي لها علاقة بالإسلام وأمور العقيدة والعبادات والقيم الدينية من حق وعدل وغيره.

وقد ضمّ كلّ مجال دلالي عام مجالات دلالية فرعية مختلفة، وفي ما يلي تمثيل للحقول الدلالية العامة* حسب التقسيم السابق.

جدول تواتر ونسب الحقول الدلالية العامة

النسبة المئوية	التواتر	المجال العام
28,96%	146 وحدة دلالية	مجال الطبيعة الجامدة
03,96%	20 وحدة دلالية	مجال الطبيعة الحيّة
50,59%	255 وحدة دلالية	مجال الإنسان و متعلقاته
16,26%	82 وحدة دلالية	مجال الدين

ومن الملاحظ أنّ مجال (الإنسان ومتعلقاته) حصد أكبر نسبة من الوحدات الدلالية بنسبة 59, 50%، تلاه مجال (الطبيعة الجامدة) بنسبة قدرت 28, 96%، وكان ثالث مجال في الترتيب (مجال الدين) بنسبة 16, 26% وأخيراً احتل مجال (الطبيعة الحيّة) آخر الترتيب بنسبة 03, 96% وسنحاول لاحقاً قراءة هذه النسب وربطها بعالم الشاعر.

(2) التحليل الدلالي لشعر أبي حمو:

*لقد أحصينا أربعاً وخمسة عشر وحدة دلالية موزعة على المجالات الأربعة.

والآن سنقوم بتمثيل الوحدات الدلالية مع الحقول الدلالية الفرعية والعامّة التي تنتمي إليها مع ذكر عدد تواترها والنسبة المئوية وبعدها سنحاول قراءة تلك الحقول الدلالية.

أ- مجال الطبيعة الجامدة:

جدول إحصاء الوحدات الدلالية لمجال (الطبيعة الجامدة) مع التواتر والنسب المئوية

النسبة المئوية	التواتر	الوحدات الدلالية	المجال الفرعي	المجال العام
37,67%	55	الهجوع- داري- طيبة- الأرض الجنوب- الأراضي- الكثيب- قبر نجد- ثراها- بدر- السهولا- مشرق مغرب- إيوانه- الحجاز- كاضمة ربي- الحطيم- البيت- فارس الغار- الغرب- سبيله- الجناب الأراضي- تلمسان- السبل- الدول طرق- العلم- العلمين- الحرم- الطلول الحي- شمال- الفيافي- بلدة- الزاب- العالم- قفرا- وارقلا- أكامها- الحمادي وادي زرقون- هضابها- الأوطان- يسر الثنايا- الخميس- اصطفطيف- فدقد- البيداء- القلا- المدينة.	(1) المكان	الطبيعة*الجامدة
17,12%	25	سكيبا-سالت- سواقي- أنهارهم- ري ذاب- منسكبا- يغمرها- يطفئ- ماء- إسق نهر- جرى- بحر- الندى- أسكب سقوني- الديم- غديرها- موارد- مياه. السواجم(السائلة)- غمام- صبيبا- جفت	(2) المياه	

*العدد الإجمالي للوحدات الدلالية في مجال الطبيعة الجامدة: 133 وحدة.

النسبة المئوية	التواتر	الوحدات الدلالية	المجال الفرعي	المجال العام
06,84%	10	حرق- جوى- شعل- نارها-سعرت- لهيبا أشعل-التهبا- أخدمت- أضرمت	(3) النار	الطبيعة الجامدة
06,84%	10	نورا-أشرفت- الأنوار- أصفر- أبيض سود- أزرق- شعاع-غيهب- الظلم	(4) النور والألوان	
04,79%	07	خصيبا- زاهرا- الجذع- الروض- الرياحين الرندا- الغاب	(5) النبات	
15,06%	22	النجوم- الشمس- الريح- النواسم- بدر شموسا- الأفق- سماء-الأقمار-برق-زوابع الأنجم-السماوات- الكون- برج الحمل-النجم الرياح- السراب-شهب- برق- الجو- القمر	(6) الكون	
11,64%	17	ربيع- صبح- ضحى-يوم- ليلة- بكرة طلوع الشمس- شهر- الدهر-الغروب البدر عند التمام- نهاري- زمان الأيام- الليل- الليلي- الدجى	(7) الزمان	

القراءة الدلالية لمجال الطبيعة الجامدة:

1/المجال الدلالي الفرعي الأول(المكان):

ونقصد به كلّ ما دلّ على معنى مكان سواء كان مغلقا كلفظ: بيت -دار... إلخ أو دلّ على الأماكن المفتوحة التي أقامها الإنسان مثل: المدينة أو أسماء المناطق والبلدان، أو الأماكن الطبيعية: مثل: الفيافي- السهول... إلخ. لقد وظّف أبو حمو الألفاظ الدالة على المكان

إجمالاً بصورة واسعة خاصة في القصيدة* التي ذكر فيها تفاصيل الرحلة التي قام بها لاستعادة عرشه من بني مرين ومن أمثال ذلك قوله:

وَجِئْتُ لِيُوَافِقَا وَجُرْتُ مُصَابَهَا .: وَلَا مُخْبِرًا غَيْرَ الصَّلَادِ الْأَعَاجِمِ.
وَمَا زِلْتُ أَطْوِي سَهْلَهَا بِأَكَامِهَا .: وَأَخْطُبُهَا بَيْنَ الرُّبَى وَالْهَضَائِمِ
قَطَعْتُ الْحَمَادَى وَ السَّرَابُ غَدِيرُهَا .: عَلَى هَيْكَلِ عَبْلِ الذَّرَاعَيْنِ هَاضِمِ.¹

نلاحظ استعمال الكاتب للألفاظ الدالة على المكان بشكل مكثف في الأبيات السابقة وعلة ذلك أنه أراد أن يثبت الأماكن التي مرّ بها أثناء رحلته الطويلة التي بدأها من الصحراء نحو تلمسان لاسترجاع ملكه وكأته أراد أن يشهد تلك الأماكن على حجم معاناته في خوض تلك الرحلة التي مرّت بصحاري وقفار وجذب، كلّ ذلك لتحقيق غاية سامية في نفسه وهي استعادة ملكه الذي سلب منه والانتقام لكبريائه الذي جرحه المرينيون.

2/المجال الدلالي الفرعي الثاني(المياه):

جاء مجال(المياه) لدى أبي حمو مرتبطاً بشعره الديني حيث كان مجال الماء ليطفئ حرقته ويبرد شوقه للحبيب المصطفى و أرض الحجاز وما توحى به من تعلق المسلم بالكعبة ومقام الرسول(ص) والأماكن المقدسة هناك، كما وردت الألفاظ الدالة على الماء حين ذكر بعض الأنهار والأودية التي مرّ بها خلال رحلته الطويلة نحو تلمسان، ولا ننسى ما جاء في مقدماته الطللية التي لم يخرج فيها عن نهج النموذج الجاهلي الذي يربط وصل المحبوب بالسقيا، وهجره بسواقي الدموع، ومن أمثلة ألفاظ المياه في شعر أبي حمو قوله:

حَدُوا بِالنِّيَاقِ فَرَادَ اسْتِيَاقِ .: وَسَالَتْ سَوَاقِي دُمُوعِي صَبِيْبًا.²

* مطلع القصيدة: جرت اداعي بين الرسوم الطواسم ***لما شحطتها من هبوب الرواكم

¹-أنظر: واسطة السلوك-ص37.

²-المصدر نفسه-ص196.

وَأَشْرَقَتِ الْأَنْوَارُ مِنْ نُورِ أَحْمَدَ .: فَمِنْهُ اسْتَفَادَ الْكَوْنُ كُلَّ الْمَبَاهِجِ
 قَبَدُرُ الدُّجَى وَالْأَنْجُمُ الزُّهْرُ كُلُّهَا .: وَشَمْسُ الضُّحَى مِنْ نُورِهِ الْمُتَبَالِجِ¹.

فمحمد صلى الله عليه وسلم هو النور الذي أشرق من مكة ليملاً الدنيا أنواراً وضياءً، لقد وظّف الشاعر هذه الوحدات الدلالية ليعبّر عن فرط حبه لهذا النبي الكريم، وشدة تحسره على عدم قدرته على زيارة مقامه الشريف، بسبب كثرة مسؤولياته في الحكم من جهة، وحالة اللااستقرار التي تعيشها المملكة من جهة أخرى (بسبب حالة الكرّ والفرّ بينه وبين أعدائه المرينيين) ويقول الشاعر واصفاً حالة الندم على العمر الذي مضى به في المعاصي؛ فلم ينتبه إلا والسقم يتسلل إليه بعد عنفوان الشباب، وجيش الشيب يحاصر سواد رأسه:

وَاصْفَرَ لَوْنِي بَعْدَ حُسْنِ شَبِيبَتِي .: وَأَبْيَضَ رَأْسِي بَعْدَ مَا كَانَ مُسَوِّدًا¹.
 5/المجال الدلالي الفرعي الخامس (النبات):

لم يكن للنبات ووحداته حضوراً كبيراً في شعر أبي حمو لأنّ النبات مرتبط بالطبيعة وغرض الوصف، وقصائد أبي حمو الموجودة في "واسطة السلوك" لم تخرج عن ثلاث أغراض "الشعر السياسي" و"المولديات"²والفخر"، يقول الشاعر في أحد أبياته رابطاً بين الطبيعة وحبّ الرسول(ص):

عَلَيْهِ سَلَامٌ بِطُولِ الدَّوَامِ .: وَمَا أَضْحَكَ الرَّوْضُ نَعْرًا قَشِيبًا³.

6/المجال الدلالي الفرعي السادس (الكون):

كان حقل "الكون" حاضراً بصورة كافية في شعر أبي حمو، فقد استعمل ألفاظه في قصيدته المطولة التي وصف فيها رحلته القاسية التي خاضها لاستعادة عرش تلمسان، كما وظف البعض منها في شعر "المولديات" ومن أمثلة ذلك قوله:

¹ -موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان-المصدر السابق-ص198

².المصدر نفسه -ص196

³-للشاعر اغراض اخرى وقصائد اخري لم يثبتها ابو حمو في كتابه واسطة السلوك لكن الباحث عبد الحميد حاجيات اثبتتها في كتابه المعنون ابو حمو موسي الزياتي.

⁴- المصدر نفسه-ص196.

قَبْدُرُ الدُّجَى وَالْأَنْجُمُ الزُّهُرُ كُلُّهَا .: وَشَمْسُ الضُّحَى مِنْ نُورِهَا لِمُنْبَاجٍ¹.

الشاعر يقرن كل الظواهر الكونية بالنور الذي يسطع مشعاً من الحبيب المصطفى، فضياء القمر بدرًا وضوء النجم ليلاً وضياء الشمس ضحا إنما انعكاس لنور محمد صلى الله عليه وسلم.

ويقول الشاعر أيضا مستعملا دائما ألفاظا من حقل الكون يصف بها إحدى معجزات النبي الكريم، مبرزا من خلالها عظمة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

وَلِلَّهِ مِنْ قَلْبٍ لَهُ غَيْرُ نَائِمٍ .: وَجَسْمٌ إِلَى السَّبْعِ السَّمَاوَاتِ عَارِجٍ².

7/المجال الدلالي الفرعي السابع(الزمان):

يساعد حقل الزمان الشاعر على التأريخ للأحداث الذي يعيشها فيبرز أهمية تحديد الوقت في سرد ما كان يقاسيه من ألم أو سعادة، ومنه قول الشاعر:

وَ يَا لَيْتَ شِعْرِي بِالزَّمَانِ الَّذِي مَضَى .: أَيَرْجِعُ مُرُّ الْعَيْشِ مِنْ بَعْدِهِ شَهْدًا³.

لقد كان الوقت الذي مرّ على الشاعر وقت حزن وألم وأسى، وها هو يسأل نفسه هل يمكن أن يتغير الحال، فتأتي مستقبلا أوقات للفرح والسعادة، تنسيه ما كان يعانيه.

ويقول أيضا عن الاستفادة من الوقت وتوالي الأيام بما ينفع الإنسان فالزمن يمرّ مختلسا يتسرب من بين أيدينا دون أن نشعر.

وَكَذَا الْأَيَّامُ لَهَا عَيْرٌ .: وَلِيَالِي الدَّهْرِ كَمَا الحُلْمِ⁴.

ومن قوله كذلك:

أَجَلٌ شَفِيعٌ مَكِينٌ رَفِيعٌ .: أَتَى فِي رِبْعٍ فَأَحْيَا القُلُوبَا.

1- موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان -المصدر السابق ص198.

2- المصدر نفسه-ص199.

3-المصدر نفسه -ص199.

4- المصدر نفسه-ص195.

فَأَكْرَمَ بِشَهْرٍ حَوَى كُلَّ فَخْرٍ .: مَوْلِدُ بَدْرِ بَدَا لَنْ يَغِيْبًا¹.

تغنّى الشاعر بالشهر الذي ولد فيه المصطفى صلى الله عليه وسلم فهو شهر كريم شهد ميلاد مولود أكرم، فحق له أن يفخر بهذا الشرف الكبير.

ويلمّح أبو حمو لواحدة من معجزاته صلى الله عليه وسلم حين انشق له القمر² ، يقول:

وَشُقَّ لَهُ الْبَدْرُ عِنْدَ التَّمَامِ .: وَكَلَّمَهُ الظَّبْيُ يَشْكُوهُ الْخُطُوبًا³.

ب- مجال الطبيعة الحيّة:

جدول إحصاء الوحدات الدلالية لمجال الطبيعة الحيّة مع التواتر و النسب المئوية:

النسبة المئوية	التواتر	الوحدات الدلالية	المجال الفرعي	المجال العام
10%	02	ليث-أسود	(1) الحيوانات المفترسة	الطبيعة*الحيّة
60%	12	خيلي- الإبل- جون- العيس- الطبي القلاص- صهال- هجائن- القطا عناجيج- النعائم- النياق.	(2) الحيوانات الأليفة	
20%	04	الحمائم- عقاب- القشاعم- الطير	(3) الطيور	
05%	01	الأرقام	(4) الزواحف	
05%	01	العنكبوت	(5) الحشرات	

¹- موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان -المصدر السابق-الصفحة نفسها.

²- ذكرت هذه الحادثة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ سورة القمر الآية[1].

³- المصدر نفسه-ص196.

*العدد الإجمالي للوحدات الدلالية في مجال الطبيعة الحيّة: 20 وحدة.

القراءة الدلالية لمجال الطبيعة الحيّة:**1/المجال الدلالي الفرعي الأول (الحيوانات المفترسة):**

اقتصر الشاعر في هذا المجال على حيوان مفترس واحد وهو "الأسد"، وقد استخدمه ليرمز به للقوة والشجاعة والبطولة، متفاخرا بأصحابه أثناء خوضهم المعارك الدامية، كما استخدمه مفتخرا بنفسه وقد تغلب على أعدائه بني مرين وأخضعهم، فكان لذلك حسبه صيت واسع جعل كلّ الممالك المجاورة تهابه، يقول:

وَصَارَتْ أُسُودُ الْغَابِ تَأْتِي مُطِيعَةً وَعَادَتْ لَنَا الْإِيَّامُ مِثْلَ الْمَوَاسِمِ¹.

1/المجال الدلالي الفرعي الثاني (الحيوانات الأليفة):

كان هذا المجال الفرعي الأكثر تواترا في مجال (الطبيعة الحيّة) وذلك مردّه لحاجة الشاعر لذكر "الابل" التي تمثل القوافل التي تضمّ الحبيج القاصدين للبقاع المقدسة، وهذا المشهد مكرر بكثرة في شعر "المولديات" ومن جهة أخرى ارتبط الشاعر أيضا بفرسه فهي عنوان للفروسية والبطولة والجهد، فكان لزاما أن تكون حاضرة في شعره، ومن بين أمثلة ذلك قول الشاعر:

سَرَتِ الْاِبِلُ لَمَّا إِزْتَحَلُّوا قَلْبِي حَمَلُوا فِي رَكْبِهِمْ².

ويقول أبو حمو في وصف حصانه:

عَلَى مَتْنٍ صِهَالٍ أَعْرٌ مُحَجَّلٍ مَدِيدُ الْخَطَى لَمْ يَخْشَ صَعْبَ الصَّلَاحِ³.

2/المجال الدلالي الفرعي الثالث (الطير):

جاء توظيف أبي حمو لألفاظ دالة على الطيور تحديدا الحمام كضرورة في مقدماته

الطلبية حين يشبه الحبيبة به، كما شبه فرسانه "بالعقاب" كرمز للقوة، يقول في بعض شعره:

وَقَدْ بَرَزَتْ مِنْ خَدْرِهَا كُلُّ غَادَةٍ دَرَجْنَ عَلَى الْأَسْطَاحِ دَرَجَ الْحَمَائِمِ⁴.

¹-موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان -واسطة السلوك -ص39.

²-المصدر نفسه -ص30.

³-المصدر نفسه -ص36.

⁴-المصدر نفسه -ص40.

ويقول الشاعر في مثالٍ آخر واصفاً حالة أعدائه وقد وقعوا صرعى تجول فوق رؤوسهم

نسور طاعنة في السنّ عجزت عن الصيد ترى في جنثهم غنيمة حقيقية.

وَطَاحَتْ عَلَيَّ وَادِي مَلَالٍ هَشَائِمٌ :: مِنْ الْقَوْمِ صَرَعى لِلنُّسُورِ الْقَشَاعِمِ¹.

3/المجال الدلالي الفرعي الرابع(الزواحف):

لم ترد في قصائد أبي حمّو ألفاظ دالة على الزواحف إلا لفظة "الأرقام" التي كررها مرتين بنفس الصيغة وقد استعملها للدلالة على لمعان جلدها مرّة وللدلالة على طول إنسكاب الدّم مرّة ثانية، وهذا النقص في توظيف هذا المجال لا يقتصر على الزواحف فقط، بل كان ذلك حال مجال(الطبيعة الحيّة)عموماً، وقد فسرنا سابقاً بأنّ علّة ذلك الأغراض القليلة من شعر أبي حمّو الموجودة في "واسطة السلوك"، يقول الشاعر:

وَصَفَّقْتُ مَا بَيْنَ الطُّولِ خَوَامِسي :: وَسَأَلْتُ سَوَاقِي الدَّمَعِ مِثْلَ الأَرَاقِمِ².

4/المجال الدلالي الفرعي الخامس(الحشرات):

كان نصيب "الحشرات" من شعر أبي حمّو كنصيب "الزواحف"، حيث وظّفه الشاعر مرّة واحدة عندما تعرض لحادثة اختباء الرسول الكريم(ص) وصاحبه أبي بكر الصديق في الغار، وما فعله العنكبوت لسدّ مدخله، يقول الشاعر:

لَهُ آيَةٌ فِي الغَارِ حِينَ اسْتَبَارِهِ :: عَنْ أَعْيُنِهِم بِالْعَنْكَبُوتِ النَّوَاسِجِ³.

وجاء "العنكبوت" هنا كعلامة دالة على نبوة محمد صلّى الله عليه وسلم الذي ستره الله عن أعين كفار قريش، وتعد هذه الصورة واحدة من عديد الصور التي استخدمها الشاعر للحديث عن معجزات النبيّ الكريم كمظهر من مظاهر التعظيم لشخصه صلّى الله عليه وسلم، ودليل دامغ على صدق محبة أبي حمّو وكلّ المسلمين لنبيهم العظيم.

ج- مجال الإنسان ومتعلقاته:4:

¹-موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان -ص39.

²-المصدر نفسه -ص35.

³- المصدر نفسه-ص198.

4 - العدد الاجمالي للوحدات الدلالية في مجال الانسان ومتعلقاته:255 وحدة.

جدول إحصاء الوحدات الدلالية لمجال (الإنسان ومتعلقاته) مع التواتر والنسب المئوية:

النسبة المئوية	التواتر	الوحدات الدلالية	المجال الفرعي	المجال العام
24,31%	62	يسعدني-جرح- ألم- الخوف- انفطرا- شوقاه فزعت-بكيت- مكتئب- زفرته- يبكي- السرور-المنى- الفرح- ضجرت- أحنو- الندم-ألفت الضنى-النحيبا- الدمع فسر- مستريبا- حكيم- خشيت- كئيبا أحنّ- اشتياقي-حنينا- الهوى- أضحك- للصبّ- عذابي- الوجد-التسويد- شغلت أكفكف الدمع-مسرور- منتحبا- يسعدنا اليأس- أعللّ قلبي- الأحباب- حبيّ- المحبّ سلوت- لا سلو- السلو- مغرما- أشكو يشقى-شغلنتي- شغلت بها- المشتاق هويت-هواها- شغفت بها- ودّا ذرفت عيناى- وجدي- مشرق- الحبّ	1) الإنفعالات والمشاعر	الإنسان ومتعلقاته
24,31%	62	قبح- ينفذني- معتذرا- الفوز- نراقب سألت- تخيلتها- شهم- الحسود- حازم شؤم- قبيح- أضعف- ظلموا- ظالم - مطبعة- الناعمات- مقتتعا- الطغاة الناعي-الناعسين- هجرت- الوصل جفاني- تثق-فرقتهم- غريب- فريد طويل- عليل- نحيل-مسيء- ظلم- نام بعُدا-أكابد الليل- النوم- رقيب واشى- أعلل- وصلهم- التبريح المهجور- رققا فأبى- محتسبا- غنت - يشقى- الغي	2) الصفات والسلوك	

		-أسير-نائم-تواصلني-المسرف- جرائمى-المذنب-أعاتب- أفخر-تقضت نثرت-تذير- تهجرن- الجاني	
3) الحواس ووظائفها	11	الوقر- استمعت-نظرت- يسمعني- فانظر ترى-شرب- سمع- تطعمني أشاهد-مرّ	31, 04%
4) أعضاء الجسم الانسان ومتعلقاته	30	الخد- المقل- الصدر- القلب- النفس- كفاي عيني- الخدين- خلدي- جلدي- جسدي دم- قدمي- السنّ- طرف- شعري- رأسي ضلوعي- معاصم- فؤادي-ثغرا- كبدي مقلتي- عبرتي- أعينهم- بنانه خدي- الخدود- مفرقي- كفاً.	76, 11%
5) الإنسان عموما والأعلام	43	الطفل- والده-الشيخ-عنترها- أخو موسى- أبو حمّو- العبد- مملوك- الخدم الغانجات- الإنسان- سعدى سلمى- سالم- رجال- الأبطال- أميرها ابن عامر- ذياب بن غانم- الأنسات الطغاة- مجترم- الطبيب- الورى شاعر- خطيبا- غيرهم- يوسف أحمد- الصحب- بشرا- هندا آل هاشم-سعدا- أنثى- عادة قيس-لبنى- عيسى- إدريس العباد- الناس	86, 16%

		الشيب- مات- شيببي الهرم- السقم- دَنِف- شرّ- تشيب طعن- قتل- مفني- مشيبا- فأحيا لسقمي- السقام- أضعف- قاتلي- أموت- أفني تقتلني- يموت- يحي- شيبتي- شبابي	(6) الأمور القدرية	
41,09%	24			
		زخرفها- بابك- النعم- القرطاس- القلم- رسالة_ مكحلة- الهدام- سوار- خدرها- بابكم- تعطرت- مسكا- طيبا- كؤوسا- عاطرة- دواء- مختضبا- حسن- قدا- باب- طيب- عاطر	(7) متعلقات الحياة	الانسان ومتعلقاته
1,09%	23			

القراءة التأويلية لمجال الإنسان ومتعلقاته:

1/المجال الدلالي الفرعي الأول(الانفعالات والشاعر):

أبو حمو يعيش زخما من الانفعالات والمشاعر المختلفة، ففي مقام الشعر السياسي نجده شديد الاضطراب بسبب افتراقه عن محبوبته "تلمسان" بكل ما توحيه من دلالات مختلفة، فهي الملك والوطن والعزة والاستقرار؛ وهي الطبيعة والجمال والسحر، إضافة إلى مختلف الانفعالات والأحاسيس الناتجة عن معاناته من رحلة استعادة ملكه بكل ما تحتويه من قلق وألم وحيرة، وخوف من الهزيمة، وعليه نجده يوظف مختلف الوحدات الدلالية المتعلقة بهذا المجال معبرا بها عن صعوبة المرحلة التي يمرّ بها، ومن جهة أخرى كانت ألفاظ الانفعال والشعور ملازمة لقصائد "المولديات" في تذكره البقاع المقدسة وحنينه إليها، وفي أبيات الاستغفار والاقرار بالذنوب وطلب العفو والرحمة؛ ولا ننسى نصيب المقدمات الطللية من هذه الألفاظ فالشوق والبين والوصل كلها أسباب تدفع إلى تنويع الانفعالات والمشاعر، وعليه كان هذا المجال الدلالي الفرعي غنيا لغويا مما جعل قصائد أبي حمو أكثر غنى دلاليا، ومما نستشهد به على ذلك قول الشاعر:

سُهُدٌ وَبُعْدٌ وَأَشْوَاقٌ تُلَازِمُنِي	::	وَكُلُّهَا لِعَذَابِي قَدْ عَدَا سَبَبًا
أُكَابِدُ اللَّيْلَ بِالتَّسْهِيدِ مُفْتَكِرًا	::	وَلَا أُبَالِي بِهِ إِنْ طَالَ أَوْ قَرَبَا
لَيْلِي نَهَارِي وَيَوْمِي كُلُّهُ فِكْرٌ	::	وَالنَّوْمُ عَن مَّقْلَتِي مِنْ بُعْدِكُمْ سُلْبَا
وَقَدْ شُغِلْتُ بِقَلْبِي كُلِّ مُشْتَغِلٍ	::	وَقَدْ مَزَجْتُ دَمًا بِالدَّمْعِ مُنْسَكِبَا
وَكُلُّهَا لِعَذَابِي فِي الْهَوَى سَبَب	::	وَلَمْ أَجِدْ لِيُوصَالِي بِالنَّوَى سَبَبَا
أَكْفِكِفُ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنِي فَيَغْمُرُهُ	::	كَمْ بَيْنَ مَنْ بَاتَ مَسْرُورًا وَمُنْتَجِبَا
مَنْ بَعْدَ مَا كَانَ دَهْرُ الْأَنْسِ يَجْمَعُنَا	::	وَالسَّعْدُ يُسْعِدُنَا وَالْوَصْلُ قَدْ عَدَبَا ¹

نلاحظ زخم مفردات الانفعال في الأبيات السابقة، وهي دليل على كمية المشاعر التي يعيشها الشاعر، وهذا الزخم لا يخرج عن نموذج المقدمات الطللية لدى القدماء، تسهيد وعذاب ودمع سائل عند الفراق، والسرور والسعادة عند اللقاء، ومما قاله الشاعر و هو النادم على ما فرط به في جانب الله تعالى ، و قد أتاه الشيب طارقا باب مرفقيه كي يذكره أنّ ما بقي من العمر أقل مما مضى ، و يدعوه أن ينظر في حاله لا يكون حتى لا يكون من الخاسرين.

و هَذَا نَذِيرُ الشَّيْبِ لَاحَ بِمَرْفَقِي	***	يُذَكِّرُنِي خَوْفًا وَ يُنْجِزُ لِي وَعَدَا
هَوَيْتُ مِنَ الدُّنْيَا زَخَارِفَهَا التِّي	***	بِقَرَطِ هَوَاهَا لَا أُطِيقُ لَهَا رَدَا
شَغِفْتُ بِهَا دَهْرًا وَلَمْ أَدْرِ مَا مَضَى	***	وَ قَدْ بَدَّلْتُ مِنْ بَعْدِ قُرْبِ لَهَا بُعَدَا
تُشَاغِلُنِي الدُّنْيَا وَ نَفْسِي وَ الْهَوَى	***	وَتُبْعِدُنِي مِنْ بَعْدَمَا أَظْهَرْتُ وُدَا
وَأَسْتُ بِسَالٍ عَن هَوَاهَا كَأَنَّي	***	أَشَابِيهِ بِشَرًّا فِي مَحَبَّتِهِ هُنْدَا ²

2/المجال الدلالي الفرعي الثاني(الصفات والسلوك):

صادف أن كان عدد الوحدات الدلالية في هذا المجال نفسه في المجال السابق، وهذا يعني أنّ الشاعر قد أغنى شعره بألفاظ دالة على السلوك والصفات كما فعل مع ألفاظ الانفعالات والمشاعر، فالنص الشعري لأبي حمو مليء بالحياة والحركة من خلال غناه بأفعال تدل على

¹-موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان-واسطة السلوك -ص197.

2 -المصدر نفسه-ص199 .

السمع والنظر فيتعاكسان، فيستخدم الشاعر النظر مع دعائه والسمع مع مشاهدة الحجاج، ومن أمثلة ذلك قول الشاعر:

فَقُلْتُ يَا حَادِيًا وَالرَّكْبُ يَسْمَعُنِي .: رِفْقًا عَلَى الصَّبِّ يَا حَادِيَهُمْ فَأَبَى

مَزَجْتُ دَمْعِي دَمًا مِنْ بَعْدِ رِحْلَتِهِمْ .: فَأَنْظُرُ تَرَى عَجَبًا لِلدَّمْعِ مُخْتَضِبًا¹.

كما استعمل اللفظ الدال على الطعام "تطعمني" مجازا في غير ما يستعمل له في الأصل

وذلك للدلالة على كثرة الوصل، يقول:

وَحَالِي بَيْنَ الْحَالَتَيْنِ كَمَا تَرَى .: تُطْعِمُنِي شَوْقًا وَتَقْتُلُنِي صَدًّا².

4/المجال الدلالي الفرعي الرابع(أعضاء الجسم):

لقد أثرى أبو حمو شعره بألفاظ دالة على أعضاء الجسم، كتوظيفه لبعض أجزاء الجسم

في مقدماته الطلية مثل: العيون وما يدل عليها، ومنه قول الشاعر:

وَحَقَّ لِنَفْسِي أَسَى أَنْ تَدُوبَا .: وَلِلدَّمْعِ مِنْ مُقْلَتِي أَنْ يَصُوبَا³.

وقوله كذلك:

لَيْلِي نَهَارِي وَيَوْمِي كُلُّهُ فِكْرٌ .: وَالتَّوْمُ عَنْ مُقْلَتِي مِنْ بَعْدِكُمْ سُلْبًا⁴.

كما كان للفظ القلب نصيب كبير من التوظيف في شعر أبي حمو، وقد جاء مقترنا دائما

بمعاني الشوق والعذاب والهوى والفرق... إلخ ومن أمثلة ذلك قول الشاعر:

وَالْبَيْنُ أَشْعَلَ نَارَ الْوَجْدِ فِي كَبْدِي .: وَالذَّمْعُ يُضْرَمَهَا فِي الْقَلْبِ وَعَجَبًا.

مَاءٌ وَنَارٌ وَأَكْبَادٌ لَهَا شَعْلٌ .: وَالْقَلْبُ بَيْنَهُمَا قَدْ ذَابَ وَالنَّهْبَا⁵.

وقد نوع أبو حمو أعضاء الجسم في شعره، ومنه لفظ "الثغر" كقوله:

¹-موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان-المصدر السابق -ص198.

²- المصدر نفسه-ص199.

³- المصدر نفسه-ص194.

⁴-المصدر نفسه -ص197.

⁵- المصدر نفسه-الصفحة نفسها.

على نهج كبار الشعراء ولم يرغب في الشذوذ عن القاعدة العامة حتى لايتهم غزله بالضعف، وتتهم قريحته بالعجز.

ويقول الشاعر في أبيات أخرى:

وَقَدْ مَرَّ عُمْرِي فِي (لَعَلِّ) وَ(عَسَى) .: تُوَاصِلُنِي لُبْنَى وَتَهَجُرُنِي سُعْدًا¹.

نلاحظ في هذا البيت حالة الندم التي يعيشها الشاعر لما اقترفه في ربيع شبابه حتى مر به العمر دون أن ينتبه، وقد جعل من توظيف الأعلام هنا "لبنى- سعاد" وسيلة معبرة عن ضياع العمر في أمور لا تجدي نفعاً، بل تعدّ احدى وسائل فتن الحياة الدنيا للإنسان، حيث تصدّه عمّا يرضي الله عزّ وجلّ ويحقق الغنيمة يوم القيامة.

ويقول الشاعر أيضاً:

أَنْزَلْتُ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ .: وَتَرَكْتُ الظَّالِمَ فِي وَجَلٍ

..... .:

أَحْنُو لِلظُّفْلِ كَوَالِدِهِ وَأَسْوِقُ الشَّيْخِ عَلَى مَهْلِ².

يرى الشاعر أنه الأصلاح للملك، فهي هو يفخر بنفسه، وبالأعمال التي يقوم بها مع الرعيّة، فقد عرف حقيقة الناس فأنزلهم منازلهم، يحنو على الصغير كوالد محبّ ويحترم شبيهة الكبير فيتأنى في التعامل معه ولذلك، فهو يقول عن نفسه:

وَأَنَا لِلْحَرْبِ كَعَنْتَرِهَا .: وَأَنَا فِي السَّلْمِ أَخُو جَدَلٍ

وَأَنَا مُوسَى وَأَبُو حَمّـُو .: أَصْلِحُ لِلْمَلِكِ وَيَصْلِحُ لِي³.

وهذا اعتراف صريح على تشبث الشاعر بالملك والسلطان، فهو يرى أنه أكثر من يناسب الحكم ومهامه، كما يفخر بفروسيته التي تضاهي بطولة عنتر بن شدّاد، ولقد ساهمت الألفاظ الدالة على الإنسان عموماً والأعلام على مساعدة أبي حمو في التعبير عن أفكاره وقناعاته.

¹ موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان - المصدر السابق -ص 199.

² المصدر نفسه -ص 25.

³ المصدر نفسه -الصفحة نفسها.

ويقول أيضا مقراً بذنبه ومعتزفاً بتقصيره في دينه طالبا العفو والصفح من خالقه، طامعا في واسع رحمته.

وَالْعَبْدُ بِبَابِكَ مُلْتَزِمٌ
يَا رَبِّ ذُنُوبِي قَدْ عَظُمَتْ
شَأْنُ الْمَمْلُوكِ الذَّنْبُ وَشَأْنُ
وَيَغْيِرُ جَنَابِكَ لَمْ يَحْمِ
فَأَمُنْتُ بِالْعَفْوِ لِمُجْتَرِمِ
المَوْلَى العَفْوُ عَنِ الخَدَمِ¹.

6/المجال الدلالي الفرعي السادس (الأمور القدرية):

لا مفر من أشياء يمرّ بها الإنسان تكون قدرا محتما، هذه الأمور تجعل الإنسان عاجزا أمامها، ولا يمكن له أن يتعايش معها إلا بالإيمان والتسليم بمشيئة الله تعالى والاعتراف بالعجز أمام حكمة الله تعالى منها، مثل: الموت، المرض، الشيب وأشياء أخرى. وشاعرنا رجل مؤمن ولذلك نراه مسلما أمام قدره، وقد جاء قاموسه اللغوي غنياً بعينات من هذا المجال، كقوله:

حَشَيْتُ المَعَاصِي بِيَوْمِ القِصَاصِ
وَيَقُولُ أَيضاً:
وَاصْفَرَّ لَوْنِي بَعْدَ حُسْنِ شَبِيبَتِي
وَإَبْيَضَ رَأْسِي بَعْدَ مَا كَانَ مُسْوَدًا³.

وَهَذَا الشَّيْبُ لَاحَ بِمِـفَرَّقِي *** يُذَكِّرُنِي خَوْفًا وَيُنْجِرُ لِي وَعَدًا⁴.

لقد وظف الشاعر اللفظ الدال على الشيب للدلالة على تقدمه في السن ومضي العمر به، فيذكر ما فعل في سابق أيامه من خير وشرّ و ما اقترفه من ذنوب، فينفطر قلبه أسى و حزناً بل و خوفاً من عقاب المولى عزّ وجلّ، و حينها يسرع في التوبة و الاستغفار و طلب العفو و الرحمة من الله تعالى. و قد وظّف الشاعر ألفاظاً تدل على القدر كلفظ "الموت" أو "القتل" في مقدماته الطللية و الغزلية، و مما قاله أيضا:

¹ موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان - المصدر السابق - ص 29.

² المصدر نفسه - ص 195.

³ المصدر نفسه - ص 199.

⁴ المصدر نفسه - الصفحة نفسها.

وَمَالِي دَنْبٌ سِوَى حُبِّكُمْ .: وَتَا لِلَّهِ عَن حُبِّكُمْ لَنْ أَتُوبَا
فَإِنْ تَفَنُّتُونِي حَلَالًا لَكُمْ .: أَنَا أُرْتَضِي مَا يُرْضِي الْحَبِيبَا¹.

ويقول كذلك:

لَوْ كَانَ لِي فُدْرَةٌ مَا كُنْتُ أَتْرُكُهُمْ .: حَتَّى أَمُوتَ بِفَرْطِ الْحُبِّ وَنَارِ الْفِرَاقِ²

نلاحظ أنّ الشاعر لا يخرج عن النمط القديم للشعر العربي ، الذي يقرن دائما بين الموت و القتل و بين لوعة الحُب و نار الفراق ، بالاضافة إلى استعماله لألفاظ دالة على "المرض" ومعانيه؛ "فالسقم" من الأمور المقدرّة على الإنسان لا حيلة له في ذلك إلا الصبر؛ وقد جاءت معاني "السقم" في شعر أبي حمو مقترنة أيضا بالغزل؛ ومما قاله الشاعر في ذلك:

مَا لِلْمُحِبِّ دَوَاءٌ غَيْرَ وَصْلِهِمْ .: يُبْرِئِي لَهُ السَّقْمَ وَالتَّبْرِيحَ وَ الوَصْبَا

كما جاء لفظ "السقم" مرتبطا بحالة الشوق التي يعانيتها الشاعر لأرض الحجاز ومقام الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد وظّفه أبو حمو للدلالة على كبير حنينه لتلك البقاع المقدسة التي لم يستطع زيارتها بسبب انشغاله الدائم بالحروب والاهتمام بأحوال الرعيّة، ومما قاله في هذا المعنى:

لِقَبْرِ الثُّهَامِي لِبَدْرِ التَّمَامِ * * * لِحَيْرِ الْأَنَامِ شَفِيْعًا حَبِيْبَا

فَبَلِّغْ إِلَيْهِ سَلَامِي عَلَيْهِ * * * فَإِنَّ لَدَيْهِ لِسَقْمِي طَبِيْبَا³

و قوله أيضا⁴:

سَرَّتْ الْإِبِلُ لَمَّا اِزْتَحَلُّوا * * * قَلْبِي حَمَلُوا فِي رَكْبِهِمْ

حَمَلُوا خَلْدِي أَفْنُوا جِلْدِي * * * تَرَكَوْا جَسَدِي رَهْنَ السَّقْمِ

7/المجال الدلالي الفرعي السابع(متعلقات الحياة):

¹-موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان- المصدر السابق -ص194.

²- المصدر نفسه-ص198.

³-المصدر نفسه-ص195.

⁴-المصدر نفسه-ص30.

ونقصد به كلّ ما قد يستعمله الإنسان في حياته اليومية من وسائل العيش مثل "كؤوسا، دواء- الهدائم..."، أو وسائل الزينة وما يدل عليها مثل: تعطرت- مسكا_ طيبا...؛ وقد أثرى أبو حمو شعره بأنواع عديدة من هذه الأمثلة، كقوله:

وَبَعَثْتُ رِسَالَةَ مَكْتَبٍ
لِشَفِيعِ الْعَرَبِ مَعَ الْعَجْمِ
أَرْجُو فِي الْحَشْرِ جَوَائِزَهَا
مِنْ خَيْرٍ وَفِي بِالذَّمِّ
نَدَمِي إِذْ لَمْ أُعْمِلْ قَدَمِي
عَوَضَ الْقِرْطَاسِ مَعَ الْقَلَمِ¹.

يظهر جلياً معاناة الشاعر بسبب عدم قدرته على القيام بمناسبة الحج، وشوقه الكبير لتلك البقاع المقدسة، فهو ما ينفك يعود للحديث عن هذا الأمر؛ هذا الحنين جعله يكتب رسالة يبيث فيها مشاعره الصادقة يبعث بها مع قوافل الحجيج إلى خير الأتام، علّه ينال بها شفاعته يوم القيامة، والرسالة هنا ضرب من المجاز؛ يريد من خلاله إظهار حبه وشوقه للنبي الكريم عليه الصلاة والسلام.

ومن ألقاظ هذا الحقل أيضا ما نجده في قول الشاعر:

وَكَمْ حَلَفُوا مَا بَيْنَ بَكْرٍ وَبُكْرَةٍ
وَكَمْ غَادَةً مُنْتَفَةً فِي الْهَدَائِمِ².

يصف الشاعر في هذا البيت كيف ولّى عدوّه هاربا بعد هزيمته على يدي أبي حمو وأنصاره؛ مخلفا وراء معسكره بما يحويه من نساء خائفات قد لفن أجسامهن بالهدائم.

واستعمل الشاعر لفظ "بابكم" للدلالة على معاناته الطويلة في طلب وصل الحبيب، يقول:

وَقَفْتُ رَجَائِي بِكُمْ فَارْحَمُوا
وُقُوفِي عَلَى بَابِكُمْ مُسْتَرِيبًا³.

كما وظّف الشاعر لفظ "الدواء" في شعره مجازاً حيث يوحي بدلالات جديدة كالوصل

والقرب ورضى الحبيب، يقول:

مَا لِلْمُحِبِّ دَوَاءٌ غَيْرَ وَصْلِهِمْ
يُبْرِي لَهُ السَّقَمَ وَالتَّبْرِيحَ وَالْوَصْبَا¹.

¹- موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان- المصدر السابق -ص30.

²- المصدر نفسه-ص38.

³-المصدر نفسه -ص194.

وجاء لفظ " كؤوسا " كذلك مجازا ، و قد استعمله الشاعر للدلالة على شدة الشوق

للمصطفى، يقول:

سَقَوْنِي كُؤُوسًا تُذِيبُ النُّفُوسَا * * * وَيَرْجُوكَ مُوسَى تُزِيلَ الكُرُوبَا².

وقول الشاعر كذلك:

عَلَيْهِ سَلَامٌ طَيِّبُ النَّشْرِ عَاطِرٌ * * * يَفُوقُ بِرِيَاهِ الرِّيَّاحِينَ والرَّنْدَا³.

إن كان الشاعر يعجز عن الزيارة والحج، فهذا الأمر لا يمنعه أن يبعث سلاما طيبا

عطرا مع كلِّ حاجٍّ قد همَّ بالرحيل، فجاءت مفردتي "طيب النشر" و "عاطر" لتعبر عن حرارة

السلام المبعوث إلى الحجاز كحرارة الشوق الذي يسكن بين ضلوعه.

د- مجال الدين:

- جدول إحصاء الوحدات الدلالية لمجال(الدين) مع التواتر والنسب المئوية:

¹ موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان-المصدر السابق-ص197.

² المصدر نفسه-ص196.

³ المصدر نفسه-ص200.

النسبة المئوية	التواتر	الوحدات الدلالية	المجال الفرعي	المجال العام
78,04 %	64	<p>الهدى-المذنب -ربي-أوزاري- الله يا رب إلهي-المعاصي-خالقي-مجييا الرسول-شفيع-البشير-المختار - نبي القصاص- النواصي-تغفر- أهدى السبل- الاسلام الحشر-زلتي-تغفرون-دينه-صلّي الذنوب- ترحموا- يفرج-كربي-دعوت سميعا-مجييا- الضلال-رحمة-الشريعة المؤمنين-الكافرين- معجزات-زمزم الحساب-مكين-ذنب-طاف-أوسها الخزارج-الأنصار-يشفع-ذنبى-يهدي شفاعة-العرش-خالقنا- الظلالة آية-مولاي-الكفر-صلاة- مظالم- حلالا يتوبا-المشفع-توبة-يجيب- صلّي</p>	1) الإسلام ومتعلقاته	مجال الدين*
21,95 %	18	<p>الرفق-العدل-أرشدت- التقوى-الأفضال الحمد-الشكر-للرشاد- الصبر- الهدى العفو- رضى-الرشدا-الحق-أصبر تعفو-يشكر- الهادي</p>	2) القيم الإسلامية	

*العدد الإجمالي للوحدات الدلالية في مجال الدين: 82 وحدة.

القراءة التأويلية لمجال الدين :

1/المجال الدلالي الفرعي الأول(الإسلام ومتعلقاته):

كان حقل(الإسلام ومتعلقاته)حاضرا بقوة في شعر أبي حمو لأن أغلب القصائد الموجودة في كتاب "واسطة السلوك" هي من الشعر الديني وتحديدًا غرض "المولديات"؛ وعليه نوع أبو حمو المفردات الدينية ذات الصلة بمجال الإسلام وكل ما له علاقة به، ومن أمثلة ذلك قول الشاعر:

مُسِيءٌ أَلَمٌ بِذَنْبٍ أَدَمٌ	::	أَجْمَعُ لَمَّا أَسَاءَ أَنْ يَتُوبَا
سَأَلْتُكَ يَا خَالِقِي تَوْبَةً	::	مَازَلْتُ لِلسَّائِلِينَ مُجِيبَا
وَأَنْتَ رَقِيبِي يَوْمَ الْحِسَابِ	::	كَفَى بِكَ يَوْمَ الْحِسَابِ رَقِيبَا
خَشَيْتُ الْمَعَاصِي يَوْمَ الْقِصَاصِ	::	ذَا مَا النَّوَاصِي تَشِيبُ مَشِيبَا
فَكَمْ قَدْ لَهَوْتُ وَكَمْ قَدْ سَهَوْتُ	::	لَكِنْ دَعَوْتُ سَمِيعًا مُجِيبَا ¹ .

يستعمل الكاتب زخما من ألفاظ الدين على التوالي للدلالة على الحالة النفسية التي يعيشها؛ فه يرى نفسه رجلا مذنبًا، مقصرا في حق الله هذه القناعة جعلته في حالة رعب من عاقبة أعماله؛ كيف لا وهو لا يفكر إلا في يوم الحساب وفي ذلك الموقف العظيم بين يدي المولى عز وجل يسأله عن ذنوبه وتقصيره في الحياة الدنيا، لذلك لا ينفك بطلب الرحمة والمغفرة، مقرا بذنبه، ومعتزفا بتقصيره، راجيا المولى عز وجل أن يقبل توبته، وهو السميع المجيب.

ويقول الشاعر في مقام آخر:

وَيَأَلَيْتُ شِعْرِي بِالرَّمَانِ الَّذِي مَضَى	::	أَيَّرَجُعُ مَرُّ الْعَيْشِ مِنْ بَعْدِهِ شَهْدَا
وَتُعْفِرُ أَوْزَارِي وَتُمَحِّي جَرَائِمِي	::	وَحَصْرُ دُنُوبٍ لَا أُطِيقُ لَهَا عَدَا

¹موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان-واسطة السلوك -ص195.

أَنَا الْمُسْرِفُ الْجَانِي أَنَا الْمُذْنِبُ الَّذِي .: أَشَاهِدُ بَابَ الْعَفْوِ بِالذَّنْبِ قَدْ سُدًّا¹.
 مازال الشاعر يرى في نفسه صوراً مختلفة للتقصير وللذنب والمعاصي؛ كما أنه مصر على الاعتراف بما جنت يده في أيام ماضية من عمره، لكنّه لفرط خوفه وخشيته من المولى عزّ وجلّ صار يشاهد باب العفو مغلقاً في وجهه؛ وهو تعبير مجازي أراد من خلاله الشاعر أن يظهر كبير ندمه وحسرتة على إسرافه في أيام شبابه.

وفي مثال آخر يقول:

فَلَيْسَ يُطْفِيءُ لَهَيْبَ الشُّوقِ مِنْ كَيْدِي	::	إِلَّا بِمَاءِ زَمْرَمٍ يَا سَعْدَ مَنْ شَرِبَا
مَنْي السَّلَامِ عَلَى أَهْلِ الْحَطِيمِ وَمَنْ	::	أَمَّ الْمَقَامَ وَطَافَ الْبَيْتَ مُرْتَقِبَا
مَنْ مُذْنِبٍ هَائِمٍ فِي الْعَرَبِ مَسْكَنُهُ	::	مُوسَى بْنِ يُوسُفَ أَفْنَى عُمَرُ لَعْبَا
لَكِنِّي أَرْتَجِ يَوْمَ الْحِسَابِ غَدًا	::	شَفَاعَةَ لِشَفِيعِ جَلِّ ذَا طَلَبَا
.....	::
صَلَّى عَلَيْهِ إِلَهُ الْعَرْشِ خَالِقُنَا	::	مَا غَنَّتِ الطَّيْرُ فِي أَفْئَانِهَا طَلَبَا ² .

بيدي الشاعر شدة شوقه إلى زيارة البقاع المقدسة بما فيها من البيت العتيق ومقام النبي صلى الله عليه وسلم؛ وهو يتمنى أن يصل سلامه إلى هناك مع قوافل الحجاج، علّه ينال به يوم القيامة شفاعته من الشفيع الكريم محمد عليه الصلاة والسلام؛ وقد ساعدت الألفاظ الدالة على حقل الإسلام و متعلقاته الشاعر على التنفيس عمّ ضاق به صدره من لوعة وشوق وحنين متزايد للبقاع المقدسة وكلّ المقدسات التي تحتوى عليها، وأولها قبر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

2/المجال الدلالي الفرعي الثاني(القيم الإسلامية):

كان للقيم الإسلامية اجمالاً حضوراً محترماً في شعر أبي حمو خاصة "المولديات" منه؛

ومن أمثلة ذلك قوله:

مُبْدِي الْإِسْلَامِ وَمُظْهِرُهُ .: عِلْمُ التَّقْوَى خَيْرُ الرُّسُلِ³.

¹-موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان-المصدر السابق- ص199.

²-المصدر نفسه ص198.

³-المصدر نفسه ص25.

ويقول كذلك مستعملاً ألفاظاً دالة على القيم الإسلامية:

الرِّفْقُ كَذَلِكَ مِنْ شِيَمِي .: وَالْعَدْلُ بِهِ أُعْطِيَ أَمَلِي¹.

يرى أبو حمو أنه يتمتع بالأخلاق الإسلامية- ولذلك نجده يتغنى بما يتصف به منها، فالرفق كان من شيم أبي حمو، أما العدل فهو وسيلة لتحقيق الأمان؛ ولا نبتعد عن هذا المجال حتى نستشهد بقول الشاعر مفتخراً بما حققه للناس:

فَبِفَضْلِ اللَّهِ وَمِنْتَهُ .: أَرْشَدْتُ إِلَى أَهْدَى السُّبُلِ².

ويقول أيضاً:

يَا رَبِّ، ذُنُوبِي قَدْ عَظُمَتْ .: فَأَمُنُّ بِالْعَفْوِ لِمُجْتَرِمِ
فَالْعَفْوُ، إِلَهِي، مِنْكَ وَإِنَّ .: الذَّنْبَ وَحَقَّكَ مِنْ شِيَمِي
شَأْنُ الْمَمْلُوكِ الذَّنْبُ وَشَأْنُ .: المَوْلَى العَفْوُ عَنِ الخَدَمِ³.

إنّ لتكرار لفظ "العفو" هاهنا دلالة واضحة، تمثلت في خوف الشاعر من كثرة ذنوبه وما سيترتب عنها من ندم شديد يعصف بخاتمة عمره، والغاية من هذا التكرار إبراز إصراره على الاستغفار وطلب الرحمة من خالقه عزّ وجلّ.

وفي الأخير؛ يمكننا القول أنّ المعجم الشعري لأبي حمو تميّز بالتنوع والثراء، وقد أحسن الشاعر استغلاله حيث استطاع أن يكشف عن الطاقات التعبيرية المختلفة لألفاظ معجمه من خلال تنويع الدلالات الخاصة بها والتي تمكنت من التعبير عن عالم الشاعر بكل ما يحويه من أفكار ومشاعر مختلفة؛ ويمكن أن نقول أنّ المفردة من أهم الأدوات التي تبيّن مدى قوة الانشاء عند الشاعر، وتبيّن حسن استعماله لتلك الألفاظ بحيث تعطي انطباعاً بأنّها الأنسب في المكان الذي وجدت فيه بين أبيات القصيدة الشعرية.

¹ موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان -المصدر السابق-الصفحة نفسها.

² المصدر نفسه-الصفحة نفسها.

³ المصدر نفسه-ص29.

الفصل الثاني: البنى التركيبية في شعر أبي حمّو

أولاً: الجانب النظري:

تمهيد:

- 1) تعريف الجملة لدى القدماء.
- 2) تعريف الجملة لدى المحدثين.
- 3) تعريف الجملة لدى الغرب.
- 4) أقسامها.

ثانياً: الجانب التطبيقي:

1- الجملة الإسمية

2- الجملة الفعلية

3- الجملة الشرطية

4- الجملة الإنشائية

أولاً: الجانب النظري:

تمهيد:

«يقصد بالتركيب اللّغوي ما قد يحمله الشعر من تقديم وتأخير، أو أخطاء نحوية وغيرها»¹، ويدرس الجانب التركيبي العلاقة الموجودة بين الوحدات اللّغوية وطريقة وجود الكلمات داخل الجمل²؛ وعليه فهي تهتم بالجانب النحوي الذي يدرس تكوين الجمل وخصائصها والدور الذي أدته في أداء المعنى؛ كما يهتم بأنواع الجمل على اختلافها اسمية كانت أو فعلية، خبرية أو إنشائية، ولأنّ دراستنا في هذا الجزء من البحث ستركّز على الجملة بمختلف أنواعها، كان لزاماً علينا التعرف على الجملة بأنواعها والخصائص التي تميّز تلك الأنواع.

1) تعريف الجملة لدى القدماء:

تعددت تعريفات الجملة عند القدماء لكنّها تصب جميعاً في قالب واحد وهو "المسند والمسند إليه"، فالجمل عندهم تتركب من "مسند ومسند إليه" وتكون إمّا إسمية تتكون من مبتدأ أو خبر وإمّا فعلية تتكوّن من فعل وفاعل، وما عدا ذلك عدّوه فضلة يمكن الاستغناء عنه؛ من بين تعريفات القدامى للجملة ما قاله سبويه «هذا باب المسند والمسند إليه وهما ما لا يستغني واحد منهما عن الآخر ولا يجد المتكلم من بد، من ذلك الاسم المبتدأ أو المبني عليه وهو قولك: عبد الله أخوك وهذا أخوك ومثل قولك يذهب زيد فلا بد للفعل من الاسم كما لم يكن لاسم الأوّل من الآخر في الابتداء»³.

¹ -رحمان غرگان- مقومات عمود الشعر- الأسلوبية في النظرية والتطبيق-منشورات اتحاد الكتاب العرب-دمشق- 2004-ص195.

² -انظر: نور الهدى لوشن: مباحث في علم اللّغة ومناهج البحث اللّغوي- المكتبة الجامعية الأزربطية- الإسكندرية- مصر-2001-ص149.

³ -سبويه- الكتاب- تحقيق: عبد السلام هارون- الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة-1975-ج1-ص23.

ويعرّفها ابن جني بقوله: «وهي على ضربين جملة مركبة من مبتدأ وخبر وجملة مركبة من فعل وفاعل»¹.

أما الزمخشري فيقول: «والكلام هو المركب من كلمتين أسندت إحداهما وذلك لا يتأتى إلا في اسمين كقوله "زيد أخوك وبشر صاحبك أو في فعل واسم نحو ذلك قولك: ضرب زيد وانطلق بكر ويسمى الجملة»².

ويقول ابن يعيش عن تركيب الجملة «اعلم أنه قدم الكلام في الاعراب في المرفوعات لأنها اللوازم للجملة والعمدة فيها والتي لا تخلو منها وما عداها فضلة يستقل الكلام دونها ثم قدم الكلام عن الفاعل لأنه الأصل في استحقاق الرفع وما عداه محمول عليه»³.

(2) تعريف الجملة لدى المحدثين:

اتفق اللغويين على أن الكلام يمثل التحقق الفعلي للغة من خلال حد أدنى من الوحدات تمثلها الجمل، يعرّفها خليل أحمد عاميرة: «ما كان من الألفاظ قائما برأسه مفيد للمعنى يحسن السكوت عليه»⁴.

أما إبراهيم أنيس فيقول: «إنّ الجملة في أقصر صورها هي أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلا بنفسه سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر مثلا: فإذا سأل القاضي أحد المتهمين قائلا من معك وقت ارتكاب الجريمة؟ فأجاب: زيد فقط، نطق هذا المتهم بكلام مفيد في أقصر صورة»⁵.

¹ ابن جني- اللّمع- تحقيق: حسين محمد شرف- القاهرة-1979- ص111.

² ابن يعيش- شرح المفصل-عالم الكتاب- بيروت، د. ت-ج¹- ص18.

³ المصدر نفسه-ج¹- ص74.

⁴ أحمد عاميرة- في نحو اللّغة وتراكيبها- منهج وتطبيق-عالم المعرفة- ط1-1984- ص77.

⁵ إبراهيم أنيس- من أسرار اللّغة مكتبة- الأنجلو المصرية- القاهرة-1978- ص276-277.

ويعرفها عبد اللطيف حماسة: «أنّ أقل قدر من الكلام المفيد يتم بعنصري الاسناد وما سواهما قد تكون ضرورة، وقد يستغني عنها ولكنها تبني جملة في الأساس من حيث هي؛ فإذا كان الكلام مفيدا فإن العنصرين الأساسيين لا بد أن يكون لفظا وتقديرا، وأمّا الحدث اللّغوي وهو المجال الذي ينطلق منه النظام النحوي، فإنه قد يهتم ببعض الفضلات بحيث تكون في بعض الأحيان هي الغاية والقصد»¹.

ويقول أيضا: «إنّ بناء الجملة هو التركيب المنطوق الذي يوجد بين الفكرة النظرية والنطق»².

أما عن مفهوم الجملة، فيقول فاضل صالح السامرائي: «إنّ الجملة لا بدّ أن تفيد معنى ما؛ وإلاّ كانت عبثا، فلو رتبت كلمات ليست بينهما ترابط يؤدي إلى إفادة معنى ما لم يكن ذلك كلاما»³.

3) تعريف الجملة لدى الغرب:

تعددت تعريفات الجملة عند الغرب تعددا كبيرا، فكان كل لّغوي يقدم تعريفا مختلفا عن غيره، ويجدر الذكر أنّ هذا التعدد بدأ منذ أفلاطون (ت374ق.م) وإلى غاية عصرنا الحالي؛ فدسوسير مؤسس علم اللّغة الحديث لم يقدم تعريفا محددا للجملة غير أنّه يشير إلى أنّ الجملة هي النمط الرئيسي من أنماط التضام، الذي يتألف عنده من وحدتين أو أكثر من الوحدات اللّغوية التي يتلو بعضها بعضا»⁴.

¹- عبد اللطيف حماسة- بناء الجملة العربية- دار القلم- الكويت- ط1-1982- ص46-47.

²- المرجع نفسه- دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة-2003- ص237.

³-فاضل صالح السامرائي- الجملة العربية والمعنى- دار ابن حزم- ط1-2000- ص07.

⁴-انظر: محمود أحمد نخلة- بناء مدخل إلى دراسة الجملة العربية- دار كلية الآداب جامعة الإسكندرية-دار النهضة العربية للطباعة والنشر- د. ت-ص11.

ويعرفها بلوم فيلد قائلاً: «الجملة شكل لغوي مستقل لا يدخل عن طريق أيّ تركيب نحوي في شكل لغوي أكبر منه»¹.

أما يسبرسن فيعرفها قائلاً: «بأنها قول بشري تام ومستقل والمراد بالتام والاستقلال عنده أن تقوم الجملة برأسها أو تكون قادرة على ذلك»².

وأشار هرينجر إلى «التعريفات المؤسسة على التفسير الثنائي إلى موضوع أو مسند إليه ومحمول أو مسند لا بد أن نستبعد الجمل المكونة من كلمة واحدة مثل النار وأن ننظر إليها على أن فيها حذفاً ولكننا لا نستطيع أن نقر أي حذف فيها لأننا لا نعرف على وجه التحديد ما حذف منها»³.

(4) أقسامها:

قسّم الدارسون المحدثون الجملة إلى جملة إسمية وفعلية وظرفية، لكنّ هذا التقسيم لم يكن ما ذهب إليه النحاة قديماً فقد اختلف اللغويون العرب في تقسيمها حسب ما تبدأ به، فقالوا: اسمية وفعلية وظرفية؛ وبالنظر إلى نوع طبيعة المسند إليه قالوا: جملة كبرى وجملة صغرى، ونظراً للوظيفة النحوية؛ قالوا: الجملة التي لها محلّ من الاعراب والجملة التي لا محل لها من الاعراب⁴.

وسنحاول في هذا البحث تتبع الجملة في شعر أبي حمّو بمختلف أنواعها وطريقة صياغتها والدور الذي لعبته في إيصال المعنى، وقد ارتأينا تقسيمها إلى جملة إسمية وفعلية وشرطية وإنشائية.

¹ - محمود أحمد نخلة- المرجع السابق- ص11.

² - المرجع نفسه- ص11.

³ - المرجع نفسه- ص11.

⁴ - مهدي المخزومي- في النحو العربي(نقد وتوجيه)، منشورات المكتبة المصرية- بيروت- لبنان- ط4-1964- ص39.

ثانيا: الجانب التطبيقي:

1- الجملة الإسمية:

هي التي تتألف من مسند إليه ومسند، أو من مبتدأ و خبره، وأفادت بأصل وضعها ثبوت شيء لشيء¹، لكن هذا الثبوت تحوّل إلى تغيير بسبب التقديم والتأخير؛ وهذا ما أحدث جدلا لدى النحاة.

1-1- الجملة الإسمية البسيطة:

ويقصد بها الجملة التي تضمنت عملية اسنادية واحدة؛ ولم يرد ضمن المسند والمسند إليه جملة؛ وهي تركز على ركنين أساسيين وهما: المبتدأ و الخبر، تربط بينهما علاقة الاسناد حيث تتسم علاقة المسند إليه(المبتدأ)بالمسند(الخبر)بالثبات غالبا²؛ وهي التي لم تسبق بفعل أو ناسخ، وقد تلحق بها عناصر لغوية أخرى تكون من اللواحق التي يمكن الاستغناء عنها وسنستهل دراستنا بنموذج عن الجملة الاسمية البسيطة في شعر أبي حمّو، حيث قال:

فُوَادِي عَلِيلٌ، وَجِسْمِي نَحِيلٌ .∴ سَقْمِي طَوِيلٌ قَدْ أَعْيَا الطَّيْبِيَا

جاء المسند إليه في هذه الجمل في شكل مضاف ومضاف إليه(فؤادي، جسمي، سقمي)، أما المسند فجاء في شكل لفظ واحد(عليل، نحيل، طويل)، ويمكن تمثيل التركيب النحوي لهذه الجمل على النحو التالي:

مبتدأ(فؤاد، جسم، سقم)+مضاف إليه(ي)+خبر(عليل، نحيل، طويل).

¹-انظر: عبد اللطيف شريقي-زبير دراقي: الإحاطة في علوم البلاغة، ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر- ط1-

2004- ص27.

²-أنظر: السكاك- مفتاح العلوم- ص218.

نلاحظ أنّ الشاعر في البيتين السابقين قد اعتمد على تكرار الجمل اسمية وقد أدى هذا التكرار وظيفة التأكيد والإثبات، فهو يريد أن يثبت مدى تعلقه بالبقاع المقدسة بكل ما تحمله من دلالات وبالتحديد قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، هذا التعلق المقرون بعدم القدرة على الزيارة، قد جعل حالته الصحية والنفسية تتردى بشكل كبير، فقد خلّف هذا الشوق قلبا عليلا متعبا بحبّ كبير وحنين أكبر، متقلا بوجع العجز عن نيل المبتغى، وقد كان لضعف جسمه البرهان الأكبر على حالته النفسية السيئة، حيث بثّت هذه الأخيرة في بدنه سقما طويلا لا يرى الشاعر شفاء له إلاّ بالزيارة والحج، وهو الشيء الذي لا يجد إليه سبيلا في الوقت الحالي.

ومن صور استعمال الشاعر للجمل الاسمية في شعره، قوله:

فَالْعَفُو، إِلَهِي مِنْكَ وَإِنَّ	::	الذَّنْبَ وَحَقَّكَ مِنْ شِيَمِي
شَأْنُ الْمَمْلُوكِ الذَّنْبُ وَشَأْنُ	::	الْمَوْلَى الْعَفُو عَنْ الْخَدَمِ
إِنِّي بِذُنُوبِي مُعْتَرِفٌ	::	وَالْحَوْفُ أَشَدُّ مِنَ الْأَلَمِ ¹ .

وقد جاء تركيب الجمل الاسمية الموجودة في الأبيات السابقة على النحو التالي:

مبتدأ(شأن المملوك)+خبر(الذنب).

مبتدأ(شأن المولى)+خبر(العفو)+الجار والمجرور(عن الخدم)

مبتدأ(الخوف)+خبر(أشد) اسم تفضيل +جار ومجرور(من الألم).

من خلال التركيب السابق حاول الشاعر أن يبدي صدق نيته في التوبة النصوح، وذلك من خلال الاعتراف والاقرار بارتكابه الائم والذنب؛ كما يعترف بعظمة خالقه من خلال الاعتراف بعبوديته إليه، هذه العبودية الموصوفة بالضعف، ضعف الإنسان أمام نفسه وشهواتها وضعفه أمام شيطانه؛ إذ يعبر هذا الضعف على قوّة الخالق، هذه القوّة التي تجعله قادرا لكنّه وبالرغم من قوّته وقدرته، يتساهل ويتسامح بل ويعفو عن ذلك العبد المملوك المذنب الجاني؛ اعتراف العبد بأخطائه منطلق من حقيقة خوفه الشديد من خالقه

¹-موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان -واسطة السلوك- ص29.

فعل ماضي ناقص(كانت)+جار ومجرور(على الأعداء)+خبرها(شؤم)+مضاف إليه(الذمائم).

إنّ أفعال الكينونة في صيغة الماضي هي الأنسب لسرد الأحداث والوقائع، ويكشف عن المعرفة الدقيقة للحدث، ويساعد هذا النوع من الأفعال على إنفتاح المعنى وإيضاح الدلالة، وقد ساهم هذا الفعل في تنويع الأحداث ومن ثمّ جمعها في مشهد واحد وهو حالة أعداء الشاعر المرينيين بعد هزيمتهم النكراء على يد جيش أبي حمّو، إذ كانت أجسادهم صرعى متناثرة على الأرض هنا وهناك والنسور تأكل من لحمها، وكان هذا اليوم، يوم انتصار أبي حمّو وأتباعه يوم شؤم وحزن بالنسبة لأعدائه.

ومن بين أنواع النواسخ التي وردت في شعر أبي حمّو(إنّ)، ومن الأبيات التي استعمل فيها هذا الناسخ، ما جاء في قوله:

فَالْعَفْوُ، إِلَهِي مِنْكَ وَإِنَّ .: الذَّنْبَ وَحَقَّكَ مِنْ شِيَمِي

شَأْنُ الْمَمْلُوكِ الذَّنْبُ وَشَأْنُ .: الْمَوْلَى الْعَفْوُ عَنِ الْخَدَمِ

إِنِّي بِذُنُوبِي مُعْتَرِفٌ .: وَالْخَوْفُ أَشَدُّ مِنَ الْأَلَمِ¹.

نلاحظ استعمال الشاعر للناسخ(إنّ) في البيت الأوّل وفي البيت الثالث وكان اسمها في المثال الأوّل اسما ظاهرا(الذنب)تلتته جملة اعتراضية(وحقّك)ثم الخبر عبارة عن شبه جملة جار ومجرور، أما الجملة الثانية كان اسمها ضمير متصل(ياء المتكلم) تلتته شبه جملة جار ومجرور.

¹موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان-المصدر السابق -ص29.

ثم الخبر اسم ظاهر (معتزف)، ويمكننا تمثيل تركيب الجملتين السابقتين كالآتي:

الحرف الناسخ (إِنَّ) + اسمها (الذنب) + جملة اعتراضية (وحقك) + خبرها (من شيمي، جار و مجرور).

الحرف الناسخ (إِنَّ) + اسمها (بإاء المتكلم، ضمير متصل) + جار و مجرور (بذنوبي) + خبرها (معتزف).

لقد استعمل أبو حمّو (إِنَّ) ليؤكد على صدق توبته من خلال الاعتراف المؤكد بالذنب والمعصية، فالاعتراف بالخطأ والندم عليه هو أول أبواب التوبة، وعليه كان الشاعر مصرا على الاقرار بالجرم ثم قابله برجاء العفو وقبول التوبة من المولى عز وجل، كمل دل حرف التوكيد (إِنَّ) على شدة خوف الشاعر من عاقبة جرمه، هذا الخوف الذي كان أشد وأكبر من ألم الندم الذي يسكن داخله.

ويستعمل أبو حمّو حرف التوكيد (إِنَّ) في مقام آخر فيقول:

فَصْرَحْ بِتَذْكَارِ الْعَقِيقِ وَحَاجِرٍ	::	لَأَنَّ بِهَا يُشْفَى غَلِيلُ اللَّوَاغِجِ
وَقُلْ لِسُلَيْمَى لَسْتُ أَسْلُو بِحُبِّهَا	::	وَإِنَّ طَرِيقَ الْغِيِّ لَسْتُ بِنَاهِجٍ ¹ .

وقد جاء تركيب الجملتين المنسوختين كما يلي:

الحرف الناسخ (إِنَّ) + خبرها (جار و مجرور) + خبرها (يشفى غليل اللواغج، جملة فعلية)

الحرف الناسخ (إِنَّ) + اسمها (طريق) + مضاف إليه (الغِيِّ) + خبرها (لست بناهج، جملة اسمية).

لقد ساعد حرف التوكيد (إِنَّ) الشاعر على إظهار شوقه وحنينه إلى محبوبه من خلال تأكيد شوقه إلى دياره وأرضه، ثم يؤكد مرة أخرى على صدق مشاعره من خلال التأكيد على صدق نواياه اتجاه هذا الحبيب، ونلاحظ أنّ هذا المقام قد ناسب أداة التوكيد التي خدمت دلالات البيتين الشعريين، مع العلم أنّ المحبوب هنا يرمز للنبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي ما فتأ الشاعر يبدي حبه وشوقه وحنينه إليه وإلى مقامه الشريف بالمدينة المنورة، أما ذكره "لسليمى" فهو بسبب تصدير أبي حمّو لقصيدة "المولودية" بأبيات غزلية.

¹ موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان-المصدر السابق-ص195.

يمكن القول في الأخير أنّ الجملة الاسمية في شعر أبي حمّو كان لها دور فعّال في منح أبيات الشاعر دلالات ومعاني مختلفة، وقد كان حضورها مميّزا، حيث ساعدت الشاعر على التعبير عن الموقف الذي يتصف بهدوء في العاطفة وتركيز في الأفكار، فأضفت بذلك تأكيدا وثباتا في شعره، وقد ساهم الناسخان (كان) و(إنّ) في عملية سرد الحقائق التي عاشها من جهة وتأكيد المعنى وتقويته من جهة أخرى؛ وقد أدى اشتراك البنى التركيبية للجمل الاسمية مع المستوى الفكري للشاعر من خلال اختيار الألفاظ وتوظيفها وتشكيل صور شعرية إلى تجسيد الثبات والهدوء اللذين تتسم بهما الجملة الاسمية.

2- الجملة الفعلية:

«الجملة الفعلية وهي التي صدرها فعل تام أو ناقص»¹، وهي التي يكون فيها المسند فعلا يدل على التغيير والتجدد، وفي الغالب تتكون من فعل وفاعل ومتعلقات الفعل، أو فعل ونائب فاعل، والفعل يدل بصيغته على واحد من الأزمنة الثلاثة بدون قرينة خارجة عنه².

2-1- الجملة الفعلية الماضية:

وهي الجملة المبدوءة بفعل ماضي، الذي يدلّ على مضي الحدث وانقضائه وأنّ الحدث قد كان في زمن قد مضى وانتهى، وتتفرع عن هذه الدلالة العامة الشعرية التي ضمت الفعل الماضي، ما جاء في قول أبي حمّو³:

سَرَتِ الْإِبِلُ لَمَّا ارْتَحَلُوا	::	قَلْبِي حَمَلُوا فِي رَكْبِهِمْ
حَمَلُوا خَلْدِي أَفْنُوا جَلْدِي	::	تَرَكَوْا جَسَدِي رَهْنَ السَّقَمِ
حَطَّ الْعُشَاقُ رَكَائِبَهُمْ	::	بَيْنَ الْعَلَمَيْنِ وَالْحَرَمِ.
وَبَقِيَ الْمُشْتَاقُ بِرَفْرَتِهِ	::	فِي مَعْرِبِهِ يَبْكِي بِدَمٍ

¹-فخر الدين قباوة-إعراب الجمل وأشبه الجمل-دار الأسمعي-حلب-ط1--1972-ص14.

²-انظر: عبد اللطيف شريفي-زبير درافي: الإحاطة في علوم البلاغة-ص26.

³-موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان-واسطة السلوك-ص30.

قَدْ قَيَّدَنِي مَا قَلَّدَنِي	::	مَنْ حُكِمَ حَكِيمٍ ذِي حِكْمٍ
وَصُرُوفِ الدَّهْرِ تُعَارِضُنِي	::	عَمَّا أْبْغِيهِ مِنَ السَّقَمِ
سَارُوا وَالذَّنْبُ قَدْ أَفْعَدَنِي	::	فَقَرَعْتُ السِّنَّ مِنَ النَّدَمِ
وَبَكَيْتُ الدَّمْعَ عَلَى زَلَلٍ	::	وَمَرَجْتُ الدَّمْعَ بِفَيْضِ دَمٍ
بَدَتِ الْأَنْوَارُ عَلَى السُّمَارِ	::	مِنَ الْأَقْمَارِ بِذِي سَلَمٍ
زَارُوا الْهَادِي بِهَوَى بَادِي	::	وَحَدَا الْحَادِي عَزْمًا بِهِمِ

نلاحظ أن جلّ القصيدة مملوءة بأفعال ماضية نحو(سرت، حملوا، حط، بقي، قيّدني، بكيت... إلخ)، وإذا دلّ هذا الزخم من الأفعال الماضية على شيء فإنما يدلّ على حركية كبيرة في الزمن الماضي الذي حمل ألم ووجع الشاعر الذي حرم مما تمناه فؤاده؛ ويمكن أن نمثّل تركيب الجمل الفعلية الماضية على النحو التالي:

الجمل ذات الفعل اللازم الواقعة في الشطر الأول:

[سَرْتُ، سار، بَدْتُ، بقي]+فاعل[الابل، وواو الجماعة، الأنوار، المشتاق]

الجمل ذات الفعل المتعدّي الواقعة في الشطر الأول:

فعل ماضي[حمل، حطّ، قيّد، بكى، زار]+فاعل[واو الجماعة، العشاق، بما قلّدي(جملة إسمية موصولة)؛ ت(ضمير متصل)؛ واو الجماعة]+مفعول به[خدي، ركائب، الدّمع، الهادي].

مشاعر كثيرة متضاربة تتضارب داخل وجدان الشاعر، فبين شوق كبير يعترّيه للحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم والبقاع المقدسة، وبين شعور كبير بالعجز بسبب واجبات الحكم التي حالت دون الالتحاق بقوافل الحجاج وبين حسد لركائب الحجاج الذين نالوا الشرف العظيم الذي حرم منه، تلك المشاعر المختلفة لم تترك للشاعر إلاّ حلاً واحداً يداوي من خلاله ما خلفه عدم تمكنه من الزيارة من جراحات عميقة في فؤاده، وهو يتخيّل

حال الحجيج في رحلتهم وتفاصيل ما قاموا به مستعينا بالفعل الماضي لمتابعة الخطوات المباركة التي قاموا بها.

وفي قصيدته الميمية التي تحدّث فيها عن رحلته الطويلة والشاقة التي قام بها لاسترداد عرش تلمسان من غصابها، استخدم أبو حمّو الفعل الماضي بكثافة في سرد مجرياتها، ولهذا الحضور الكثيف تفسيره المنطقي، وهو وقوع تلك الرحلة في مرحلة سابقة من حياة الشاعر الذي يسرد أحداثا عصبية ارتبطت بحياته كملك في فترة ماضية من الزمن ويقول في بعض أبياته¹:

رِقَاقِ الْهَوَادِي عَالِيَاتِ الْقَوَائِمِ	::	وَجَوَزْتُهَا بَيْنَ هَوَجِ هَجَائِنِ
بِبُلُقَعَةٍ قَفْرًا قَفْنُهَا عَرَائِمِي	::	وَجُزْتُ بِأَرْضِ الرَّبْعِ رَاعَتْ بِأَهْلِهَا
بِهَا مُعْلَمًا يَأْتِي إِلَيَّ بِعَالِمِ	::	سَأَلْتُ رُبُوعَ الدَّارِ فِيهَا قَلَمَ أَجْدُ
وَصَيَّرْتُهَا مِثْلَ الرِّيَّاحِ الرِّوَاكِمِ	::	شَدَدْتُ عَرَى لِنَجْعِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
وَفَوْقَ ذُرَاهَا كُلِّ شَهْمٍ وَحَازِمِ	::	تَخَيَّلْتُهَا مِثْلَ القَطَا فِي مَيْسِرِهَا
تَذَكَّرُهَا عَهْدَ الهَوَى بِالصَّمَاصِمِ	::	وَحَقَّتْ بِنَا الأَبْطَالِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
وَلَا مُخْبِرًا غَيْرَ الصَّلَادِ الأَعَاجِمِ	::	وَجِئْتُ لِوَارِقِلَا وَجُزْتُ مُصَابَها

وتتمثل البنى التركيبية للجمل الفعلية السابقة كما يلي:

فعل ماضي (جاوزت، جزت، سألت- شددت- تخيلت- جئت) + فاعل (ضمير

متصل [تاء الفاعل] + الأبطال) + (ضمير متصل [مفعول به]، ربوع، عرى، مصابها) [مفعول به]

جار ومجرور [مفعول به].

¹ موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان - واسطة السلوك - ص 37.

جاءت الجملة الفعلية في الأبيات السابقة متوسطة الطول حجماً، ومتتالية تأكّد على الحدث الفعلي الذي ارتبط بالحالة الشعورية للشاعر، ويرمز ذلك من ناحية الدلالة على حالة الحزن التي كان يعيشها أبو حمّو بسبب افتراقه عن عاصمة تلمسان، وحالة التشرد في الصحاري والقفار، كما تدل على حالة الترقب الممزوج بالخوف يعيشهما الشاعر وهو يجمع شتات نفسه وجيشه باتجاه العاصمة تلمسان محاولاً تحريرها من أسرها.

2-2- الجملّة الفعلية الماضية المنفية:

ومن أمثلة ما ورد في شعر أبي حمّو من أبيات ضمّت أفعال ماضية منفية، قوله¹:

وَلَا رَضَيْتُ لِنَفْسِي غَيْرَهُمْ بَدَلًا .: وَلَا وَجَدْتُ لِقَلْبِي دُونَهُمْ طَلَبًا
وَلَا سَلَوْتُ وَلَا أَسْلَوُ لِئُعِدَّهُمْ .: إِنَّ السَّلْوَ عَنِ الْمَهْجُورِ قَدْ صَعَبَا

وتتمثل البنية التركيبية للجملة المنفية السابقة كالاتي:

أداة النفي (لا) + الفعل (رضيت) + الفاعل (تاء الفاعل، ضمير متصل) + جار ومجرور + مفعول به (غير) + مضاف إليه (هم) + تمييز (بدلاً).
أداة النفي (لا) + الفعل (وجدت) + الفاعل (تاء الفاعل، ضمير متصل) + جار ومجرور + مفعول به (دون) + هم، شبه جملة + مفعول به ثاني (طلباً).
أداة النفي (لا) + الفعل (سلوت) + الفاعل (تاء الفاعل، ضمير متصل).

¹ موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان - المصدر السابق - ص 197.

لقد عمد الشاعر إلى تكرار أداة النفي (لا) للدلالة على ارتباطه بالمحبوب واصراره على عدم التخلي عنه أو استبداله، مبرهنًا بذلك على صدق مشاعره وحالة العشق التي يعيشها، كما يصور صعوبة الهجر على قلبه، وقد اتخذ أبو حمّو من النفي وسيلة لاستعطاف محبوبه من خلال تأكيده على البقاء على عهد الوفاء وهذا حال الشعراء في قصائدهم الغزلية والشاعر هنا قد سار على خطى من سبقه في أبياته الغزلية التي تصدرت شعر المولديات.

ويقول أبو حمّو في أبيات أخرى:

وَنَهَيْتُ النَّفْسَ فَمَا انْزَجَرْتُ	::	وَنَهَيْتُ الْقَلْبَ فَلَمْ يَرْمِ
وَنَذِيرُ الشَّيْبِ لَقَدْ وَافَى	::	وَحُلُولِ الشَّيْبِ مَعَ الْهَرَمِ ¹ .
وَقَوْلُهُ أَيْضًا فِي نَفْسِ الْمَوْضُوعِ:		
دَمْعٌ يَنْهَلُ مِنَ الْمُقْلِ	::	لِقَبِيحِ كَانٍ مِنَ الْعَمَلِ
وَجَوَى فِي الصِّدْرِ لَهُ حُرْقٌ	::	فَالْقَلْبُ لِذَلِكَ فِي شُغْلٍ
وَنَهَيْتُ النَّفْسَ فَمَا قَبِلْتُ	::	وَتَوَلَّى الصَّبْرُ فَمَا حِيَلِي ² .

وتتمثل البنية التركيبية للجملتين المنفيتين كالتالي:

أداة النفي (ما) + الفعل (انزجرت) + الفاعل (هي، ضمير مستتر).

أداة النفي (ما) + الفعل (قبلت) + الفاعل (هي، ضمير مستتر).

استخدم أبو حمّو في هذه الجمل أداة النفي (ما) هذه المرّة مع الفعلين إنزجرت وقبلت، ليستدل بأسلوب النفي على اصرار نفسه على المعاصي والذنوب، وقد ساعد أسلوب النفي الشاعر على تأكيد ندمه على ما فرط في حقّ الله ورغبته الشديدة و الصادقة في التوبة والأوبة إليه عزّ وجلّ، لكن نفسه الأمّارة بالسوء لم تنتبه بعد إلى عظيم جرمها وتقصيرها، خاصة وأنّ القلب المنغمس في شهواته يساعدها في غيها، إنّ ندم الشاعر لشديد تترجمه دموع لم يستطع أن يوقفها تخرج مصاحبة لحرق تلفح صدره، وها هو نذير

¹ - موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان - المصدر السابق - ص 29.

² - المصدر نفسه - ص 24.

الشيب قد لاح يذكره موعدا للحساب قد اقتربا لعلّ نفسه تتعظ، فتسارع راجعة إلى خالقها مستغفرة تائبية، فتطوي صفحة في الماضي كانت مظلمة، لتفتح صفحة أخرى تكون مشرقة في أيامها القادمة.

2-3- الجملة الفعلية المضارعة:

ونقصد بها الجملة التي تصدرها فعل مضارع والفعل المضارع هو «ما دلّ على حدوث في زمن المتكلم أو بعده نحو: يقرأ، يكتب»¹.

يقول أبو حمّو في بعض شعره²:

أَحْمِي الْمَظْلُومَ وَأَنْصُرُهُ	::	وَأَقِيمُ الْحَقَّ بِلَا مَلَلٍ
أَنْزَلْتُ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ	::	وَتَرَكْتُ الظَّالِمَ فِي وَجَلٍ
أَحْنُو لِلطِّفْلِ كَوَالِدِهِ	::	وَأَسُوقُ الشَّيْخَ عَلَى مَهَلٍ
وَالرَّفْقُ كَذَلِكَ مِنْ شِيَمِي	::	وَالْعَدْلُ بِهِ أُعْطِيَ أَمْلِي
وَأُنَيْلُ الْقَاصِدِ حَاجَتَهُ	::	وَأُنَيْلُ الْمَالِ بِلَا مَلَلٍ

وقد جاء النظام التركيبي للجمل السابقة كالاتي:

فعل مضارع(أحمي)+فاعل(أنا، ضمير مستتر)+مفعول به(المظلوم-اسم ظاهر)

فعل مضارع(أنصر)+فاعل(أنا، ضمير مستتر)+مفعول به(الهاء، ضمير متصل).

فعل مضارع(أحنو)+فاعل(أنا، ضمير مستتر)+جار ومجرور.

فعل مضارع(أسوق)+فاعل(أنا، ضمير مستتر)+مفعول به (الشيخ).

فعل مضارع(أنيل)+ فاعل(أنا، ضمير مستتر)+مفعول به أول(القاصد)+ مفعول به

ثاني(حاجة)+مضاف إليه(الهاء، ضمير متصل).

فعل مضارع(أنيل)+فاعل(أنا، ضمير مستتر)+مفعول به(المال).

¹-أحمد الحملاوي-شذا العرف في فن الصرف، قدم له وعلق عليه محمد بن علي المعطي-دار الكيان للطباعة والنشر والتوزيع ب-الرياض، د. ت-ص56.

²-موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان-واسطة السلوك-ص25.

نلاحظ استخدام الشاعر للجمل الطويلة وذلك مرتبط بحاجته لتأكيد المعنى وتوضيحه، إذ أنّ أبا حمّو يرى في نفسه أهلاً للحكم قادراً على أعبائه بل ويرى في نفسه الشخص المناسب لإدارة شؤون المملكة، وذلك لما تمتع به من خصال وشمائل، وما هو يثني على نفسه لأنّه ناصر المظلوم وحاميه، العارف بأقدار الناس فينزل كلّ واحد منهم منزله اللائق به؛ كما أنّه سعى إلى إقامة الحقّ بين رعيته بصدق فينظر في حاجاتهم فيقضيها، ويبذل المال في ذلك دون تفتير أو ملل، ولا ينسى أن يذكر جانب الإنسان فيه الذي لا يقلّ تميّزاً عن الملك، فهو رفيق بالناس رقيق في تعامله معهم، يحنو على الصغير ويحترم شبيبة الكبير؛ لقد ساعد الفعل المضارع الشاعر لإيصال كلّ هذه الصفات إلى المتلقي، حتى يمكنه من رسم صورة كاملة عن شخصية الشاعر، ملكاً وإنساناً.

ويقول الشاعر في أبيات أخرى مستعملاً دائماً الفعل المضارع:

أَحْنُ إِلَى الْفَجْرِ عِنْدَ الطُّلُوعِ	::	لِلشَّمْسِ حِينَ تُورِمُ الْغُرُوبَا
إِذَا هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ طَيْبَةٍ	::	تَعَطَّرَتِ الْأَرْضُ مِسْكَاً وَطَيْبَا
فَأَصْنُبُو إِلَيْهَا وَمَنْ أَجْلِهَا	::	أُحِبُّ الصَّبَا وَأُحِبُّ الْجُنُوبَا
تَهَبُّ النَّوَاسِمُ مِنْ أَرْضِهَا	::	فَيَزِدَادُ نَارُ اشْتِيَاقِي لَهِيَا ¹ .

وقد جاء تركيب الجمل الفعلية المضارعة كالاتي:

فعل مضارع(أحنّ)+فاعل(أنا، ضمير مستتر)+مفعول به(إلى الفجر، جار ومجرور)+متممات (عند الطلوع شبه جملة ظرف)

فعل مضارع(تورم)+فاعل(هي، ضمير مستتر)+مفعول به(الغروب)

فعل مضارع(أصبو)+فاعل(أنا، ضمير مستتر)+مفعول به(إليها، جار ومجرور)

فعل مضارع(أحب)+فاعل(أنا، ضمير مستتر)+مفعول به(الجنوب).

فعل مضارع(تهبّ)+فاعل(النواسم+جار ومجرور(من أرضها)

فعل مضارع(يزداد)+فاعل(نار)+مضاف إليه(اشتياعي)+تميّز(لهييا).

¹موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان - المصدر السابق -ص195.

استعمل الشاعر الفعل المضارع ليستدل به على ارتباطه بطيبة وكيف لا وهي مرقدته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودار هجرته ومنبت الدولة الإسلامية، هذا الارتباط الذي جعله يشعر بوجوده هناك في طيبة ويشعر بالمقابل بكل ما يأتي منها، هو حب وشوق وحنين أعْي قلب أبي حمّو وجاءت الأفعال المضارعة (أحنّ - أصبو - أحبّ - يزداد نار) لتأكيد ذلك، حتّى أنّه صار يتمثل ريح طيبة تصلّ إليه في المغرب بل ويشم لها عطرًا طيبًا يزين الأرض بريح المسك، وكلّما وصله هذا العطر الطيبّ يلهب قلبه شوقًا وحنينًا.

2-4- الجملّة الفعلية المضارعة المنفية:

أ- النفي بـ"لم": تعددت الأبيات المنفية بـ"لم" في شعر أبي حمّو ومن بينها قوله¹:

لَقَدْ أَسْلَمُوهَا عُنُوَّةً دُونَ عُدَّةٍ .: وَقَدْ طَلَّفُوهَا بِالْقَنَا وَالصُّوَارِمِ
وَلَمْ يُغْنِهِمْ مَا شَيَّدُوا مِنْ مَعَاقِلَ .: لَمْ يُجِدْهِمْ مَا حَصَّنُوا مِنْ مَعَاصِمِ

وتتمثل البنية التركيبية للجملتين السابقتين كالتالي:

أداة النفي (لم) + فعل (يغن) + فاعل مؤخر (ما شيد وأمن معاقل، جملة موصولة) + مفعول به مقدم (هم، ضمير متصل).

أداة النفي (لم) + فعل (يجد) + فاعل مؤخر (ما حصنوا من معاصم، جملة موصولة) + مفعول به مقدم (هم، ضمير متصل).

لقد ساعد النفي الحاصل في الأبيات السابقة الشاعر على الافتخار بنصره على أعدائه، الذين انهزموا أمامه شرّ هزيمة جعلتهم يسلّمون تلمسان بقوة النار والحديد وبالرغم من تحصنهم بأسوار المدينة وما شيدوه من معاقل، انكسرت شوكتهم أما إصرار أبي حمّو على النصر ورغبته الشديدة في العودة إلى مدينته وإلى كرسيّ عرشه، ولقد أثبت النفي بـ"لم" عجز المرينيين عن صدّ جيوش أبي حمّو، فقد باعت محاولاتهم بالفشل الذريع.

ويقول الشاعر في أبيات أخرى مستعملًا النفي بـ"لم":

وَبَعَثْتُ رِسَالَةً مُكْتَتَّبًا .: لِشَفِيعِ الْعَرَبِ مَعَ الْعَجَمِ

¹ موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان - المصدر السابق - ص 41.

أَرْجُو فِي الْحَشْرِ جَوَائِزَهَا :: مِنْ خَيْرٍ وَفِي بِالذَّمِّمْ
نَدَمِي إِذَا لَمْ أَعْمَلْ قَدَمِي :: عَوْضَ الْقَرْطَاسِ مَعَ الْقَلَمِ¹.

وجاء البناء التركيبي للجملة السابقة كالآتي:

أداة النفي (لم) + فعل (أعمل) + فاعل (أنا، ضمير مستتر) + مفعول به (قدمي).

يبدو جلياً حزن الشاعر الشديد لأنه لا يستطيع أن يزور البقاع المقدسة حاجاً، بسبب المعوقات التي تقف حائلاً بينه وبين ذلك، وعلى رأسها أعباء الحكم والسلطة، وحالة اللااستقرار الأمني الذي تعرفه حدود دولته؛ لذلك يجد نفسه مكتئباً، يشعر بالندم لعجزه عن الالتحاق بركب الحجاج فيستخدم النفي بـ"لم" ليبيّن أنه غير قادر على أعمال قدميه للوصول هناك، وعليه، لا يجد غير رسالة مشوّق، مثقل بالأحزان والندم يبعث بها إلى الحبيب المصطفى علّها تخفف عنه القليل مما يعانيه.

ب- **النفي بـ"لا":** ومن نماذج ذلك قول الشاعر²:

عَلَى هَيْكَلِ عَبْلُ الذَّرَاعَيْنِ هَاضِمٍ :: قَطَعْتَ الحِمَادَى وَالسَّرَابَ غَدِيرُهَا
مَفْرّاً إِذَا طَأَلَتْ عِظَامُ الهَزَائِمِ :: مَكْرٍ بِيَوْمِ الحَرْبِ لَأَيُّ شَتْكِي الوَنَى

ويتمثل البناء التركيبي للجملة المنفية كالآتي:

أداة النفي (لا) + فعل (يشتكى) + فاعل (هو، ضمير مستتر) + مفعول به (الونى).

يريد الشاعر أن يبرهن على قوته وتماَم استعداده لمواجهة أعدائه، لذلك يستخدم الجملة المنفية بـ "لا" مؤكداً من خلالها أنّ حصانه قويّ لا يعرف التعب، متمرس في الحرب لا يهاب أهوالها، قد قطع به طول الصحراء وعرضها جامعا شتات جيشه، زاحفاً نحو أعدائه من أجل استرجاع ملكه الضائع من بين يدي غصابه.

وفي موضع آخر يقول أبو حمو مستعملاً النفي بـ"لا":

وَهَذَا نَذِيرُ الشَّيْبِ لِأَخٍ بِمَفْرِقِي :: يُذَكِّرُنِي حَوْفًا وَيُنْجِرُ لِي وَعَدَا

¹ -موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان -المصدر السابق -ص30.

² -المصدر نفسه -ص37.

هَوَيْتُ مِنَ الدُّنْيَا زَخَارِفَهَا التِّي .: بَفَرَطِ هَوَاهَا لَا أُطِيقُ لَهَا رَدَا
شَغَفْتُ بِهَا دَهْرًا وَلَمْ أَدْرِ مَا مَضَى .: وَقَدْ بَدَّلْتُ مِنْ بَعْدِ قُرْبٍ لَهُ بُعْدًا¹.

وقد جاء البناء التركيبى للجملة المنفية كالآتي:

أداة النفي(لا)+فعل(أطيق)+فاعل(أنا، ضمير مستتر)+جار ومجرور(لها)+مفعول به(ردا). يستعمل الشاعر الجملة المنفية ب(لا)(لا أطيق لها ردا) للدلالة على عجزه أمام زخارف الحياة الدنيا إذ لا يستطيع ردها أو الابتعاد عنها؛ بسبب تعلق قلبه بها وبغيها، هذه الدنيا التي أحبها وشغف بها لدرجة أنه نسي نفسه وما ينتظره من حساب بين يدي المولى عز وجل حتى أتاه الشيب من بين مفرقيه يذكره ما قد نسيه ويذكره بما ينتظره من عقاب، ويؤكد له أنما بقي من أيامه أقل مما قد مضى، عله يسارع في توبة تترجمها رغبة صادقة تكون مبدوءة بتطبيق للدنيا ومباهجها.

3-الجملة الشرطية:

الشرط هو «تعليق شيء بشيء بحيث إذا وجد الأول وجد الثاني»².

وتتكون الجملة الشرطية من عبارتين مرتبطتين في المعنى، لا غنى للأولى عن الثانية، وهما جملتا الشرط وجوابه، وتكونا فعليتان أو فعلية مع اسمية.

3-1- أدوات الشرط الجازمة:

أنماط "إن" الشرطية: وهي أداة شرط جازمة تدل على الاستقبال، وردت في شعر أبي حمو ست مرات (06) بنسبة (42,85%).

النمط الأول: أداة الشرط(إن)+عبارة الشرط(فعلها ماض)+عبارة الجواب(فعلها مضارع).

وَأِنْ بَرَّقَتْ مِنْ أَرْضٍ نَجِدُ بَوَارِقُ .: تُذَكِّرُنِي عَهْدَ الْهَوَى وَالْهَوْدِجِ³.

(إن) شرطية جازمة؛ وفعل الشرط فعل ماض(برقت)، وفعل جواب الشرط فعل مضارع(تذكرني)، لقد جاءت عبارتا الشرط مختلفتين في زمن الفعل ففعل الشرط ماض

¹موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان-المصدر السابق -ص199.

²الجرجاني- التعريفات-تحقيق: إبراهيم الأبياري-دار الكتاب العربي-بيروت-2002-ص106.

³موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان-المصدر نفسه -ص198.

وفعل الجواب مضارع؛ وقد استخدم الشاعر الجملة الشرطية للدلالة على تعلّق قلبه بنجد ورحابها، إذ كلّما خطرت بباله تذكر عهد الهوى بها وأيّ هوى أغلى من حبّ الرسول صلّى الله عليه وسلم، وجاء أسلوب الشرط هنا للمقابلة بين التذكّر وإزدياد الحنين والشوق للبقاع المقدسة.

النمط الثاني: أداة الشرط(إن)+عبارة الشرط(فعلها ماض)+عبارة الجواب(فعلها مضارع جاء على صيغة الأمر).

وَأِنْ جِئْتَ أَرْضًا بِالْحِجَازِ عَرَفْتَهَا .: فَاسْقِ تَرَاهَا بِالدُّمُوعِ الْمَوَارِجِ¹.

(إن) شرطية جازمة، وفعل الشرط فعل ماض(جئت) وعبارة جواب الشرط فعلها مضارع جاء على صيغة الأمر، وقد جاءت جملة الشرط وجوابها مختلفتان في زمن الفعل، الأولى فعلها ماض والثانية فعلها أمر، وقد اقترنت جملة جواب الشرط بالفاء؛ لأنها جملة طلبية، وقد استعمل أبو حمّو أسلوب الشرط لبيّن العلاقة القائمة بين وصول الحجاج إلى أرض الحجاز وبين إنهمار الدمع من عينيه بسبب شوقه الشديد إلى تلك البقاع المقدسة فجاءت العلاقة بين الشرط والجواب علاقة ارتباط وتلازم إذ أنّ الثانية نتيجة حتمية للأولى.

النمط الثالث: أداة الشرط(إن)+عبارة الشرط(فعلها مضارع)+عبارة الجواب(فعلها مضارع).

¹موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان-المصدر السابق -الصفحة نفسها.

وَأِنْ تَرَحَّمُوا تَرَحَّمُوا صَبَّكُمْ .: فَظِلُّ رِضَاكُمْ يُغْطِي الْعُيُوبًا¹.

(إن) شرطية جازمة، وفعل الشرط فعل مضارع(ترحموا)، وجملة جواب الشرط جاءت جملة فعلية؛ فعبارتا الشرط والجواب وقعتا على نفس المنوال، ويقرن الشاعر بين شرط الرحمة من المحبّ للمحبوب رحمة تصيب عاشقا مولعا، تغطي أيّ عيب أو نقص قد يعاني منه هذا المحبوب.

3-2- أدوات الشرط غير الجازمة:

أنماط "إذا" الشرطية: وهي أداة شرط «تتسلخ عن الظرفية لتؤدي وظيفة الربط والتعليق»². وقد وردت "إذا" سبع (07) مرات في شعر أبي حمّو بنسبة (50%).

النمط الأول: أداة الشرط(إذا)+عبارة الشرط(فعلها ماض)+عبارة الجواب(جملة فعلية فعلها أمر).

فِيَا حَادِي الْعَيْسِ نَحْوَى الْحَمَى .: إِذَا جِئْتَ ذَاكَ الْجِنَابِ الرَّحِيْبَا
وَزَادَ الْهَوَى حِينَ زَالَ النَّوَى .: وَجِئْتَ اللَّوَى وَاعْتَمَدْتَ الْكَثِيْبَا
لِقَبْرِ التُّهَامِي لِبَدْرِ التَّمَامِ .: لِخَيْرِ الْأَنَامِ شَفِيْعًا حَبِيْبَا
فَبَلِّغْ إِلَيْهِ سَلَامِي عَلِيْهِ .: فَإِنَّ لَدَيْهِ لِسَقَمِي طَبِيْبًا³.

(إذا) شرطية غير جازمة؛ وفعل الشرط ماض(جئت) وفعل جواب الشرط فعل أمر(فبَلِّغْ)، لقد جاءت عبارتا الشرط مختلفتين بين الماضي والأمر، فالشاعر باستخدامه الشرط يؤكد على صدق شوقه لقبر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لذلك يطلب من قائد القافلة التي تنقل الحجاج إلى البيت الحرام أن يبلغ سلامه للحبيب المصطفى فور وصوله إلى هناك علّه بذلك ينال الرضى فيجد لسقمه علاجاً؛ سقم اعتل منه الجسم كان الشوق

¹ موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان-المصدر السابق-ص195.

² سناء حميدات البياتي-قواعد النحو العربي(في ضوء النظم)-دار وائل للنشر والتوزيع كتب عمان-الأردن- ط1- 2003-ص357.

³ موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان -المصدر نفسه-الصفحة السابقة.

للنبي الكريم سببا فيه، لذلك يرجو الشاعر أن يكون سلامه ذاك سببا في شفائه مما يعانيه.

النمط الثاني: أداة الشرط(إذا)+عبارة الشرط(جملة فعلية فعلها ماض)+عبارة الجواب(جملة فعلية فعلها ماض).

إِذَا ذَرَفْتُ عَيْنَيَّ زَادَ تَفْكَرِي .: وَتَعْظُمُ أَفْكَارِي وَوَجْدِي أُوَاجِدًا¹.

(إذا) شرطية غير جازمة؛ وفعل الشرط ماض(ذرفت) وفعل جواب الشرط أيضا ماض(زاد)، نلاحظ أنّ جملتي الشرط جاءتا متشابهتين فكلاهما كان فعلها ماض؛ هو شوق كبير ذاك الذي يعانيه الشاعر؛ جعله لا يتحكم في إنهمار دموعه، وكلّما ابتلت وجنتاه بالدمع زاد تفكره فيزداد شوقه، وكأنّ الأمر بمثابة دائرة متصلة فكل حدث يسبب الآخر؛ فالشوق يجري الدموع والدموع تزيد الفكر، وهذا الأخير يلهب الشوق مرّة أخرى، وقد ساعد الشرط الحاصل في الجملة المعنى تأكيدا والدلالة توضيحا.

النمط الثالث: أداة الشرط(إذا)+عبارة الشرط(جملة فعلية فعلها ماض)+عبارة جواب الشرط(جملة فعلية فعلها مضارع).

رَجَالٌ إِذَا جَاشَ الْوَطِيسُ تَرَاهُمْ .: أَسْوَدَ الْوَعَى مِنْ كُلِّ لَيْثٍ وَضَارِمٍ²

(إذا) شرطية غير جازمة؛ وفعل الشرط ماض(جاش)، وفعل جواب الشرط مضارع(تراهم)، لقد وردت جملة الشرط والجواب بزمنين مختلفين فالأولى في الزمن الماضي والثانية في المستقبل القريب، وهذا ما أدى إلى تواصل بين دلالة الزمنين، إذ جاء فعل الشرط ماضيا لأنّ رجال أبي حمّو الشجعان لا يهابون المعارك إذا اشتدّت؛ لفرط شجاعتهم وشدة بأسهم ولما مرّ عليهم من معارك قاسية صقلت قوتهم؛ وزادت في خبرتهم، والزمن في جملة الجواب يحقق امتدادا في الدلالة بين الحدثين؛ ليقول أنّ رجال أبي حمّو لا يزالون على قوتهم المعهودة بحيث ترام كالأسود يصلون ويجولون في ميدان المعارك.

¹ -موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان-المصدر السابق -ص199.

² -المصدر نفسه -ص37.

النمط الرابع: أداة الشرط(إذا)+عبارة الشرط(جملة إسمية منسوخة منفية)+عبارة جواب الشرط(جملة إسمية تعجبية).

إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَرْءِ سَعْدٌ مُسَاعِدٌ .: فَمَا يُغْنِي إِعْدَادُ الْجُيُوشِ الْخَضَارِمِ¹.

(إذا) شرطية غير جازمة؛ وجملة الشرط إسمية منسوخة فعلها مضارع(يكن) وجملة جواب الشرط إسمية تعجبية تتكوّن من ما التعجبية وخبرها، وجاء الشرط هنا ليؤكد أن العتاد والأجناد والحكمة السياسية لا تكفي دائما في خوض الحروب، فالإنسان قد يخسر حربه مع توفر كلّ ما سبق ذكره، ولا يكون نصر في رأي الشاعر إلاّ إذا كان للمرء نصيب من الحظ يمكنّه من تحقيق النصر؛ إذا جعل أبو حمّو شرط توفر السعد ضروريا لينال المرء مراده.

4- الجملة الإنشائية:

التركيب الإنشائي هو «كلام لا يحتمل الصدق والكذب»². وذلك لأنه «لم يفد المخاطب أمرا تم إحداثه في زمن ماض أو في زمن دائم؛ أو سيتم إحداثه في زمن آت»³؛ وكون الأسلوب الإنشائي لا يحتمل التصديق أو التكذيب مردّه إلى ضرورة النظر إلى ذات الأسلوب فيه ولا يهمننا ما يستلزمه⁴. وذلك على عكس الأسلوب الخبري الذي يهتم فيه بالنظر إلى نوع الخبر الذي تحمله الجملة الخبرية. ويتكون التركيب الإنشائي من نوعين:

الإنشاء الطلبي:

وهو ما تضمن طلبا غير حاصل وقت الطلب؛ وهو خمسة أنواع: الأمر والنهي والاستفهام والتمني والنداء⁵.

الإنشاء غير الطلبي:

¹ موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان-المصدر السابق -ص31.

² أحمد مصطفى المراغي-علوم البلاغة(البيان والمعاني والبديع)-المكتبة العصرية-بيروت-لبنان-ط1-2004-ص53.

³ مهدي المخزومي-في النحو العربي(قواعد وتوجيه)، دار الرائد العربي-بيروت-ط2-1986-ص165.

⁴ انظر: عبد العزيز عتيق-علم المعاني-ص66.

⁵ انظر: المرجع نفسه- نفس الصفحة.

وهو ما لا يستدعي مطلوبا ويتحقق بصيغ مختلفة: أفعال الرجاء وصيغ العقود، والتعجب والمدح والذم والقسم، ومن خصائص الأسلوب الانشائي إثارته للانفعال في نفس المتلقي واختصاصه بالكثير من الدلالات البلاغية، «بخلاف الأساليب البلاغية الخبرية؛ لأنّ هذه الأخيرة لا تثير إنفعالا، ولا تحرك النفس»¹.

وعليه نجد الأساليب الانشائية قد حازت على اهتمام البلاغيين والدارسين لما فيها من حيوية وإنفعال، ولذلك رأينا أن ننظم إلى أولئك المهتمين من خلال دراسة الجملة الانشائية الطليبية في شعر أبي حمّو.

4-1- الجملة الاستفهامية:

هي ما كان صدرها إحدى أدوات الاستفهام، ويقصد به «طلب خبر ما ليس عند المستخبر² وهذا يعني أنّ المستفهم يكون جاهلا للأمر، وهو يريد طلب المعرفة حتى تتشكل صورة كاملة في ذهنه.

لقد وردت الجملة الاستفهامية في شعر أبي حمّو سبعا وعشرين مرة بنسبة (60%).

أ- الاستفهام ب(من):

«ويطلب بها تعيين الزمان ماضيا كان أو مستقبلا»³.

ومن بين ما قاله أبو حمّو مستفهما ب:

مَنْ يُنْقِذُنِي مَنْ يُسْعِدُنِي .: مَنْ يَرْحَمُنِي مَنْ يَغْفِرُ لِي⁴.

(من) اسم استفهام متبوع بفعل مضارع (ينقذني)، (من) اسم استفهام متبوع بفعل مضارع (يسعدني)، (من) اسم استفهام متبوع بفعل مضارع (يرحمني)، (من) اسم استفهام متبوع بفعل مضارع (يغفر)، نلاحظ أنّ الشاعر كرر نفس التركيبة الاستفهامية أربع مرات على التوالي، وذلك لحرص الشاعر على تقوية دلالة ما يقوله، فو يريد أن يبيّن حالة

¹ -قطبي الطاهر- بحوث في اللغة والاستفهام البلاغي، ديوان المطبوعات الجامعية-ط2-1994-ص64.

² -ابن فارس، الصحابي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها-تحقيق: عمر فاروق الطباع-ط1-مكتبة المعارف، بيروت-1993-ص186.

³ -عبد العزيز عتيق- علم المعاني-ص90.

⁴ -موسى بن يوسف أبو حمّو بن يوسف-واسطة السلوك-ص24.

الهلح التي يعيشها جراء تعاضم ذنوبه، وشدة خوفه من المولى عزّ وجلّ؛ وقد استخدم الفعل المضارع الذي يدلّ على المستقبل القريب؛ ليشير أنّ حاله قد تغيّر الآن فالمعاصي كانت في الزمن الماضي، أما الآن فهو يبحث عن طريق ليكفر بها عن ذنوبه وينال بها رضى المولى عزّ وجلّ، فجاء الاستفهام ليوضح تغير حال الشاعر إلى الندم والتوبة بدل الذنوب والمعاصي، وقال الشاعر أيضا مستفهما باستخدام (من):

هُوَ الرَّحْمَةُ الْهَادِي الْمُشْفَعُ فِي غَدٍ .: هُوَ الْمَصْطَفَى الْمُخْتَارُ يُلْهِمُنَا الرُّشْدَا
هُوَ الذُّخْرُ لِلْهُولِ الشَّدِيدِ إِذَا أَتَى .: وَمَنْ ذَا سِوَاهُ لِلْمَخَافِ إِذَا إِشْتَدَّ¹.

(من) اسم استفهام متبوع باسم إشارة (ذا) وبعده بدل (سواه) متبوع بجار ومجرور (للمخاف)، وقد جاءت الجملة الاستفهامية جوابا للجملة الشرطية (إذا اشتدا)، وقد جاء الاستفهام لبيّن عظمة الرسول صلّى اله عليه وسلم الذي أعطاه المولى عزّ وجلّ قدرا لم يعطه أحدا غيره ممن خلقه فهو الذي يشفع في البشرية يوم القيامة حتّى يبدأ الله تعالى حساب الناس؛ وهو صلّى الله عليه وسلم أيضا من يشفع في أمته يوم الهول العظيم، فمحبتة عليه السلام واتباع هديه هو الذخر الحقيقي الذي يجب على كلّ مسلم أن يملكه، حتّى ينال به رضى الله عزّ وجلّ وشفاعة نبيّه صلّى الله عليه وسلم.

ب- الاستفهام بالهمزة:

«مثل أخالد فاز أم أسامة؛ فالسائل يعرف النسبة التي تضمنها الكلام ولكنّه يتردد في شيئين؛ ويطلب تعيين أحدهما»²؛ مما تميّز به عن باقي أدوات الاستفهام انه يمكن ذكرها أو حذفها، ويمكن أن تدخل على الجملة الاسمية أو الفعلية، كما تدخل على الجملة المنفية أو المثبتة.

ومن أمثلة الاستفهام باستعمال الهمزة في شعر أبي حمّو، قوله³:

لُبَانَةٌ دَهْرِيْ قَدْ نَقَضَتْ وَقَدْ مَضَتْ .: وَجَيْشُ شَبَابِي بِالْمَشِيبِ لَقَدْ قُدَّ

¹-موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان- المصدر السابق -ص200.

²-عبد العزيز عتيق-علم المعاني-ص90.

³-موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان-المصدر نفسه -الصفحة نفسها.

هُوَ الذُّخْرُ لِلْهَوْلِ الشَّدِيدِ إِذَا أَتَى .: أَيَرْجِعُ مَرُّ الْعَيْشِ مِنْ بَعْدِهِ شَهْدًا.

الهمزة أداة الاستفهام، وفعلها مضارع وجاء بعده فاعل (مرّ) وتُبع بمضاف إليه (العيش) متبوع بجار ومجرور (من بعده) ثم تمييز (شهدا)؛ وقد جاء الاستفهام في هذه الحالة عن المسند (الفعل) لأنّ أبا حمّو مشكك في رجوع حاله كما كان في عهد شبابه، لأنّ الزمن لا يعود إلى الوراء؛ وهل من المنطقي أن تؤول الكهولة والشيوخة إلى شباب؟ وإنّما أراد الشاعر بهذا الاستفهام تبين عميق أسفه على عهد الصبا الذي مضى وانقضى دون رجعة؛ أخذًا معه زهرة الشباب بقوتها وبهجتها وحلاوة العيش التي كان يجدها الشاعر في سائر أيامه؛ لكن هيهات أن يكون ذلك، وهذا ما جعل الشاعر يشعر بالمرارة والحزن المصحوبان بالأسف الشديد.

ج- الاستفهام ب"هل":

وهي حرف يفيد أنّ السائل جاهل بالحكم مثل «هل ينام الطيور في الليل-السائل لا يتردد في معرفة مفرد من المفردات ولكنه متردد في النسبة أمثثة أم منفية»¹.

يقول الشاعر مستفهما:

جَفَانِي الْحَبِيبُ فَسَّرَ الْحَسُودُ .: أَدْنَى الْبَعِيدِ وَأَقْصَى الْقَرِي

فِيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ عَطْفَةٌ .: بِوَصْلِ وَعَيْشٍ يَكُونُ خَصِيْبًا².

(هل) أداة استفهام تليها جملة اسمية (عطفة بوصل) مركبة من مبتدأ وخبر جار ومجرور، والأصل أن تقترن (هل) بالفعل سواء لفظا أو تقديرا، وذلك لاختصاصها بالتصديق وتخليصها المضارع للاستقبال؛ فإن جاءت مقترنة بالجملة الاسمية أفادت أنّ ما سيحصل كأنه حاصل فعلا؛ وأنّ الحياة تغيّر حالها بعد وصل الحبيب فصارت أجمل وأروع في عيني الشاعر، بعد أن كانت الكآبة لونا لحياته؛ وبعد ما قاساه من آلام ولوعة بسبب جفاء الحبيب وإبتعاده عنه، والشاعر من خلال إستخدامه للاستفهام يظهر أنّه لا يعرف أيجود الحبيب المنشود بالقرب والوصل فتتغير ملامح حياته للأحسن.

¹- عبد العزيز عتيق-علم المعاني- ص90.

²- موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان-واسطة السلوك -ص194.

د - الاستفهام بـ"كيف":

«ويطلب بها تعيين الحال¹ وهي ترتبط بالسؤال عن الأحوال إجمالاً.

وقد وردت في قول الشاعر:

إثمي كَثْرًا؛ شَيْبِي ظَهَرَا — رَا .: وَقَدْ إِشْتَهَرَا وَالْأَمْرُ جَلِّي

فِي الْقَلْبِ شَجِي كَيْفَ الْمُنْجَى .: لِمَنْ الْمَلْجَا بَارَتْ حَيْلِي².

(كيف) اسم استفهام يليه مبتدأ مؤخر (المنجى)، حيث جاءت الجملة الاستفهامية متكونة من خبر مقدم (كيف) ومبتدأ مؤخر (المنجى)، والشاعر من خلال هذه الجملة الاستفهامية يبدي خوفه من كثرة ذنوبه و عظمتها، ومن ظهور الشيب وانتشاره، هذا الشيب الذي جاء معلنا إقتراب ما كان يخاله الشاعر بعيدا؛ وهو إقتراب الأجل، وعليه هو يعيش حالة هستيرية من الخوف الممزوج بالندم، لا يعرف لمن يلجأ هاربا مما هو عليه من عظمة الذنوب والمعاصي.

يمكن القول أنّ الجملة الاستفهامية في شعر أبي حمّو جاءت متنوعة، استخدم فيها الشاعر أغلب أدوات الاستفهام؛ كان على رأسها (من)، ثم تليها الأدوات الأخرى (هل، أ، كيف)؛ وهذا ما كشف عن حالة القلق والحيرة التي كان يعيشها الشاعر أحيانا، وتنوعت دلالة الاستفهام وفقا لشكل التركيب المستعمل وبحسب دلالة كل أداة، أما طول الجمل فقد جاء متنوعا بين الطول والقصر مرتبطا بدلالة الاستفهام وموضوعه؛ كما تنوع المستفهم منه؛ لكنه كان غالبا المخاطب المفرد، كما أنّ المستفهم منه لم يخرج عن الذات الشاعرة في كلّ الجمل الاستفهامية.

4-2 - الجملة الأمرية:

¹ عبد العزيز عتيق - علم المعاني - ص 90.

² موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان - واسطة السلوك - ص 24.

إنّ محبة المسلمين لنبيهم صلى الله عليه وسلم لعجبية لا يستطيع المرء ادراك كنهها ولا مدى حجمها، خاصة أهل المغرب الاسلامي، ولعلّ بعد المسافة عن تلك البقاع المقدسة هو أحد الأسباب في هذا الشوق الدائم، ولذلك كان المغاربة أكثر المسلمين احتقالا بالمولد النبوي الشريف وكانت احتفالاتهم تلك الأكثر ضخامة والأحسن تجهيزاً، وقد كان أبو حمّو على رأس أولئك الملوك الذين أبدعوا في الاحتفال، وكذلك كان من الشعراء الذين أبدعوا في شعر المولديات؛ ومما قاله في إحدى قصائده:

أَلَا يَا رَبِّيعَ الْخَيْرِ لَأَزِلْتَ رَائِبًا فَقَدْ جِئْتَ بِالرُّحْمَى وَخَوْلَتْنَا سَعْدًا
لَكَ الْمَجْدُ صُلٌّ وَأَفْخَرُ عَلَى الْحَوْلِ كُلِّهِ فَأَنْتَ لَنَا عِيدٌ نُوفِي لَكَ الْعَهْدًا¹

يحب أبو حمّو شهر ربيع الأول؛ وينعته بالجمال، ويرى أنّه شهر الخير كلّه جاء بالرحمات لكلّ الكائنات وكان مبشرا بسعد لن ينقضي؛ لذلك نراه يمجّده ويثني عليه؛ ويرى أنّه عيد لكلّ المسلمين الذين ينتظرون قدومه بكل فرح وسرور، ويشير الشاعر بقوله (لك العهد) إلى الاحتفالات التي يعدها لآحياء ليلة ميلاد المصطفى صلى الله عليه وسلم، وعليه، و يأمر الشاعر هذا الشهر الفضيل بأن يصلي لله شكرا أن اختاره المولى عزّ وجلّ ليضمّ ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم ، كما يأمره بالفخر طول الحول بهذا الشرف العظيم الذي خصه به المولى تعالى دونا عن كلّ أشهر السنة، وكذا جاء الأمر مناسباً للموضوع ،خدم المعنى وقام بتقوية دلالة الأبيات الشعرية.

يخاف الشاعر من عقاب الله تعالى، ومن سوء مصيره بسبب تقصيره في حقّ الله عزّ وجلّ، وهو حال جميع الناس الذين يعرفون حقّ الله عليهم، لكنهم ينساقون إلى متع الحياة الدنيا وزخارفها المبهجة، ويضعفون أمام شهوات النفس الأمارة بالسوء، فيمضي بهم العمر بين هفوة، وذنوب، وتقصير وجرم ولا يستفيقون من سكرتهم إلاّ ونذير الشيب يذكرهم موعدا ليس ببعيد ويضرب لهم موعدا مع الحساب والجزاء، يقول أبو حمّو:

يَارَبِّ، ذُنُوبِي قَدْ عَظُمَتْ فَأَمُنُّ بِالْعَفْوِ لِمُجْتَرِمٍ²

¹ -موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان-المصدر السابق -ص200.

² -المصدر نفسه -ص29.

يدعو الشاعر متضرعا إلى ربّه، نادما حزينا على كلّ ما فرط فيه فيما مضى من أيامه؛ وهو يعترف بجرمه وبعضمة ذنوبه التي أثقلت قلبه اليأس؛ فيستعمل الأمر الذي يفيد الاستعطاف والترجي، خانعا؛ متذللا للمولى عزّ وجلّ علّه ينال بذلك عفوا ومغفرة ورحمة تصيبه من كريم رحيم.

ويقول الشاعر في موضع آخر مستعملا الأمر:

فَقُلْتُ يَا حَادِيًا وَالرُّكْبُ يَسْمَعُنِي .: رِفْقًا عَلَى الصَّبِّ يَا حَادِيَهُمْ فَأَبِي
مَرْجُتُ دَمْعِي دَمًا مِنْ بَعْدِ رِحْلَتِهِمْ .: فَأَنْظُرُ تَرَى عَجَبًا لِلدَّمْعِ مُخْتَضِبًا¹.

تمثل الأمر في فعل (أنظر)، والمأمور هنا غير واضح تمثل في الضمير المستتر (أنت)، يريد الشاعر أن يبرهن عن حزنه الشديد والألم الكبير الذي يمزق قلبه؛ لأنّه لم يلتحق بالركب المتجه صوب أعلى بلاد، بلاد الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم التي لم يستطع الذهاب إليها على كثرة شوقه وحنينه إليها لذلك ها هو يسعى وراء ركب الحجاج مناديا والكلّ يراه ويسمعه؛ باكيا مترجيا أن ينتظره الحادي؛ لكنّ هذا الأخير أبى ومضى في طريقه؛ مخلفا وراءه مشوقا؛ احرق الشوق قلبه، فسكب الدمع حارا غزيرا من شدة لوعته وحزنه؛ هذا الدمع الذي امتزج دما وهو يرى الركب يبتعد عنه، ف جاء الأمر مناسباً للفكرة التي يحملها البيت الشعري؛ عمل على تقوية المعنى، إذ أمر هذا المجهول أن يرى العجب يسيل من عينيه المختضبيتين بمزيج الدمع والدم، وهل هناك أقوى من هذا دليلا على صدق ألم الشاعر وعذابه.

جاء توظيف الجملة الأمرية مرتبطين مباشرة بالمعنى والدلالة، إذ احتلت الجملة الأمرية في شعر أبي حمو المرتبة الثانية إلى جانب النداء بعد الجملة الاستفهامية، وقد اعتمد تركيب الجملة الأمرية على صيغ (افعل)؛ وكان أغلب الأمر موجها إلى المأمور المفرد المذكر، وتراوح حجم الجملة الأمرية بين القصر والطول وذلك مرتبط بنوعية الخطاب وأهمية الطلب الذي يريد الشاعر أن يوجهه؛ والموضوع الذي يريد أن يعالجه،

¹ موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان - المصدر السابق - ص 198.

وكانت أغلب تلك الجمل تدور حول الشعر الديني؛ حيث استعملها الشاعر ليستدل بها على صدق مشاعره؛ وحالته النفسية.

4-3- الجملّة الندائيّة:

وهي ما سبقت بإحدى أدوات النداء الثمانية وهي: الهمزة وأيّ وتستعملان للنداء القريب، و(يا، وا، أيأ، هيا، آي، آ) وتستعمل للنداء البعيد، والنداء إجمالاً هو طلب إقبال المدعو (المخاطب) على الداعي (المتكلم) لغاية معينة باستعمال حرف يقوم مقام حرف النداء (أدعو) ويتضمن معناه¹، وقد تتغير دلالة الحرف من القريب إلى البعيد أو العكس بحسب ضرورة السياق.

ووردت الجمل الندائية في شعر أبي حمّو ثمان (08) مرات بنسبة (77, 17%).

ولقد تشكل النداء في شعره بعدة صور تختلف في تركيب عناصرها مما جعل أسلوب النداء متنوعاً، تعددت أشكاله ومعانيه.

يَا نَفْسُ خُدِّعِي بِزُخْرِفِهَا	::	كَمْ تَعْتَرِينَ بِهَا وَكَمْ
وَالْعَبْدُ بِبَالِكَ مُلْتَزِمٌ	::	وَبِغَيْرِ جَنَابِكَ لَمْ يَحْمِ
يَا رَبِّ، دُنُوبِي قَدْ عَظُمَتْ	::	فَأَمْنُنْ بِالْعَفْوِ لِمُجْتَرِمٍ ²

(يا) أداة نداء، والمنادى اسم مفرد (نفس)؛ وجملّة الجواب اسمية (كم تغترين)، (يا) أداة نداء، والمنادى اسم مفرد (رب)؛ وجملّة الجواب فعلية فعلها أمر (فامنن بالعفو)، بدأ الشاعر بجملّة ندائية وجهها لنفسه المذنبّة التي خدعتها الدنيا بزخرفها؛ فانسأقت وراء شهواتها مضيعة بذلك حقوق الله، وقد أراد من خلال هذا النداء أن ينبه نفسه من نهاية الطريق الذي تسلكه وعواقبه الوخيمة؛ ثمّ استعمل أبو حمّو نداء آخر يستعطف من خلاله المولى عزّ وجلّ؛ معترفاً بتقصيره و إثمه راجياً عفواً ورحمة من كريم منان لا يغلق بابه في وجه عباده التائبين النادمين؛ مهما كانت درجة الاجرام الذي بلغوه.

¹-أنظر: الخطيب القزويني-الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي-مكتبة الأزهرية للتراث- ط3-القاهرة-1993-ج3-ص91.

²-موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان-واسطة السلوك-ص29.

ومما قاله الشاعر أيضا مستعملا النداء:

يَا رَبُّ، إِنَّ لَمْ تَعْصِمْنِي .: مَالِي بِذُنُوبِي مِنْ عِصَمِ

كَمْ أَجْنِي الذَّنْبَ وَتُمْهَلْنِي .: وَتُقَابِلُ ذَلِكَ بِالنَّعَمِ¹

(يا) أداة نداء؛ والمنادى اسم مفرد (رب)، وجملة الجواب اسمية منفية (مالي من ذنوبي من عصم)، لا ينفك الشاعر يدعو ربه متضرعا متذللا وفي هذه المرة يستعمل النداء راجيا من المولى أن يعصمه من الذنوب لأنّ نفسه ضعيفة لا تملك قوّة الرفض أو الممانعة أمام زخرف الدنيا أو أمام شهواتها؛ وهو يعلم أنّه لا عاصم غير الله، لذلك دعا ربه طامعا أن يستجيب لندائه وهو على يقين بالإجابة وكيف لا، أليس هو سبحانه من يستر الذنوب ويمهل العبد؛ ويستمر في منح النعم على علمه بمعاصي عبده وهو القادر وحده أن يغفر ويتجاوز عن التائبين من عبده.

وفي موضع آخر يقول:

أَلَا أَيُّهَا النَّاعِي الْبَشِيرُ الَّذِي نَعَى .: أَمِيرَ مَرِيْنٍ حُزَّتْ أَسْنَى الْمَقَاسِمِ

لَقَدْ قَرَّبَ اللهُ الْبَعِيدَ بِهِلْكَه .: فَبُشْرَى بِالْخَيْرَاتِ يَا خَيْرَ قَادِمٍ².

(أيها) أداة نداء؛ والمنادى اسم مفرد (الناعي)، وجملة الجواب فعلية (حزت أسنى المقاسم)، (يا) أداة نداء، والمنادى اسم مفرد (خير)؛ وجملة الجواب تقدمت النداء، وهي جملة اسمية (فبشراك بالخيرات)، إنّه الحظّ المساعد الذي كان أبو حمو ينتظره؛ ففي خضم الاستعدادات الكبيرة التي كان يقوم بها؛ من جمع لشتات جيشه؛ وحصر للعتاد والعدة، من أجل السير نحو مدينته الحبيبة تلمسان في محاولة يائسة لاسترجاعها من بين يدي أعدائه الدائمين المرينيين؛ في خضم كلّ ذلك ها هو البشير القادم من الحبيبة تلمسان يبلغ أبا حمو خبرا يتلج صدره ويرفع من معنوياته؛ ويخفف عنه القليل مما يلاقه؛ وهو خبر وفاة الأمير المريني؛ هذا الخبر السار جعل الشاعر ينادي البشير منبها إيّاه أنّه قد حاز أعلى الدرجات عنده وصار من حاشيته؛ بل ويستخدم النداء الثاني على التوالي

¹ -موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان-المصدر السابق -ص29.

² -المصدر نفسه-ص39.

ليؤكد له أنه قد حضي برضاه ويبشره بالخيرات الكثيرة وبالنعيم، وفي استخدام الشاعر لنداءين متتالين دلالة واضحة على السعادة الغامرة التي شعر بها بعد سماعه خبر نعي الأمير المريني؛ فهو يرى في موته هدية من الله عزّ وجلّ تساعد تقريب البعيد وتيسير الصعب، ألا وهو استرجاع ملكه الضائع والعودة إلى عاصمة ملكه الحبيبة تلمسان. جاء استعمال أبي حمّو للجملة الندائية متميّزا؛ فقد وجّه نداءه للمخاطب للتبنيه تارة؛ وللفت إنتباهه تارة أخرى، وقد استعمل النداء بـ"يا" في جلّ شعره وذلك لأنها سهلة الاستعمال تستعمل للنداء البعيد أو القريب، وقد تنوع طولها حسب المقام الذي استعملت فيه؛ وقد جاء أغلب النداء للمولى عزّ وجلّ إذ أن النسبة الأكبر من الجمل الندائية كانت في الشعر الديني؛ وعليه كان محتما على الشاعر أن يخاطب ربّه مناديا في ترجي واستعطاف.

4-4- جملة النهي:

وهي الجملة التي تصدرتها "لا" الناهية متبوعة بفعل مضارع؛ وتقيد « طلب ترك الفعل على وجه الاستعلاء والالتزام»¹؛ ومن المعروف أنّ النهي يصدر ممن هو أعلى للذي هو أدنى لالزامه بالتنفيذ؛ غير أنّه يمكن أن يبتعد عن هذا المعنى الأصلي ليفيد دلالات جديدة بحسب السياق الذي وجد فيه.

ولقد ورد النهي في شعر أبي حمّو مرتين بنسبة (44, 04%).

وقد قال الشاعر مستعملا جملة النهي:

كَأثُوا وَكُنَّا وَحُكْمُ الدَّهْرِ فَرَقْنَا .: وَكَمْ عَسَى يَبْلُغُ الْإِنْسَانُ مَا طَلَبَا
وَهَكَذَا الدَّهْرُ مَا زَالَتْ عَوَائِدُهُ .: فَلَا تَثِقْ بِرَمَانٍ بَانَ أَوْ قَرَبَا².

(لا) أداة نهى وبعدها فعل مضارع (تثق) والمخاطب هنا غير محدد، ويأتي النهي في الزمن الحاضر يدلّ على الحال والاستقبال؛ لم يوجه الشاعر نهيه لمخاطب بعينه، بل جعله لكل الناس؛ إذ ينهاهم عن الثقة بالزمان وأحكامه، وهذا النهي جاء كخلاصة لتجربته

¹- أحمد مطلوب-معجم المصطلحات البلاغية وتطورها-مكتبة لبنان- ناشرون-ط2-1996-ص667.

²- موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان- واسطة السلوك - ص 197.

الخاصة؛ حيث ذكر ما جرى مع محبوبه؛ فقد كان الوصل والألفة يجمعانهما؛ ولحظات السعادة تلون أيامهما، غير أن الإنسان لا يبلغ دائما ما يأمل فيه فقد تدخل الدهر والزمن بينهما؛ فحولا قريهما بعدا ووصلهما جفاء، وهي حال الدهر في رأي الشاعر لا يفتأ ينغص لحظات السرور؛ فيحوّلها ألما وحرنا وشقاء وفي النهي دلالة واضحة عن حالة الأسى واللوعة التي يعيشها الشاعر بسبب افتراقه عن محبوبه وبعده عنه.

ويقول الشاعر أيضا مستعملا جملة النهي:

وَكَمْ سَحَبْتُ دُمُوعِي فِي الْهَوَى مَرَحًا .: وَكَمْ سَفَحْتُ دُمُوعِي بَعْدَهُمْ سَخَبًا
لَا تُنْكِرُوا حَالَ قَيْسٍ فِي مَحَبَّتِهِ .: إِنَّ الْهَوَى لَمْ يَزَلْ لِلْحَرِّ مُنْتَسِبًا¹

(لا) أداة نهي؛ والفعل مضارع (تنكروا)؛ والمخاطب غير محدد غير أنه جاء بصيغة الجمع؛ يشمل كل الناس؛ هو ينهى كلّ الناس من أن ينكروا صدق قيس في محبته، أو يستخفوا بالحبّ والمحبين، ويرى أن الهوى والعشق العذري ينتسبان دائما لكلّ حرّ، ويمثل بنفسه كم كان سعيدا بالهوى ينهل من معينه الصافي في لحظات الوصل والرضى وكم كانت معاناته شديدة؛ بعد تغيير حاله وإنقلاب الزمان عليه؛ إذ صار مولعا ممزق القلب لا يستطيع حبس دموعه لشدة عذابه، وقد جاء النهي ليؤكد ما ذهب إليه الشاعر من حقيقة وصدق ما يشعر به المحبون وما يعانونه في محبتهم.

إتخذ الشاعر النهي مطية للوصول إلى المعنى الذي يريده والفكرة التي يريد التأكيد عليها؛ وكان تركيب الجمل واحد؛ تمثل في استخدام (لا) الناهية مع الفعل المضارع؛ وقد كان الناهي واحدا دائما وهو الشاعر (المتكلم) أما المنهي (المخاطب) لا يظهر إلا من خلال استقراء القرائن وجاء بين المفرد والجمع، وكانت جملة النهي في شعره طويلة نسبيا، ومن الجدير بالذكر أنّ عدد الجمل المستعملة في شعر أبي حمّو لم يرقى إلى العدد المناسب؛ ولعلّ ذلك عائد إلى مواضيع القصائد الشعرية التي ضمّها كتاب واسطة السلوك.

¹ موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان -المصدر السابق - ص 198.

الفصل الثالث: البنى الصرفية في شعر أبي حمو

تمهيد

المبحث الأول : بنية الأفعال

المبحث الثاني: بنية الأسماء

تمهيد:

علم الصرف هو علم { يبحث فيه عن أحكام بنية الكلمة الجزئية من حيث التجرد والزيادة والصحة والاعتلال والجمود والاشتقاق }¹، فالغرض منه إذاً، دراسة التغيرات التي تطرأ على بناء الكلمة، كالتجرد والزيادة اللذان يعدان جزءاً من ماهية هذا العلم حيث أنّ الفعل المجرد لا بدّ أن يصنّف تحت باب من الأبواب الستة لمعرفة أصل معنى الفعل²، ويتناول هذا العلم كذلك حركات الحروف، وذلك بنقل حركة حرف إلى حرف آخر، وينظر إلى حروف الكلمة من ناحية الصحة والاعتلال، وهذا يسمّى التغيير اللفظي، أمّا دراسة تغيير المفرد إلى المثني أو الجمع، أو تغيير المصدر إلى الفعل وما اشتق منه، وتغيرات الاسم بالمعنى والنسب، فيسمّى تغيير معنوي، وهو بذلك يدرس الكلمة من داخلها وكلّ ما يتعلّق بأيّ حرف من حروفها.³

ويهتمّ الصرف أيضاً بالأسماء المعربة ولا يدرس المبنية منها، وهناك فرق واضح بين نظرة القدماء إلى علم الصرف، ونظرة المحدثين إليه، فالصرفيون القدامى، رأوا أنّ الصرف يهتم ببنية الكلمة فقط⁴. على عكس الدرس الصرفي الحديث الذي يهتم بكل ما يخدم الجملة أو العبارة أو يؤدي إلى اختلاف في المعاني النحوية، وذلك من خلال التركيز على بنية الكلمة وكل جزء من أجزائها، وعلينا أن نتذكّر دائماً أنّ الرابط قائم بين علم الصرف (morphology) وبين علم اللغة (linguistics) وبين علم الأسلوب (stylistics).⁵

¹ صبري متولي - علم الصرف العربي - دار غريب - 2002 - ص 10.

² صبري متولي - المرجع نفسه - ص 22.

³ زينب كامل الخويسكي - الصرف العربي (صياغة جديدة) - دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية - مصر - 1996 - ص 12.

⁴ - عبده الراجحي - التطبيق الصرفي - دار النهضة العربية - بيروت - لبنان - ط 1 - 1998 - ص 07.

⁵ - صبري متولي - المصدر السابق - ص 88.

وقد {ارتبط نسيج الوحدات الصّرفية بإيحاءات بلاغية ودلالات فنية عميقة، وهي وسائل لغوية تؤثر في السياق، ويؤثر فيها، فتكسب بذلك شرعية وجودها¹، فمن المهم الانتباه إلى العلاقة الموجودة بين الكلمات والمعاني التي تدل عليها، وذلك أنّ الأوزان المزيدة في اللغة العربية ذات معاني محدّدة، والعمل على حصر الأوزان في نص ما يمكن من معرفة مدى اتفاقها مع الجو العام للنّص.²

وسنحاول في هذا المقام دراسة الصّيغ الصّرفية وعلاقتها بالمعاني، من خلال دراسة التّركيب الإفرادي، وسنتعرّف على رصيد شعر أبي حمّو من تلك الصّيغ باعتبارها ظاهرة متميّزة تتوّعت ووظّفت بشكل ملفت فيه، وعليه سنهتم دراستنا بتتبع صيغ الأفعال (البسيطة منها) أولاً ثمّ ستعرّج إلى بنية الأسماء، مع محاولة ربط تلك الصّيغ دائماً بالدلالة من خلال التّعرف على مساهمتها في إيضاح المعنى موازاة والسيّاق الذي وردت فيه.

¹ -رايح بوحوش- الأسلوبيات وتحليل الخطاب- منشورات جامعة باجي مختار- عتّابة (د.ت) ص102.

² -محمّد عبد الغني مجد ومحمّد الباكير البرازي- تحليل النص الأدبي بين النّظرية والتّطبيق، دار الوراق للنّشر والتّوزيع-

عمّان-الأردن-ط1-2002-ص70

المبحث الأول: بنية الأفعال

- 1-صيغة (فَعَلَ)
- 2-صيغة (فَعِلَ)
- 3-صيغة (فَعُلَ)
- 4-صيغة (فَعَّلَ)
- 5-صيغة (أَفْعَلَ)
- 6-صيغة (فَاعِلُ)
- 7-صيغة (إِفْعَلْ)
- 8-صيغة (إِنْفَعَلْ)
- 9-صيغة (أَسْتَفْعَلْ)

أولاً:بنية الأفعال:

1-صيغة "فَعَلَ":

يقول سبويه: {وَفَعَلَ عَلَى ثَلَاثَةِ أُنْبِيَةِ، وَذَلِكَ فَعَلَ وَقَعَلَ وَقَعَلْ، نَحْو: قَتَلَ وَلَزِمَ وَمَكَّثَ: فَالْأَوْلَانِ مَشْتَرِكٌ فِيهِمَا الْمَتَعَدِّي وَغَيْرُهُ} ¹ وتدلّ هذه الصِّيغة على ثبوت وقوع الحدث وانقضاء زمنه، ومن بين معانيها: الجمع، العطاء، الامتناع، القهر، الاستقرار، التَّحوِيل... إلخ. ²

وقد وردت هذه الصيغة بشكل مكثف في شعر أبي حمّو، واحتلت الرتبة الأولى من بين الصيغ المستعملة، إذ تواترت مئة وستا وثلاثين مرة (136) وبنسبة قدرت بـ(65.07%)، ولعل هذا الحضور المتميز لها سببه رغبة الشاعر في توظيف معانيها المختلفة خدمة للأفكار التي يريد التطرق إليها وتأكيد معناها، ومن بين ما قاله الشاعر مستعملاً هذه الصيغة:

اللَّهُ قَضَى وَالْحُكْمُ مَضَى *** وَلَنَا فَرَضًا فَدَعُوا عَدَلِي
فَلَهُ الشُّكْرُ وَلَهُ الْأَمْرُ *** مِنْهُ النَّصْرُ لَا مِنْ قِبَلِي
حَمَلْنِي الْمُلْكُ وَمَنْ يَفْوَى *** يَحْمِلُ مَا فِيهِ مِنَ الثَّقَلِ ³

أورد أبو حمّو مجموعة من الأفعال في هذه الأبيات، جاءت على صيغة (فَعَلَ)، وهي (قَضَى، مَضَى، فَرَضَ، يَحْمِلُ)، ولعلّه أراد بها التأكيد على واحد من معاني هذه الصيغة وهو التحويل، ونقصد به هنا تغير حالة الشاعر من رجل يطلب الملك ويسعى إليه، إلى ملك حقيقي، فهو يرى في وصول العرش إليه قضاء وحكما من المولى عزّ وجل، فقد اختاره لهذا الأمر، والحكم قد سار ومضى، فقد فرض عليه القيام بهذا العبء الثقيل، ولا مكان للعدّال هنا ولا لأقاويلهم، فالأمر واضح وجليّ، فبعد طول عناء أبي حمّو وبعد سعيه الحثيث

¹ سبويه-الكتاب-تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون-الهيئة المصرية العامة للكتاب-1975م-ج4-ص38.

² ابن عقيل-شرح ابن عقيل-تحقيق: محي الدين عبد الحميد-دار العلوم الحديثة-بيروت-لبنان-د.ت-ج2-ص600.

³ موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان-أسطة السلوك-ص25

وراء استعادة ملك أجداده وإعادة إحياء دولتهم المغمورة، هاهو النّصر قد تحقّق والأمل صار واقعا معاشا، وفي هذا المقام لا يسعه إلا أن يشكر خالقه على هذه المنّة والعطيّة، راجيا منه أن يمدّه بالقوّة والعون حتّى يتمكّن من القيام بأعباء هذا الأمر الجلل.

ويقول الشاعر في إحدى مقدّماته الغزلية التي تصدرت واحدة من مولدياته:

نَامَ الْحَبِيبُ وَلَمْ تَنْتَمِ *** عَيْنِي بِمُصَارَعَةِ النَّدَمِ
وَالدَّمْعُ تَحَدَّرَ كَالدَّيْمِ *** جَرَحَ الْخَدَّيْنِ فِيَا أَلْمِي
وَزَجَرْتُ النَّفْسَ فَمَا انْزَجَرْتُ *** وَنَهَيْتُ الْقَلْبَ فَلَمْ يَرْمُ¹

كان حضور صيغة (فَعَلَ) في هذا المقطع كبيرا، حيث استعمل الشاعر الأفعال التالية (نام، تتم، جرح، زجرت، نهيت، يرم) بل واستعمل الفعل نفسه مرتين وعلى التوالي، لكن بزمنين مختلفين، وهذا لتأكيد معنى معيّن لدى الشاعر، وقد تمثّل في حالة الندم والحزن التي يشعر بها ورغبته الكبيرة في نيل رضى الحبيب، والحبيب هنا يرمز إلى المولى عزّ وجلّ، فهو الحبيب الأوّل ولا حبيب قبله، فقد جافاه النّوم، وكيف يتأتّى له ذلك وقد أثقل بهموم الذنوب والمعاصي، وقد تكحّلت عينه بندم كبير، عصر قلبه فسالت دموعه غزيرة غزارة المطر الشّديد، دمع ممزوج بحرق القلب تسبب في جرح الخدود لكثرة انسيابه، إنّه ألم كبير ذلك الذي يكابده الشّاعر، خاصّة وأنّ نفسه لا تطاوعه في التّوبة والأوبة إلى الله تعالى، وكأنّ هذا الشعور لا يصلّها بل ولا يتمكّن من مجاراتها فيه.

¹موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان - المصدر السابق - ص 29.

وفي مقام آخر يقول الشاعر معتدًا بنفسه:¹

سَيْفِي إِنْ مَلْتُ بِقَائِمِهِ *** أَدْنَى المَرَّاقِ إِلَى الأَجَلِ

وَكَذَا كَفَّايَ إِذَا انْبَسَطْتُ *** مِنْ كَانَ مُقَلًّا عَادَ مَلِي

استعمل أبو حمّو صيغة (فَعَلَ) في قوله (ملت، عاد)، وقد ضمت معاني الفخر والاعتزاز بالنفس، فهو يرى نفسه أهلا للحكم يناسبه ويليق به لأنه يمتلك مجموعة صفات تزيد من تميّزه، ومن بين تلك الصفات الشجاعة والبسالة، فهو المحارب الشجاع الذي ألف المعارك وألفته، صاحب سيف بتار يذني كلّ عدوّ ومارق، حيث أنه لا يتوانى في الدفاع عن ملكه الذي بذل من أجله سنينا من عمره ساعيا خلفه، كما يفخر بكونه صاحب خبرة في الكرّ والفرّ لكثرة ما خبره من شدائد في حياته، ومن جهة أخرى يصف نفسه بالكرم والسّخاء، فيداه مبسوطتان لكل محتاج ومقلّ، فيكفي أن يقصد بابه كل ذي حاجة حتّى يعود أدرجه مسرورا ومبتهجا بما حضي به من الخير الوفير، وهو بذلك ملك يجمع بين كل صفات الشرف والنبل، فيكون فعلا مناسبا لأن يجلس على كرسي العرش.

ويقول الشاعر في لحظة أوبة لله عزّ وجلّ:²

وَإِنْ تُبْعِدُونِي عَلَى زَلَّتِي *** فَشَيْمَتُكُمْ تَغْفِرُونَ الذُّنُوبَ

وَإِنْ تَرَحَّمُوا تُرَحَّمُوا صَبَّكُمْ *** فَظِلُّ رِضَاكُمْ كَمْ يُغَطِّي العُيُوبَا

أَسِيرٌ هَوَاكُمْ قَتِيلٌ نَوَاكُمْ *** عَلَّ رِضَاكُمْ يَكُونُ قَرِيبَا

فُؤَادِي عَلِيلٌ وَجِسْمِي نَحِيلٌ *** سَقَمِي طَوِيلٌ قَدْ أَعْيَا الطَّبِيبَا

بَكَيْتُ الرُّسُومَ، رَعَيْتُ النُّجُومَ *** دَارِي الهُمُومَ مَعَا وَالخُطُوبَا.

¹ -موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان -المصدر السابق -ص25.

² -المصدر -نفسه -ص195.

ضمّت هذه الأبيات أفعالا على صيغة (فَعَلَ) وهي (تغفرون، بكيت، رعيت) وقد زخرت القطعة الشعرية بمعاني الحزن والأسف والنّدم، خاصّة الفعل (بكى)، الذي شحنها بدلالات الأسى والمرارة التي ارتبطت بندم الشّاعر على تقصيره في حقّ الله من كثرة ما جنت يداه من ذنوب ومعاصي، فخوفه الشّديد من المولى عزّ وجل جعله يخشى غضبه وعدم قبول توبته، لكنّه في قرارة نفسه قد علم بأنّ الله غفّار الذنوب العظيمة قبل الصّغيرة، ومن غيره يغفر لعبيده، وهو الآن يطلب الرحمة ويؤكد عليها من خلال استعمال الفعل (ترحموا) مرّتين على التوالي، بل ويطمع في أن ينال مكانا تحت ظلّه سبحانه وتعالى يوم لا ظلّ إلا ظلّه، إنّ حزن الشاعر وندمه قد أثر على صحّته فهزل جسمه وسقم قلبه، سقما لم يعرف له الأطباء عقارا نافعا، فوحده عزّ وجلّ القادر على تغيير حاله بقبول توبته، ولا يجد الشّاعر وسيلة لذلك إلا البكاء بحرقة والسّهر من شدّة النّدم، علّه يكفّر بذلك عن أخطائه.

2-صيغة (فَعَلَ):

تأتي هذه الصيغة في الأفعال التي تدل على العلل والأحزان وأضدادهما، مثل: سقم وحزن وفرح وما يدل على الخلو والامتلاء مثل: عطش، شبع، وكل الألوان والعيوب والحلي مثل: سود، عرج، دعج.¹

وقد كان حضورها في شعر أبي حمّو محترما حيث تواترت خمس عشرة مرّة (15) بنسبة (7.17%) ومن بين ما نستدلّ به عنها قول الشاعر:

زَارُوا الْهَادِي بِهَوَى بَادِي *** وَحَدَا الْحَادِي عَزْمًا بِهِمْ²

شَدُّوْ عَزْمًا فَارُؤَا غَنِمُوا *** لَمَّا قَدِمُوا لِجَمَى الْحَرَمِ

¹- أنظر: مصطفى الغلاييني-جامع الدروس العربية-دار الكتاب العربي-بيروت-لبنان-ط1-2004-ص154.

²-موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان-واسطة السلوك-ص30.

وقد جاء توظيف الشاعر لصيغة (فَعَلَ) في قوله (غنموا، قدموا) وقد حملت دلالات النصر والغنيمة التي ملأت الحجاج بمعاني الفرح والسرور بسبب تمكنهم من الوصول إلى البقاع المقدّسة بخير وعافية وقد أدّوا ما توجّب عليهم من أركان الحج، لكن المشاعر المبهجة لم يتقاسمها الشاعر معهم، لأنّه تخلّف عن ركبهم ولم ينل ما قد تحصلوا عليه من الخير الوفير، لأنّهم تمكّنوا من شدّ الرّحال إلى الحج وقد ساروا نحوه كلّهم عزم وهمّة، وقد مكّنهم الله تعالى من الوصول هناك بأمن وسلام فكانت فرحتهم الكبرى وسرورهم الأعظم، ولكن خلف هذا المشهد السعيد يبدو ظلّ الشاعر الذي وقف ينظر إليهم وهم يغادرون نحو مقصدهم و هو يحسدهم على ما ينتظرهم من شرف عظيم ، هذا الشرف الذي لن يشاطرهم الشاعر إياه هذا العام لأنّ أعباء الملك لم تسمح له بذلك.

ويقول أبو حمّو في موضع آخر:

مَاءٌ وَنَارٌ وَأَكْبَادٌ لَهَا شُعْلٌ *** وَالْقَلْبُ بَيْنَهُمَا قَدْ دَابَ وَالتَّهَبَا
ضِدَّانَ قَدْ جُمِعَا عَوْنًا عَلَى سَهْرِي *** لَكِنَّ عَذَابِي بِهَا فِي الْحُبِّ قَدْ عَذَبَا
مَا كُنْتُ أَدْرِي بِهِمَا حَتَّى صَحَبْتَهُمَا *** كُرْهَا وَقَدْ يَكْرَهُ الْإِنْسَانُ مِنْ صَحْبَا¹

تضمّنت هذه الأبيات الفعل (يكره) الذي جاء على صيغة (فَعَلَ) ليدلّ على معاناة الشاعر جرّاء حالة الحب التي يعيشها، فقد وجد لفرط هواه عجا، إذ اجتمع الضدّان عنده الماء والنّار، فالنّار مصدرها لوعته وحرقته في حبّه وغرامه، هذه اللّوعة التي أفاضت دموع عينيه غزيرة، لذلك اجتمع الضدّان عنده وفي نفس الوقت، واجتماع النقيض أتعّب القلب وأذابه، فهو لم يقدر على عبء هذا الموقف، ولأنّه جاهل بأحوال الحبّ وتقلّباته، وجد أوّل الأمر مرارة كبيرة في ذلك لكن سرعان ما تحوّلت إلى لذة كبيرة، لأنّ العذاب يزيد من قوّة الحب

¹ - موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان - المصدر السابق - ص 197.

وجماله، و صار اجتماع الماء والنار لدى الشاعر سببا لشعوره بالارتباك لأنّ هذا الشعور يجعله تارة يشعر بالفرح وتارة أخرى يشعر بحزن كبير .

ومما جاء كذلك من الأفعال على صيغة (فَعَلَ) قول الشاعر:¹

وَنَهَيْتَ النَّفْسَ فَمَا قَبِلْتُ *** وَتَوَلَّى الصَّبْرُ فَمَا حَبَلِي

نَاسٌ رَكَبُوا النَّفْوَى وَلَقَدْ *** رَكِبْتُ نَفْسِي طُرُقَ الزَّلَلِ

وَجَوَى فِي الصَّدْرِ لَهُ حُرْقٌ *** فَالْقَلْبُ لِذَلِكَ فِي شُغْلِ

استعمل الشاعر في هذه القطعة الأفعال (قبلت، ركبوا، ركبت) وقد جاءت جميعها على صيغة (فَعَلَ)، وقد أراد أبو حمّو من خلالها إظهار أسفه على عجزه عن زيارة البقاع المقدّسة، وكذلك ندمه الشّدِيدَ عمّا اقترفه من ذنوب وآثام فيما مضى من أيّامه، وألمه البالغ لأنّ نفسه مازالت مرتبطة بزخارف الحياة الدنيا ومتعلّقة بها ولا تفكر في الاصلاح من أمرها في الوقت الذي انتبه فيه غيرها لما غاب عنها، وهو التمسك بطريق الله وعدم الحياد عنه طمعا في النجاة والعافية.

3-صيغة (فَعَلَ):

قال سبويه: {ولمّا لا يتعدّك ضرب رابع لا يشركه فيه ما يتعدّك، وذلك فعل، يفعل نحو كرم يكرم، وليس في الكلام فعلته متعدّيا²، وتأتي هذه الصيغة في الأفعال الدّالة على الغرائز والطبائع الثابتة مثل، كرم، عذب، حسن، شرف، جمل، قبح.³

¹-موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان-المصدر السابق -ص24.

²-سبوية - الكتاب- ج4-ص38.

³-انظر:مصطفى الغلابيني-جامع الدروس العربيّة-ص154.

وردت هذه الصيغة في شعر أبي حمو بصورة قليلة ولم تتعدّ في تواترها الخمس مرّات

(05) بنسبة تقدّر بـ (02.39%)، ومن بين أمثلتها ما ورد في قول الشاعر:

وهكذا الدهر مازالت عوائدهُ *** فلا تنقُ بزمان بان أو قرّبا

يُدني ويُبعدُ في أحكامه أبداً *** هذا بذاك لا عتبَ لمن عتبا¹

لقد جاءت صيغة (فعل) متمثلة في الفعل (يبعد) وهو يدلّ دلالة قاطعة على غدر الزّمان وتقلّبه فذاك فيه صفة متأصلة، فهو لا يثبت على حال ولا يبقى على صورة واحدة، لذلك لا يجب على الإنسان الوثوق به ولا الاطمئنان له، فكم أمن الأحباب إلى جانبه واستأنسوا لذلك، لكن لم يبرح أن تقلب وتبدّل، فتحول ما كان أنسا ووصلا إلى بعد وهجر وفراق وعليه ينبه الشاعر المحبين منه، حتّى لا يفرحوا كثيرا بوصولهم ولا يحزنوا على أيام الجفاء والقطيعة أكثر ممّا يجب لأن دوام الحال لا يكون إلا للمولى عزّ وجلّ.

ويقول الشاعر كذلك:

يا ربّ ذنوبي قد عظمتُ *** فامُنّ بالعفو لمُجترِم

فالعفو إلهي منك وإنّ *** الذنبُ وحقّك من شمي²

مثل صيغة (فعل) في هذه الأبيات الفعل (عظمت)، الذي جاء للدلالة على همّ الشاعر الكبير، وهو يرى ذنوبه قد تعاضمت لدرجة ما عاد قادرا فيها على تحمل عبئها، لذلك توجه إلى خالقه راجيا، طالبا، طامعا في عظيم منته على خلقه أن يغمره بعفوه الواسع، لأنّه الخالق الكريم الذي لا ينضب معين الرحمة لديه ولا يقلل له باب في وجه عبد من عبيده، والشاعر هنا لا ينكر ذنوبه ولا يتملّص منها، بل على العكس يعترف بجرمه وتقصيره لعلّ هذا الاعتراف يريح قلبه المتعب ونفسه النادمة.

¹-موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان-واسطة السلوك -ص197.

²-المصدر نفسه -ص29.

4-صيغة (فَعَلَّ):

وهي من صيغ الثلاثي المزيد بحرف، بتضعيف العين تدلّ على التعدية والتكثير وهو أكثر المعاني الغالبة عليها.¹

تواترت هذه الصيغة في شعر أبي حمو اثنا عشرة مرّة (12) بنسبة قدرت بـ (05.74%) ومما جاء من الأفعال على هذه الصيغة ما ورد في قول الشاعر:

فَيَا حَادِي الْعَيْسِ نَحْوَ الْحَمَى	***	إِذَا جِئْتَ ذَاكَ الْجَنَابَ الرَّحِيْبَا
وَرَادَ الْهَوَى حِينَ زَالَ النُّوَى	***	وَجِئْتَ اللَّوَى وَعَتَمَدْتَ الْكَنْيَا
لِقَبْرِ النُّهَامِي لِبَدْرِ النَّمَامِ	***	لِخَيْرِ الْأَنَامِ شَفِيْعَا حَبِيْبَا
فَبَلِّغْ إِلَيْهِ سَلَامِي عَلَيْهِ	***	فَإِنْ لَدَيْهِ لِسَفْمِي طَبِيْبَا ²

جاءت صيغة (فَعَلَّ) ممثلة بالفعل (فبَلِّغْ) للدلالة على تكثير السلام للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي بعثه الشاعر مع ركب الحجاج، لذلك حرص أن يذكرهم بأن لا ينسوا إذا وصل بهم المسير إلى البقاع المقدّسة وخاصّة عند وصولهم إلى مقام محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يذكره عنده وأن يبلغوه حزنه الكبير بسبب عدم قدرته على الوصول شخصياً إليه لذلك اكتفى بالزيارة بروحه ووجدانه، لعلّ ذلك يخفّف عنه ما يقاسيه من حزن .

ويقول الشاعر أيضاً:

فَمَا لِي عَلَى الْهَجْرِ مِنْ قُدْرَةٍ	***	يُذِيبُ النُّفُوسَ وَيُعْشِي الْقُلُوبَا
وَقَفْتُ رَجَائِي بِكُمْ فَارْحَمُوا	***	وُقُوفِي عَلَى بَابِكُمْ مُسْتَرِيْبَا
فَرِيْدٌ غَرِيْبٌ أَنَا بَيْنَكُمْ	***	وَحَاشَاكُمْ تُفْرِدُونَ الْغَرِيْبَا ¹

¹مصطفى الغلابيني-جامع الدروس العربيّة-ص155.

²موسى بن يوسف أبو حمو بن يوسف-واسطة السلوك-ص195.

جاء الفعل (وقفت) ليدل على التكثير من خلال المعنى الذي أفاده، فالشاعر يخبر عن شدة رجائه وأمله بالله سبحانه وتعالى بأن يحمه وذلك من خلال طول وقوفه ببابه عز وجل مستجديا عفوه وصفحه، فهو لا يقوى على غضب الله وإعراضه عنه، لأن ذلك الأمر يذيب نفسه ويقطع قلبه، وهو من غير رضى الله يشعر بالوحدة والتفرد والتبذ، لكنه يطمع في أن يناله كرم الله تعالى وعطاؤه، فهو لا يرجع أبدا من جاء بابه قاصدا بخيبة مهما كانت جنايته.

وقال أبو حمو أيضا:²

بِحُرْمَةِ أَحْمَدَ خَيْرِ الْوَرَى *** رَجَائِي وَظَنِّي بِهِ لَنْ يَخِيْبَا
نَبِيَّ أَتَى رَحْمَةً لِلْعِبَادِ *** فَمَحَا وَمَحَّصَ عَنَّا الذُّنُوبَا
وَسَنَّ الشَّرِيعَةَ لِلْمُؤْمِنِينَ *** وَسَنَّ عَلَى الْكَافِرِينَ الْحُرُوبَا

وقد جاء على صيغة (فعل) الفعل (محص) الذي يدل على الكثرة، فالشاعر يتوسل الهادي أحمد صلى الله عليه وسلم وهو متأكد بأن شفاعته لن ترد، فهل هناك من هو أعظم قدرا منه عند المولى عز وجل، أوليس هو المبعوث رحمة للعالمين، قد جعل الله شفاعته سببا في اللطف بالمؤمنين يوم لا ينفع مال ولا بنون، ويسترسل الشاعر في تعداد خصال المصطفى عليه الصلاة والسلام فيذكر أن الشريعة الإسلامية نزلت على يديه جزء تلو الآخر، فأقام به الله الدين وجعل انتشاره بين الناس من خلاله باليسر والحسن، لكنه رغم ذلك وقف في وجه الكافرين والمكذبين فسن عليهم الحروب والغزوات ليقوم دين الله وينشر مبادئه.

ولا نبرح صيغ صيغة (فعل)، لنجد الشاعر استعملها في قوله:¹

¹-موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان-المصدر السابق -194.

²-المصدر نفسه -196

فَكَمْ قَدْ لَهَوْتُ وَكَمْ قَدْ سَهَوْتُ *** لَكِنْ دَعَوْتُ سَمِيعًا مُجِيبًا

عَلِيمًا بِحَطْبِي يُفَرِّجُ كَرْبِي *** مَا زَالَ رَبِّي يُزِيلُ الْكُرُوبَا

ورد الفعل (يفرّج) على صيغة (فعل) للدلالة على كثرة الفرّج، فالمولى عزّ وجلّ لا ينسى عبده أبداً، فهو يكون إلى جانبه دائماً يفرّج عنه متى طلب منه ذلك ودون أن يطلب، وليس هناك عدد محدّد لممرّات الفرّج، وأبو حمّو يعتمد على هذا المعنى كي يزيل الله عنه ما يلاقيه من الحروب، وهو يعترف بأنّه لم يكن في سابق أيامه رجلاً صالحاً كما ينبغي، فقد أكثر اللّهو والسّهو، لكنّه الآن يعي فضاة ما كان عليه، ويخاف من عاقبة أعماله، لذلك هاهو يمدّ يديه لله متضرّعا حتّى يغفر عنه ويصفح وهو متيقّن من الإجابة لأنّه يعلم أنّ ربّه هو السميع المجيب.

5-صيغة (أفعل):

وهي صيغة تدل على المطاوعة، قال عنها صاحب الكتاب: {وقد جاء فعلته إذا أردت أن تجعله مفعلاً، وذلك: فطرته فأفطره، وبشرته فأبشرت، وهذا النحو قليل} ²

بلغ تواتر صيغة (أفعل) في شعر أبي حمّو خمسا وعشرين (25) مرّة بنسبة تقدر بـ (11.96%)، وهي بذلك تحتل الرتبة الأولى بين الأفعال الثلاثية المزيدة والرتبة الثانية من مجموع الصيغ المدروسة بعد صيغة (فعل)، ويقول أبو حمّو مستعملاً هذه الصيغة:

بِمَوْلِدِهِ أَشْرَقَ الْأَفُقُ نُورًا *** وَأَلْبَسَتِ الْأَرْضُ حُسْنًا قَشِيْبًا

وَكَسَرَى تَسَاقَطَ إِيوَانُهُ *** وَكَادَ مِنَ الرُّعْبِ يَلْقَى شُعُوبًا

وَنِيرَانُ فَارِسٍ قَدْ أُخْمِدَتْ *** وَإِخْمَادُهَا كَانَ أَمْرًا عَجَبًا

¹-موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان-المصدر السابق -195.

²-سبويه-الكتاب-ج4-ص58.

- وَجَعَتْ مَوَارِدُ أَنْهَارِهِمْ *** وَقَدْ أَعْقَبْتُ بَعْدَ رِيٍّ نُضُوبَا
 وَحَنَّ لَهُ الْجِدْعُ مُسْتَأْنِسًا *** وَأَبْدَى إِلَيْهِ الْأَسَى وَالنَّحِيَا
 وَشُقَّ لَهُ الْبَدْرُ عِنْدَ التَّمَامِ *** وَكَلَّمَهُ الضَّبِّيُّ يَشْكُوهُ الْخُطُوبَا
 عَلَيْهِ سَلَامٌ بِطُولِ الدَّوَامِ *** وَمَا أَضْحَكَ الرَّوْضُ نَعْرًا قَشِيَا¹

جاءت هذه القطعة الشعرية مليئة بأفعال على صيغة (أفعل) وهي (أشرق، ألبست، أخدمت، أعقبت، أبدى، أضحك) ودخول الهمزة على هذه الأفعال جعلها متعدية تطلب مفاعيلا حتى تتم معاني العبارات، وقد استخدمها الشاعر ليستدل من خلالها على عظمة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، ذلك النبي الذي كان يوم مولده إيذانا من المولى عز وجل بعهد جديد يطل على البشرية بل وعلى الكون أجمع، فقد جاء ذلك اليوم مصاحبا لعدة معجزات حيرت عقول من كان حاضرا وقتئذ، فقد كان خروجه للعالم مقترنا بنور عظيم خرج ليسطع في أفق السماء، وقد انشق إيوان كسرى، وكأنه تحذير من الخالق بأن العد العكسي لانقضاء عهدهم قد بدأ، وفي ذلك اليوم السعيد أطفئت نار المجوس العظيمة التي كانوا يعبدونها، وهي التي لم تنطفئ منذ زمن طويل، وقد لازم ميلاده صلى الله عليه وسلم لجفاف أنهارهم دون سابق إنذار، كما يتحدث الشاعر عن بعض معجزاته الأخرى صلى الله عليه وسلم والتي خصه بها الله دونا عن بقية أنبيائه ورسله، كحادثة شوق الجذع إليه وإلى يده الشريفة التي تلامسه في خطبه صلى الله عليه وسلم، فلما تغير مكانه وأبعد عن الحبيب المصطفى سُمع له بكاء ونحيب، كما يذكر الشاعر حادثة كلام الضبي له يشكو له حاله، فهو الكون كله إذا من نالته بركات بعث النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم.

ويقول الشاعر أيضا في هذه الأبيات:

- مَنْ يُقْفِدُنِي مَنْ يُسْعِدُنِي *** مَنْ يَرْحَمُنِي مَنْ يَغْفِرُ لِي
 إِلَّا الْمَوْلَى يُسَدِّي الطُّوْلَا *** رَبِّي الْأَعْلَى مُحْيِي الدُّوْلَا

¹-موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان-واسطة السلوك -ص196.

لِي أَحْيَاهَا لِي أَنْشَاهَا *** لِي أُعْطَاهَا أَزَلَّ الْأَزَلِّ¹

تمثّلت الأفعال التي جاءت على صيغة (أَفْعَل) في (ينقذني، يسعدني، أحيا، أنشأ، أعطى) كلّها أفعال متعدّية تطلب مفعولا به، وقد جاء هذا الأخير ضميرا متّصلا في جميع الأفعال، تمثّل في (ياء المتكلم) مع الفعلين (أنقذ وأسعد) وضمير الغائب (ها) مع الأفعال (أحيا وأنشأ وأعطى)، وكلّها عملت بتعديها على توضيح المعنى وبيانها، فالشاعر في غمرة شعوره بالندم وخوفه من المولى عزّ وجلّ يبحث الخلاص ممّا يعاينيه، لكنّه يعلم في قرارة نفسه أن لا أحد يقدر على تغيير حاله وإراحة باله غير الله عزّ وجلّ، فهو الذي يعيد للنفس حياتها وللقلب راحته، كما يحي الدول الميّتة ويبعثها من جديد، أوليس هو من أعاد إحياء دولة أجداده على يديه من جديد بعد أن سلبها الأعداء لزمان طويل، بل وقد اصطفاه من بين الجميع ليقدمها له، ويبعثها من مرقدها، لتكون دولة قويّة على يدي أبي حمو يضاهي بها بقيّة الدول، فضمير الغائب (ها) في الفعلين (أنشأ، أعطى) مفعول به، يشير من خلاله الشاعر إلى إعادة إحياء الدولة الزبانية على يديه من جديد بعدما انتزعها من أيدي أعدائه المرينيين.

ومن قول الشاعر كذلك مستخدما نفس الصيغة:

وَلِأَنِّي أَمِيرُ الْخَلْقِ فَلَمْ *** أَسْطَعُ سَفْرًا مِنْ أَجْلِهِمْ

فَأَقَمْتُ أُصْلِحُ مَا أَفْسَدْتُ *** بِالْغَرْبِ يَدُ الْفِتَنِ الدَّهَمِ

وَبَعَثْتُ رِسَالَةَ مُكْتَنَّبٍ *** مِنْ خَيْرِ وَفِيٍّ بِالذَّمِّ²

لقد وردت صيغة (أَفْعَل) ممثّلة بالفعلين (أصلح، أفسدت) وقد كانت وظيفتها الدلالية التعبير عن الكثرة، فالشاعر الذي تخلف متأسفاً عن ركب الحجاج، يردّ ذلك إلى كثرة الفتن

¹-موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان-المصدر السابق -ص25.

²-المصدر نفسه -ص30.

التي تداهم مملكته من كلّ جانب وما يلزمها من إصلاح كثير حتّى يستقرّ الوضع وتهدأ الأوضاع وعليه فهو لا يمكنه بأيّ حال من الأحوال قصد البقاع المقدّسة مخلفاً وراءه خطراً كبيراً يهدّد أمن البلاد وسلامتها، خاصّةً وأنّه أمير الخلق و المسؤول عن سلامتهم وشؤونهم أمام الله عزّ وجلّ، إذ هو مجبر على البقاء بالرغم من رغبته الشديدة في القيام بمناسك الحج وزيارة المقام الشريف بالمدينة المنورة، وعليه لا يجد أمامه من وسيلة تتيح له مشاركة الحجاج هناك إلا من خلال رسالة محبّ مشوّق يبعث بها إلى حبيبه المصطفى صلّى الله عليه وسلّم، كتبها بعصارة قلبه وحرقات تنهيدة طويلة، راجياً أن ينفعه ويحصد جوائزها يوم الشفاعة الأعظم، خاصّةً وأنّ هذا المشفّع الكريم هو خير وفيّ بالذم لا يهمل معه أيّ حقّ من الحقوق، فكيف بحقّ الشفاعة لمن أحبه وصدق في محبّته وذرف الدّمع حزناً وشوقاً إليه.

6-صيغة (فاعل):

وتأتي بمعنى المشاركة غالباً، أي أن يفعل أحدهما بصاحبه فعلاً، فيقابله الآخر بمثله وحينئذ ينسب للبادئ نسبة الفاعلية وللمقابل نسبة المفعولية.¹

وقد وردت هذه الصيغة في شعر أبي حمو سبع مرّات (07) بنسبة تقدر بـ (03.34%) وقد احتلت بذلك الرتبة الخامسة من جملة الصيغ المستعملة عند أبي حمو، ونستدلّ عنها بأول مثال، إذ قال الشاعر:

قَطَعْتُ الْفَيَافِي بِالْقِلَاصِ وَإِنَّمَا *** تُجَابُ الْفَلَا بِالْخُفِّ أَوْ الْمَنَاسِمِ

وَقَدْ خَلُنْهَا بَيْنَ الرِّيَاحِ رَوَابِعًا *** تُسَابِقُ فِي الْبَيْدَا ظَلِيمَ النَّهَائِمِ²

تمثّلت صيغة (فاعل) في هذه الأبيات من خلال الفعل (تسابق) الذي دلّ على المشاركة بين الشاعر وفرسه في رحلته الطويلة والشاقة لاسترجاع عرش تلمسان، والتي قطع

¹-انظر: المتولّي صبري-علم الصرف العربي-ص18.

²-موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان-واسطة السلوك -ص36.

فيها البوادي والصّحاري بحثاً عن قبائل تؤيّد مسعاه و تسانده في مهمّته، وهذه الفيافي التي قطعها، لم يتأتّى له عبورها إلاّ على صحوة حصانه، فقد شاركه حلمه الكبير وهو يجوب الصّحراء جارياً يسابق الرّيح، فهو حصان أصيل يمتلك من القوّة والسّرعة ما ينافس به أي شيء، فقوّة الحصان من قوّة الفارس، وعليه فقد تشارك الشاعر وحصانه في مشهد واحد ضمّ صورة الفارس الشّهم الشجاع الذي يمتطي حصانا متميّزاً تميّز من يمتطيه.

ويقول الشّاعر في مقام آخر:

وصُرُوفُ الدَّهْرِ تُعَارِضُنِي *** عَمَّا أَبْغِيهِ مِنَ الْقَسَمِ
سَارُوا وَالذَّنْبُ قَدْ أَفْعَدَنِي *** فَفَرَعْتُ السِّنَّ مِنَ النَّدَمِ
وَبَكَيْتُ الدَّمْعَ عَلَى زَلَلٍ *** وَمَرَجْتُ الدَّمْعَ بِفَيْضِ دَمٍ¹

جاء الفعل (تعارضني) على صيغة (فاعل) للدلالة على معاكسة الدهر للشّاعر، فكلماً أقسم أن يلتحق بالحجاج هذه السنّة إلاّ ومنعه أمر ما عمّا يبغيه، فيجد النّدم يصاحبه في تخلفه ذلك، ويدفعه إلى قرع سنّه حسرة وأسفاً، ولا يجد ما يخفّف به عن نفسه إلاّ من خلال البكاء على ذنوب وزلل تسببت في مكوثه بالمغرب بينما قوافل الحجاج تقترب شيئاً فشيئاً من غايتها المنشودة، لكن هذا الدمع المنسكب لم يكن كأبي دموع، بل كانت ممزوجة بدم كان مصدره قلب مجروح لا يجد للراحة سبيلاً.

ويقول أبو حمّو أيضاً مستعملاً صيغة (فاعل):

تَطَارِدُ فِيهَا الْخَيْلَ بِالْخَيْلِ مِثْلَهَا *** فَكَانَ عَلَى الْأَعْدَاءِ كَرُّ الْهَزَائِمِ
حَمَلْنَا عَلَيْهِمْ حَمَلَةً مُضْرِبَةً *** فَوَلَّوْا شِرَادًا مِثْلَ جَفَلِ النَّعَائِمِ¹

¹-موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان-المصدر السابق -ص30.

دلّ الفعل (نطارد) على المشاركة بين الشاعر وجيشه وهم يطاردون الأعداء فوق صهوات خيل أصيلة ذات بأس وقوة، فكانت الهزيمة للأعداء نكراء لم يروا لها مثيلاً، لقد كانت معركة أبي حمّو الكبرى معركة وجود، إمّا الحصول على مبتغاه واسترجاع مدينته وعرشه، وإمّا فلا، لذلك عقد عزمه وجمع شتات جيشه وتشاركوا جميعاً في خوض معركة حاسمة، استطاعوا بواسطتها قهر العدو والانتصار عليه، فلم يبق لجنوده إلاّ الفرار والنجاة بحياتهم، كأنهم جفل نعام متفرقة هنا وهناك، لقد خدم الفعل (نطارد) حقاً موضوع الأبيات إذ ساعد على إيضاح المعنى وإبراز دلالاته المختلفة وتبليغها للمتلقّي بصورة موحية.

7-صيغة (افتعل):

قال عنها سبويه {هذا باب ماطاوع الذي فعله على فعل وهو يكون على انفعال وافتعل وذلك قولك: كسرته فانكسر، وحطمته فانحطم وحسرته فانحسر وشويته فانشوى²

وقد وردت هذه الصيغة في شعر أبي حمّو خمس مرّات (05) بنسبة قدرت بـ (02.39%) وهي بذلك تحتل الرتبة السابعة، ومن بين ما قاله الشاعر مستخدماً هذه الصيغة:

لَيْلِي سَهْرٌ وَنَوْمِي فِكْرٌ *** دَمْعِي دُرٌّ بُرِّي عَلِي

نَفْسِي ضَحِرْتُ لَمَّا افْتَكَّرْتُ *** هَلَّا نَظَرْتُ مَا يَصْلُحُ لِي

إِثْمِي كَثُرًا شَيْبِي ظَهْرًا *** وَقَدْ اشْتَهَرَا وَالْأَمْرُ جَلِي³

استعمل أبو حمّو الفعلين (افتكرت، اشتهرا) وقد وردا على صيغة (افتعل) للدلالة على المطاوعة، فهو لا يتمكن من النوم لشدة تفكيره، ودمع عينه لا يكف عن الانهماز، وذلك

¹-موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان-المصدر السابق -ص38.

²- سبويه-الكتاب-ج4-ص65.

³-موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان-المصدر نفسه -ص24.

بسبب تذّكره لما قام به في سالف أيامه، لذلك هاهو يدعو نفسه أن تعمل لصالحه ولو لمرة واحدة فتتظر ما فيه خير له فتقوم به، لأنّ الشيب قد ظهر ليذكره بانقضاء العمر في اللهو واللعب، والأمر واضح وجليّ، فلا مجال للهروب مما هو عليه، لأنّ الشيب الذي لا يقدر على إخفائه سيذكره في كلّ مرّة ويضرب له موعداً إلى حين.

ومما قاله الشّاعر أيضاً:

قَلْبٌ بِنَوَاهِ أَسِيرٌ هَوَاهُ *** فَيَا شَوْقَاهُ إِلَى الْخَيْمِ

سَرَتْ الْإِبِلُ لَمَّا ارْتَحَلُوا *** قَلْبِي حَمَلُوا فِي رُكْبِهِمْ¹

تمثّلت الصيغة (افتعل) في الفعل (ارتحلوا) بمعنى المطاولة، فالشاعر المشوق للزيارة والحج قد أعياه شوقه وحنينه إلى هناك، وهو المتخلف عنهم لأسباب عديدة، لكنّه لا يتمكّن من التفكير في شيء آخر، خاصّة وهو يتخيل الركب ينتقل من مكان لآخر، فاذا عجز أبو حمّو أن يكون معهم بشخصه، فإنّ القلب قد مضى معهم وتركه وحيداً في مغربه يشكو الألم والحسرة.

ويقول الشاعر دائماً في نفس الموضوع :

فَيَا حَادِيَّ الْعَيْسِ نَحْوَ الْحَمَى *** إِذَا جِئْتَ ذَاكَ الْجَنَابَ الرَّحِيْبَا

وَرَادَ الْهَوَى حِينَ زَادَ النَّوَى *** وَجِئْتَ اللَّوَى وَاعْتَمَدْتَ الْكَثِيْبَا²

تجسّدت صيغة (افتعل) متمثلة في الفعل (اعتمدت) للدلالة على المطاوعة، فالشاعر لا ينفك يعود ليناقدش الفكرة نفسها، ولعل السبب في ذلك أنّ جلّ قصائد أبي حمّو التي وردت في واسطة السلوك، كانت في الشعر الديني وبالتحديد (المولديّات) التي كانت تتشأ خصيصاً

¹-موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان-المصدر السابق -ص30.

²-المصدر نفسه-ص195.

من أجل ذكرى المولد النبوي الشريف، لذا كانت جميع القصائد تصبّ في نفس قالب تقريبا وتقرز نفس الأفكار والمواضيع، وتكاد تخلو من التجديد إلا فيما ندر، وعليه ومن خلال هذين البيتين يبيّن الشاعر مدى تأثره بسبب عدم تمكّنه من الذهاب إلى البقاع المقدّسة، ممّا وُلد في نفسه حسرة كبيرة لا مثيل لها، جعلته يشعر بالغيرة اتجاه أولئك الذين تمكّنوا من الرحيل، في حين عجز هو بسبب أعباء الحكم والسياسة.

8-صيغة (انفعل):

وهي كأختها (افتعل) تأتي بمعنى واحد، المطاوعة، مثلما عرّفها صاحب الكتاب في الصّفحات السابقة.

وردت هذه الصيغة بصورة قليلة في شعر أبي حمّو، فقد تواترت مرّتين (02) بنسبة قدرّت بـ(0.95%)، وقد احتلت الرتبة الأخيرة من مجموع الصيغ المستعملة، وممّا قاله الشاعر مستخدما هذه الصيغة:

سَيْفِي إِنْ مِلْتُ بِقَائِمِهِ *** أُنْذِي الْمُرَاقَ إِلَى الْأَجْلِ¹

وَكَذَا كَفَّأَيِ إِذَا انْبَسَطَتْ *** مَنْ كَانَ مُقَلًّا عَادَ مَلِي

جاءت صيغة (انفعل) مجسّدة في الفعل (انبسطت) ليفيد معنى المطاوعة للدلالة على تناسب أبي حمّو مع الحكم والقيادة، فكلّ صفات الملك الحقيقي تتوفر فيه، فهو مقاتل شجاع لا يهاب ساحات الوغى ولا قدوم المنايا، يدافع عن الحق بسيف مسلول قد شهره في وجه كل خارج أو مارق، كما أنّه مثال للملك الذي يعتني برعيّته ويهتم بشؤونها، من خلال بسط يديه بالكرم والجود في وجه كل مقل ومحتاج، كي ينهل من فيض عطائه ويعود إلى أهله فرحا مسرورا.

¹موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان -المصدر السابق -ص25.

ومما قاله الشاعر أيضا:

وَرَجَرْتُ النَّفْسَ فَمَا انْزَجَرْتُ *** وَنَهَيْتُ الْقَلْبَ فَلَمْ يَرْمِ

وَنَذِيرُ الشَّيْبِ لَقَدْ وَافَى *** وَحُلُولُ الشَّيْبِ مَعَ الْهَرَمِ¹

9-صيغة (استفعل):

تكون غالبا للطلب والسؤال مثل: استغفرت الله، أي: طلب المغفرة.²

وقد كان حضور هذه الصيغة قليلا مقارنة بالصيغ الأخرى، حيث تواترت مرتين (02) بنسبة تقدر بـ(0.95%)، احتلت بذلك الرتبة الأخيرة مناصفة مع صيغة (انفعل)، ومما قاله الشاعر مستخدما هذه الصيغة:

وَأَشْرَقَتِ الْأَنْوَارُ مِنْ نُورِ أَحْمَدَ *** فَمِنْهُ اسْتَفَادَ الْكَوْنُ كُلَّ الْمَبَاهِجِ

فَبَدَرُ الدُّجَى وَالْأَنْجُمُ وَالزَّهْرُ كُلُّهَا *** وَشَمْسُ الضُّحَى مِنْ نُورِهِ الْمُتْبَالِجِ³

تمثلت صيغة (استفعل) في الفعل (استفاد) لذي يدل على الطلب، حيث كان ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم فرحة وبهجة لكل الكون وليس للناس فقط، فهو من كان الكون أجمع في انتظاره ليستقي منه كل المباهج، فهو مصدر كل نور في هذا العالم، فأيات الكون جميعا (البدر، الدجى، النجوم، الزهر، الشمس، الضحى) استمدت نورها وضياءها من نوره وضياءه صلى الله عليه وسلم، كأن كل هؤلاء كانوا في انتظار مولده السعيد ليتألقوا ويشعوا مستمدين طاقتهم من ألقه الغامر وشعاع نوره القوي، وفي هذا مجاز جميل، يحيل المعنى إلى

¹-موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان-المصدر السابق - ص29.

²-مصطفى الغلابيني-جامع الدروس العربية-ص156.

³-موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان-المصدر نفسه -ص198.

بيان عظمة وقدر الرسول الكريم، والتأكيد على المكانة الخاصة والمبجلة التي خصّها به المولى عزّ وجلّ دون جميع الكائنات والخلائق.

ويقول أبو حمّو أيضا:

طَرَفْتُ بِرَأْسِي وَاسْتَفْرَيْتُ بِالْكَرَى *** وَكَمْ مِنْ لَيْالٍ بَتُّهَا غَيْرَ نَائِمٍ

وَجَدَدْتُ فِي قَصْدِ السَّرَايَا مُسْرِبًا *** بِسَيْرٍ حَثِيثٍ أَوْ سَرَى مُدَاوِمًا¹

تمنّلت صيغة (استفعل) في هذين البيتين بالفعل (استفريت) وهو يدل على سعي النوم في طلب الشاعر، حتّى ينال بعضا من الراحة، غير أنّ هذا الأخير لا وقت لديه للنوم والراحة، لأنّه بصدد القيام بمهمة عظيمة تتمثل في تحرير مدينته الحبيبة (تلمسان) واستعادة عرش أجداده المسلوب، وهكذا مهمة، لا بدّ لها من الاستعداد الكبير والتخطيط الجيد، وضبط كلّ ما يرتبط بها من حيثيات، وعليه يعجز الشاعر عن النوم، بل ويرفضه إلى حين، وهاهو يشدّ العزم في السّير نحو هدفه العظيم بسير حثيث، يغمره الأمل في أن يجعل الله عزّ وجلّ حلمه حقيقة.

وفي الأخير ومن خلال دراسة البنى الفعلية في شعر أبي حمّو، وجدنا نسبها مختلفة ومتفاوتة في الاستعمال، وذلك يعتمد على حاجة الشاعر إليها في خدمة المعاني التي يريدها، بحسب درجة إثرائها للدلالات الفكرية والفنية لشعره، وقد احتلت صيغة (فعل) الرتبة الأولى، نظرا لسهولة تداولها واحتوائها لمعاني كثيرة ومختلفة، بينما جاءت صيغتي "انفعل" و"استفعل" في آخر الترتيب مناصفة من حيث درجة التوظيف، وقد استطاعت هذه الصيغ و على اختلافها خدمة التجربة الشعرية لأبي حمّو بكلّ ما تحتويه من قيم متعدّدة.

¹-موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان-المصدر السابق -ص38.

المبحث الثاني: بنية الأسماء

1- اسم الفاعل

2- اسم المفعول

3- المصدر الميمي

4- الصّفة المشبّهة

5- مصدر المِرّة

6- صيغة المبالغة

7- مصدر الهيئة

8- اسم المكان

9- النسب

10- اسم الزمان

بنية الأسماء:

1- اسم الفاعل:

يقول سيبويه { وليس بين الفاعل والمفعول في جميع الأفعال التي لحقتها الزوائد إلا الكسرة التي قبل آخر حرف أو الفتحة }¹ كقولنا {مقائل للفاعل ومقائل للمفعول} ² واسم الفاعل إنما يدل على وصف من قام بالفعل.

وقد تصدرت صيغة اسم الفاعل قائمة الصيغ المستخدمة في شعر أبي حمّو حيث تواترت ثلاثا وسبعين (73) مرة، بنسبة تقدر بـ(57.48%).

يقول أبو حمّو في بعض شعره:

دَخَلْتُ تَلِمْسَانَ الَّتِي كُنْتُ أَرْتَجِي *** كَمَا ذَكَرْتُ فِي الْجَفْرِ أَهْلَ الْمَلَا حِمِ

وَخَلَّصْتُ مِنْ غُصَّابِهَا دَارَ مُلْكِنَا *** وَطَهَّرْتُهَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَجَارِمِ

لَقَدْ أَسْلَمُوهَا عُنُودَ دُونَ عُدَّةٍ *** وَقَدْ طَلَّقُوهَا بِالْقَنَا وَ الصَّوَارِمِ ³

وصيغ اسم الفاعل الواردة في الأبيات السابقة هي (باغ، جارم) وقد اشتقت من الفعلين الثلاثيين (بغى، جرم)، وقد جاء استعمال اسم الفاعل هنا للتأكيد على درجة بغى وجرم أولئك الذين فرقوا بين الشاعر ومدينته الحبيبة (تلمسان)، لكنه هيهات، فقد يوم السعد المنشود وتحقق للشاعر ما كان يحلم به طوال الوقت، وهما هو يدخل مدينته منتصرا مفتخرا، تسبقه رايات النصر، دخلها كما كان يتمنى على رأس جيشه ملكا فخورا، لكنّه وفي ذلك الموقف العظيم لا ينسى أن يذكر لأتباعه فضلهم الكبير في تحقيق هذا الحلم، لقد طهر

¹-سيبويه-الكتاب-ج4-ص282.

²-موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان-واسطة السلوك -ج4-ص181.

³-المصدر نفسه -ص41.

الشاعر (تلمسان) من غصّابها وخلصها ممّا كانت تعانيه من أسر على أيدي أعدائه، كما قضى الشاعر على البغاة والطغاة الذين دنسوا مدينته وطهرها منهم، لقد كان جيش أبي حمّو كبيراً وقويّاً، ممّا بثّ الرعب والهلع في قلوب أعدائه، وبالرغم من ذلك قاوم أعداؤه بشدّة حفاظاً على عرش (تلمسان)، لكنّهم عجزوا في الأخير عن مواصلة القتال بسبب إصرار الشاعر وقوّة أتباعه، وهكذا استطاع أبو حمّو أن يجلس على عرش الحبيبية (تلمسان) مرّة أخرى.

وممّا قاله الشاعر مستخدماً اسم الفاعل دائماً:

وَنَذِيرُ الشَّيْبِ لَقَدْ وَافَى *** وَحُلُولُ الشَّيْبِ مَعَ الهَرَمِ

وَالعُمُرُ تَوَلَّى مُنْصَرَمًا *** أَهْ لِعُمُرِ المُنْصَرَمِ

وَكَذَا الأَيَّامُ لَهَا عِبْرٌ *** وَلِيَالِي الدَّهْرِ كَمَا الحُلْمِ¹

جُسدت صيغة اسم الفاعل في هذه الأبيات من خلال الاسم (منصرماً) وقد صيغ من غير الثلاثي، وفعله هو (انصرم)، وجاء للدلالة على أسف أبي حمّو الذي ينصرف عمره يوماً بعد يوم أمام عينيه والأمر واضح لا يحتاج إلى دليل، فكفى بالشيب (الذي هاجم سواد رأسه وانتصر عليه) دليلاً قاطعاً على ذلك، ويظهر الشاعر حيرته من صروف الدهر وعبره، كيف تتقضي أيام الشباب هكذا سريعاً دون أن ينتبه لها الإنسان، وكأنّها تسرق من بين يديه، وكيف تتحوّل أيام القوّة والفتوّة والعنفوان إلى ماضٍ جميل يتذكّره المرء، كأنّه حلم جميل عاشه، وعند صحوه من غفوته ذهب وانقضى، وما كلّ ذلك إلّا إعلان عن دنوّ ما كان يهرب منه دوماً واقترابه.

وقال الشاعر أيضاً في مقام آخر:

فَهَذَا أُسِيرُ صَفَدَنَّهُ يَدُ الوَغَى *** وَهَذَا قَتِيلٌ فِي عَجَاجِ المَصَادِمِ

¹-موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان-المصدر السابق -ص29.

فَطُوبَى لِعَبْدِ الْوَادِ عِنْدَ اِزْدِحَامِهِمْ *** لَقَدْ جَدَلُوا فِي الْحَرْبِ كُلِّ مُزَاحِمِ

وَجَالَتْ خَيُْولُ الْعَامِرِيَّةِ فَوْقَهَا *** أُسُودُ الشَّرَى فِي مَوْجِهَا الْمُتَلَاظِمِ¹

ضمّت هذه الأبيات صيغتين لاسم الفاعل وهي (مزاحم، متلاطم) وقد صيغت من الأفعال (زاحم، تلاطم) على وزن غير الثلاثي، وأراد الشاعر من خلالها أن يعبر عن عظمة المعركة التي خاضها مع جنوده ضدّ أعدائه المرينيين، فقد استدلّ باسم الفاعل (مزاحم) على كثرة أجناده واستبسالهم في القتال وبذل النفس خدمة لمصلحة القبيلة (عبد الواد)، كما استدلّ باسم الفاعل (المتلاطم) على هول المعركة التي كانت حامية الوطيس يواجه فيها الفارس الفارس دون رحمة ولا شفقة، وقد كانت ساحة المعركة يومئذٍ تعجّ بالخيل والجنود واحتدم فيها قتال منقطع النظير، ويبدو من خلال أبيات الشاعر أنّه يفتخر ويعتدّ بنفسه وبقبيلته الأعر، ويشير إلى قوتهم وعلوّ شأنهم بين كلّ القبائل، كما يشير إلى انهزام المرينيين وانتصاره الكبير عليهم، وتمكّنه من استعادة ملكه بعد هذه المعركة المصيريّة، وقد كان المشهد الذي علق بذهن الشاعر منظر الأسرى والقتلى من أتباع الفريق الآخر.

2- اسم المفعول:

{هو ما دلّ على الحدث والحدوث وذات المفعول (كمقتول، ومأمور) فهو لا يفترق عن اسم الفاعل إلا في الدلالة عن الموصوف، فإنّه في اسم الفاعل يدلّ على ذات الفاعل كقائم، وفي اسم المفعول يدلّ على ذات المفعول كمنصور}²

وقد تواترت صيغة اسم المفعول في شعر أبي حمو اثنا عشرة (12) مرّة، بنسبة قدرت بـ(09.44%)، وقد احتلتّ بذلك الرتبة الثانية بعد اسم الفاعل، قال الشاعر مستخدماً هذه الصيغة:

¹موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان-المصدر السابق ص-40.

²-السامرائي-فاضل صالح-معاني الأبنية في العربية-دار عمّار للنشر والتوزيع-ط1-عمّان-2005-ص52.

فَبِفَضْلِ اللَّهِ وَمِنْتِهِ *** أُرْشِدْتُ إِلَى أَهْدَى السُّبُلِ

وَأَنَا أَرْجُو مِنْ رَحْمَتِهِ *** أَنْ يَغْفِرَ لِي يَوْمَ الْحَجَلِ

بِعِنَايَةِ أَحْمَدَ سَيِّدِنَا *** وَهُوَ الْمَبْعُوثُ إِلَى الْمَلِّ 1

ورد اسم المفعول في هذه الأبيات ممثلاً في (المبعوث) الذي يدل على وقوع الفعل عليه، وقد استخدمه الشاعر للدلالة على اختيار المولى عز وجل للنبي محمد صلى الله عليه وسلم لبيعته لكافة الناس والأجناس شفيحاً ونذيراً، وهذا النبي صاحب مكانة عظيمة عند خالقه، لذلك يرجو أبو حمو شفاعته عند الله تعالى، كي يغفر له ويتجاوز عن أخطائه وزلاته، يوم الموقف الأعظم، يوم يقف العبد بين يدي خالقه خجلاً مما اقترفته يداه، وقد بدأ الشاعر أبياته شاكراً الله سبحانه وتعالى على فضله ومنته أن هداه وأرشدته إلى سبل الخير والصلاح، فلم يكن بفضل المولى عز وجل رجل سوء ولم يحد يوماً عن طريق الخير.

ومما قاله أبو حمو أيضاً:

وَقَدْ عَادَ ذَلِكَ الْجَمْعُ مِنْهُمْ مُكْسَرًا *** يَجْمَعُ لَنَا بَيْنَ الْكَتَائِبِ سَالِمِ

فَرَامَتْ مَرِينُ الصُّلْحِ بَعْدَ فِرَارِهَا *** وَقَدْ ظَلَمُوا عَمْدًا وَلَسْتُ بِظَالِمِ

فَلَا صُلْحَ حَتَّى تُضْرِمَ الْحَرْبُ نَارَهَا *** وَتَسَاقِطَ الْأَبْدَانُ تَحْتَ الْجَمَاجِمِ 2

تمثل اسم المفعول في الاسم (مكسراً) الذي دلّ على وقوع الفعل عليه، وقد دلّ استخدامه على تغلب جيش أبي حمو على أعدائه وهزيمتهم شرّ هزيمة، شبهها الشاعر بالتكسير كأنهم شيء جامد لا قيمة له، وبسبب هذا الانتصار المبهر، علمت مريّن أنّه لا يمكنها بأي شكل من الأشكال القضاء على أبي حمو، وعليه جاءت تسعى طامعة في صلح

1- موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان - واسطة السلوك - ص 25.

2- المصدر نفسه - ص 41.

يمكنها من التقاط أنفاسها، وإعادة ترتيب أوراقها، لكنّ الشاعر يأبى ذلك ويرفضه بشدّة لأنّهم من بدأ الظلم، بينما هو مجرد مدافع عن النّفس، وهكذا قطع الطريق على أطماع المرينيين وأكّد على استمرار القتال والذّبّح والتقتيل، حتّى يستعيد الشاعر كلّ حقوقه المسلوبة.

ويقول الشاعر أيضا مستخدما اسم المفعول:

والدَّارُ تَعْرُ بِسَاكِنِهَا *** وَيَحِ الْمَغْرورِ بِهَا النَّهَمَ

يَا نَفْسُ خُدِعْتِ بِزُخْرِهَا *** كَمْ تَعْتَرِينَ بِهَا وَكَمْ¹

جاء اسم المفعول ممثلا بالاسم (المغرور)، واستخدمه الشاعر من أجل الدلالة على أنّ الدنيا قد غرّته بزيفها وزخارفها مستغلّة في ذلك طمع الإنسان ونهمه، فهو لا يشبع منها مهما أخذ ونهل، لأنّ جوعه وعطشه لا ينفذا، وعليه نجده يلوم نفسه ويحمّلها كلّ المسؤوليّة في ذلك لأنّها خدعت وانجرت وراء شهواتها، ولم تبدي أيّ مقاومة، فحكمت بذلك عليه بالهلاك والخسران.

3-المصدر الميمي:

يعرّفه صاحب الكتاب قائلا: {أما ما كان من فعل يفعل، فإنّ موضع الفعل مفعول، وذلك قولك: هذا محبسننا... فإذا أردت المصدر بنيته على مفعول وذلك قولك: إنّ في ألف درهم لمضربا، أي لضربنا}²

وقد تكرّر المصدر الميمي في شعر أبي حمّو تسع مرّات (09) بنسبة (07.08%) وقد احتلّ بذلك المركز الثالث بين جميع الأسماء المستخدمة، ومما قاله الشاعر مستخدما هذه الصّيغ:

¹-موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان-المصدر السابق -ص29.

²-سيبويه-الكتاب-ج4-ص87.

هُوَ الرَّحْمَةُ الْهَادِي الْمَشْفَعُ فِي عَدِّ *** هُوَ الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارُ يُلْهِمُنَا الرُّشْدَا

هُوَ الذُّخْرُ لِلْهُوْلُ الشَّدِيدِ إِذَا أَتَى *** وَمَنْ سِوَاهُ لِلْمُخَافِ إِذَا اشْتَدَّ¹

تمثّلت صيغة المصدر الميمي في البيتين السابقين في لفظ (المخاف) وقد جاء على وزن (مفعل) من الفعل الثلاثي (خاف)، وقد وظّفت هذه الصيغة للدلالة على شدة خوف الشاعر من الوقوف بين يدي المولى عزّ وجلّ وهو مثقل بذنوب لا حصر لها، لكن علمه بشفاعة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم في أمته يخفّف عليه ما يلاقي، لذلك نجده يمدح نبيّه عليه الصلاة والسّلام بما خصّه الله به من قدر عظيم، فهو كما وصفه ربّه، هادي الأمتة، يدلّ على أهدى السبيل، كما أنّه صلّى الله عليه وسلّم الذخر الحقيقي لكلّ مسلم، فمحبّته واتباع هديه، توجب للمسلم شفاعته فيه يوم الهول العظيم، وعليه يشعر الشاعر ببعض الأمان حين يفكّر في تميّز الأمتة الإسلامية بهذه النعمة وطمعه المحمود في أن يكون أحد أولئك المشفّعين يوم القيامة.

ويقول أبو حمو في مقام آخر مستخدماً المصدر الميمي:

تُشَاغِلُنِي الدُّنْيَا وَنَفْسِي وَالْهَوَى *** وَتُبْعِدُنِي مِنْ بَعْدِهَا مَا أَظْهَرْتَ وُدًّا

وَلَسْتُ بِسَالٍ عَنْ هَوَاهَا كَأَنَّي *** أَشَابَهُ بِشْرًا فِي مَحَبَّتِهِ هِنْدَا

لُبَانَةُ دَهْرِي قَدْ انْقَضَتْ وَقَدْ مَضَتْ *** وَجَيْشُ شَبَابِي بِالْمَشِيبِ قَدْ قُدًّا

وَيَا لَيْتَ شِعْرِي بِالزَّمَانِ الَّذِي مَضَى *** أَيْرْجِعُ مَرُّ الْعَيْشِ مِنْ بَعْدِهِ شَهْدَا²

ورد المصدر الميمي في قول الشاعر (محبته) وقد جاء على وزن (مفعل) المصاغ من الفعل غير الثلاثي (أحب) على صيغة اسم المفعول من غير الثلاثي، وقد وظّف هذا

¹-موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان-واسطة السلوك -ص200.

²-المصدر نفسه -ص199.

المصدر ليستدل من خلاله على فرط حبه وشغفه بالمحبيب، وهذه الأبيات الغزليّة استعملها الشاعر في بداية قصيدة تنتمي للشعر الديني، وعليه الحبيب هنا يرمز إلى المولى عزّ وجلّ، فالشاعر يرى حاله في القرب والبعد عن الله غير مستقرّة لكن الثابت عنده هو هذه المحبّة العظيمة التي يكتنّها لخالقه بالرّغم من تقصيره أحياناً، وهو يتساءل عن إمكانية أن يعود به الزّمان للوراء حتّى يصلح ما قد أفسده في سالف أيّامه، لأنّه يرى ما حلّ به الآن من تقدّم في السنّ، وانتشار للشيب، وتراجع لعهد الشّباب، وكلّها علامات جاءت لتنتذره من قرب ما كان يخافه، الموت والحساب، وفي تساؤله ذلك تصريح بالندم والحزن، وإعلان عن توبة صادقة لا يعتربها أي تشكيك، لأنّه في هذه المرحلة من حياته قد أدرك حقيقة الحياة، التي انساق ورائها مدفوعاً بغرور نفسه وجموح هواها.

ويقول الشاعر أيضاً في قصيدة أخرى:

في القلبِ شَجَى كَيْفَ الْمَنْجَى *** لِمَنْ الْمَلْجَا بَارَتْ حَيْلِي

إِثْمِي كُنْزًا، شَيْبِي ظَهْرًا *** وَقَدْ اسْتَهْرًا وَالْأَمْرُ جَلِي¹

تمثّلت صيغة المصدر الميمي في (المنجى، الملجا) وكلاهما على وزن (مفعل) وقد صيغا من الفعلين الثلاثيين (نجا، لجا)، وقد استعملها الشاعر للدلالة على حيرته الكبيرة، فهو يبحث عن مكان يهرب فيه من عظيم إثمه وذنبه، هذه الذنوب والآثام التي أدمت قلبه وعصرته ألماً، خاصّة وهو يرى جيش المشيب يغزو ساحته وبسيطر عليها، هذا ما وُلد خوفاً شديداً لدى الشاعر لأنّه يعلم بأن هذا الشيب قد جاء ليذكّر باقتراب موعد لا مفرّ منه.

4- الصّفة المشبّهة:

¹ -موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان -المصدر السابق -ص24.

يقول عنها سيبويه: {هذا باب الصفة المشبهة بالفاعل فيما عملت فيه ولم تقو أن تعمل عمل الفاعل لأنها ليست في معنى الفعل المضارع، فإنّما شبّهت بالفاعل فيما عملت فيه، وما تعمل فيه معلوم، إنّما تعمل فيما كان من سببها معرّفا بالألف واللام أو نكرة، لا تجاوز هذا، لأنّه ليس بفعل ولا اسم هو في معناه¹}

وقد ترددت في شعر أبي حمّو ثمان مرّات (08) بنسبة (06.29%)، وهي تحتل الرتبة الرابعة من بين الصيغ المستخدمة، ومن بين أمثلة هذه الصيغ في شعر أبي حمّو:

فَأَكْرِمُ بِشَهْرٍ حَوَى كُلَّ فَخْرٍ *** مَوْلُدُ بَدْرِ بَدَا لَنْ يَغِيْبَا

كَرِيمُ السَّجَايَا عَظِيمُ الْمَزَايَا *** جَزِيلُ الْعَطَايَا جَمِيلًا وَهُوبًا²

تمنّلت صيغ الصفة المشبهة في هذين البيتين في الألفاظ (كريم، عظيم، جزيل، جميلا)، وقد جاء تكرار هذه الصيغة بهذه الكثافة في بيت واحد لتقوية المعنى لأنّها تستعمل لتمييز خاصيّة الموصوف عن غيره، واستعملها الشاعر للدلالة على عظمة النبي محمد صلى الله عليه وسلّم، الذي خصّه المولى عزّ وجلّ بكل خلق عظيم، فهو صاحب سجيّة نقيّة، خصه خالقه بكل المزايا الكريمة، كما كان عليه الصلاة والسلام مثالا يحتذى به في الكرم والجود ولا يبخل بكل ما عنده. وبالإضافة إلى جمال أخلاقه عليه الصلاة والسلام، فقد جمّل المولى عزّ وجلّ وجهه إذ جعله قطعة من بدر عند الاكتمال، يبيّث نوره أينما حلّ، لذلك كان لزاما على الشهر الذي ولد فيه أن يفتخر بنفسه ويعتدّ بها أمام كلّ أشهر السنّة فهو قد نال شرفا عظيما لم يخصّ به الله أيّ شهر آخر.

ويقول أبو حمّو أيضا:

أَسِيرُ هَوَاكُمُ قَتِيلُ نَوَاكُمُ *** عَلَّ رِضَاكُمُ يَكُونُ قَرِيْبَا

فُوَادِي عَلِيْلٌ، جِسْمِي نَحِيْلٌ *** سَقَمِي طَوِيْلٌ قَدْ أَعْيَا الطَّبِيْبَا¹

¹- سيبويه-الكتاب-ج1-ص194.

²- موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان-واسطة السلوك-ص195.

تمثّلت صيغة الصّفة المشبّهة في البيتين السّابقين في لفظتي (نحيل، طويل) على وزن (فعليل)، فالحبّ قد أعى فؤاده، والبعد قد قتله، وما نحول جسمه إلّا دليل على ذلك، كما أنّ هذا السّقم الطويل الذي لم يجد له الشاعر أيّ دواء، قد أعى كلّ طبيب، لأنّ دواءه يكمن في دائه، وهو الحبيب الذي أتعبه بعدا وصدّا، ولا شفاء له من كلّ ما يلاقيه إلّا برضى هذا الحبيب ووصله.

5- مصدر المرّة:

مما قاله سيبويه عنه إذا أردت المرة من الفعل جنّت به أبدا على فعله على الأصل، لأنّ الأصل فعل² وهو يدلّ على وقوع الفعل مرّة واحدة.

وقد تكرّر مصدر المرّة في شعر أبي حمّو ست (06) مرّات بنسبة قدرّت بـ(04.72%)، واحتلّ الرتبة الخامسة، يقول الشاعر:

سَأَلْتُكَ يَا خَالِقِي تَوْبَةً *** مَازَلْتُ لِسَائِلِينَ مُجِيبًا
وَأَنْتَ رَقِيبِي يَوْمَ الْحِسَابِ *** كَفَى بِكَ يَوْمَ الْحِسَابِ رَقِيبًا³

ورد مصدر المرّة في هذا المثال متمثّلا في لفظة (توبة)، وقد استخدمه الشاعر للدلالة على رغبته الشديدة والصّادقة في الأوبة والرجوع إلى رحاب الله تعالى، طالبا من خالقه توبة واحدة يتوب بها عليه تمحي كلّ ما اقترفت يده من خطايا، وكأنّه أراد القول أنّ هذه التوبة الأخيرة التي يأمل من خلالها التّعويض على ما فاتته من عمل الخيرات والإحسان في سابق أيّامه.

ومما قاله الشاعر أيضا مستعملا مصدر المرّة:

كَرَرْنَا عَلَيْهِ كَرَّةً بَعْدَ كَرَّةٍ *** وَقَدْ سَعَرْتُ لِلْحَرْبِ نِيرَانُ جَاحِمٍ

¹ -موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان -المصدر السابق -ص195.

² -سيبويه -الكتاب -ج4-45.

³ -موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان -المصدر نفسه -ص195.

بِضَرْبِ يُزِيلُ الهَامَ عَن مُسْتَقَرِّهِ *** وَطَعْنِ مَضَى بَيْنَ الكِلَا وَ الحَيَازِمِ¹

وقد تمثل مصدر المرّة في هذين البيتين في لفظة (كِرّة)، حيث عمد الشاعر إلى تكرارها مرتين على التوالي ليؤكد من خلالها على دقّة الهجمات التي قام بها أبو حمّو وأتباعه على جيش العدو بحيث كثّفوا هجومهم المرّة تلوى الأخرى، نكلوا من خلاله بأجناد مرين شرّ تنكيل، إذ قتلوا وقطّعوا الرؤوس وضربوا مواضع الكلى والحيازم، وقد اشتدّ القتال وسعرت نار الحرب معلنة انتصار صاحب الحق على من ظلمه .

ويقول الشاعر أيضا في نفس الموضوع:

جَعَلْنَا كِرَادِيسَنَا عَلَى كُلِّ رِبْوَةٍ *** وَطَالَتْ رِقَابُ الأُسْدِ تَحْتَ العِمَائِمِ

شَدَدْنَا عَلَيْهِمُ شَدَّةً بَعْدَ شَدَّةٍ *** فَوَلُّوا فِرَاراً وَ التَّجُّوا لِلْمَعَاصِمِ²

يبدو مصدر المرّة ممثلاً بلفظة (شدة) التي تكررت كذلك مرتين على التوالي موحية بشدّة القتيل الذي تلقاه الجيش المريني وأفراده على يدي جنود أبي حمّو، حيث صور الشاعر حجم القتل الذي دفع بأبي حمّو وأتباعه إلى وضع كراديس من القتلى فوق كلّ ربوة، أمّا من نجا من الموت فقد لاذ بالفرار هاربا بحياته، وهذا الانتصار أسعد الجنود الذين طالت رقابهم تحت العمام.

6-صيغة المبالغة:

عرّفها سيبويه قائلا: (وأجروا اسم الفاعل، إذا أرادوا أن يبالحوا في الأمر مجراه إذا كان على بناء فاعل، لأنّه يريد به ما أراد بفاعل من إيقاع الفعل، إلّا أنّه يريد أن يحدث المبالغة،

¹-موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان -المصدر السابق -ص40.

²-المصدر نفسه-الصفحة نفسها.

فما هو الأصل الذي عليه أكثر هذا المعنى: فعول وفعّال ومفعال، وفعل، وقد جاء: فعيل كرحيم وعليم وقدير وسميع وبصير¹

وقد وردت صيغة المبالغة في شعر أبي حمّو خمس (05) مرّات، بنسبة تقدّر بـ(03.93%)، واحتلت بذلك الرتبة السادسة من بين الصيغ المستعملة، ومن بين أمثلة هذه الصيغ في شعر أبي حمّو:

وَلِلَّهِ مِنْ قَلْبٍ لَهُ عَيْرٌ نَائِمٌ	***	وَجِسْمٌ إِلَى السَّبْعِ السَّمَاوَاتِ عَارِجٌ
وَمِنْ نَهْرٍ بِمَاءٍ قَدْ جَرَى بَنَانُهُ	***	وَبَحْرٌ عَطَاءٍ بِالنَّدَى مُتَمَّاجٌ
أَجَلٌ نَبِيٍّ فِي الْخَلَائِقِ شَافِعٍ	***	وَلِلْوُجُودِ بَدَّالٌ وَلِلْكَرْبِ فَارِجٌ ²

تمثلت صيغة المبالغة في الأبيات السابقة في لفظة (بدّال) على وزن (فعّال)، وقد استدلل بها الشاعر على تميّز النبي محمّد صلّى الله عليه وسلّم بأجلّ الصفات وأنبل الأخلاق فهو بحر عطاء لا ينفذ عطاؤه، فقد كان عليه الصلاة والسلام كريماً على قلة ما كان يملكه، كما يذكر الشاعر بعض ما تميّز به هذا النبي الكريم من معجزات خصّه بها المولى عزّ وجلّ تعظيماً لقدره، كمعجزة الإسراء والمعراج، ومعجزة تكثير الماء من بين أصابعه الشريفة، وفضل الشفاعة في الأمة الإسلامية يوم الهول العظيم.

7- مصدر الهيئة:

وهو {باب ما تجيء به الفعلة تريد بها ضرباً من الفعل وذلك قولك: حسن الطعمة، وقتلته قتلة سوء، وبئست الميتة، وإنّما تريد الضرب الذي أصابه من القتل، والضرب الذي هو عليه الطعم، ومثل هذا الركبة والجلسة والقعدة¹

¹سيبويه-الكتاب-ج1-ص110.

²موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان -واسطة السلوك -ص199.

ورد مصدر الهيئة في شعر أبي حمّو أربع (04) مرّات بنسبة (03.14%) وقد احتلّ بذلك الرتبة السابعة بمعية الأسماء المنسوية واسم المكان، ومن الأبيات التي ضمّت مصدر الهيئة، يقول الشاعر:

وسرّت على جَوْنٍ أَقْبُ مُضْمِرٍ *** كَلْمَعَةٌ بَرْقٍ أَوْ كَلْمَحَةٌ صَارِمٍ

وَجُلْتُ بِطَرْفِ الطَّرْفِ فِي عَرَصَاتِهَا *** كَجَوْلَةٍ وَاهٍ أَوْ كَوَقْفَةٍ هَائِمٍ²

وتمثّل مصدر الهيئة في ألفاظ (لمعة،لمحة،جولة،وقفة)،وقد استعملها الشاعر ليصف بها أولاً حصانه المتميّز الذي يسابق الريح في سرعته حتّى يخيل للمرء أنّه لمعة برق أو لمحة سيف بتّار، ثمّ استخدم أبو حمّو مصدر الهيئة ليصف حالة الشوق والحنين التي كان يعيشها لحظة دخول تلمسان حيث جال بطرفه في أرجائها، واه حائر، ووقف يتأمّل مدينته الحبيبية وقفة هائم لا يصدّق أنّه قد اجتمع بها أخيراً بعد أن مكّنه الله تعالى من التغلّب على أعدائه وأعدائها.

8-اسم المكان:

عرّف سيبويه اسم المكان وتحدّث عنه في أكثر من موضع ومما قاله عنه: {وربّما بنوا المصدر على المفعول كما بنوا المكان عليه} ³ وقال أيضاً: {ويجيء المفعول اسماً كما في المسجد والمنكب ذلك: المطبخ والمريد وكل هذه الأبنية تقع اسماً لا لمصدر لموضع العمل} ⁴ ورد اسم المكان في شعر أبي حمّو أربع (04) مرّات بنسبة (03.14%)، واحتلّ بذلك الرتبة السابعة من بين الصيغ المستعملة، ومن أمثلة اسم المكان، ما جاء في قول الشاعر:

¹سيبويه -الكتاب-ج4-ص44.

²موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان-واسطة السلوك -ص40.

³سيبويه-الكتاب-ج4-ص88.

⁴المصدر نفسه-ج4-ص92.

حَطَّ العُشَّاقُ رَكَائِبَهُمْ *** بينَ العَلَمَيْنِ والحَرَمِ

وَبَقِيَ المُشْتَأَقُ بِرَفْرَتِهِ *** فِي مَغْرِبِهِ يَبْكِي بِدَمٍ¹

وقد تمثل اسم المكان في هذه الأبيات في لفظ (مغربه) على وزن مفعول، وجاء استعماله هنا للدلالة على بعد المسافة بين أرض الحجاز وبين موطن الشاعر، فالبقاع المقدسة في المشرق بينما هو من أرض المغرب، كما أراد أن يبرز تعلق قلبه بتلك البقاع الطيبة التي عجز عن زيارتها والركوب نحوها كما فعل موكب الحجاج المنطلق من أرض المغرب باتجاه مكة والمدينة، وهذا العجز قد أثار شجون أبي حمو الذي لم يجد إلا البكاء الشديد ليعبر من خلاله على حسرته، وحزن الشاعر كان قويا مما جعله يبكي دما بدل الدموع، وكيف لا وقد حرم من خير كبير لا يعرف قيمته إلا رجل مثله حرمة ظروفه الخاصة من أن ينال ولو اليسير منه.

ومما قاله الشاعر أيضا:

لَقَدْ أَسْلَمُوهَا عُنُوةً دُونَ عُدَّةٍ *** وَقَدْ طَلَّقُوهَا بِالْقَنَا وَالصَّوَارِمِ

وَلَمْ يُغْنِهِمْ مَا شَيَّدُوا مِنْ مَعَاقِلٍ *** وَلَمْ يُجِدِهِمْ مَا حَصَّنُوا مِنْ مَعَاصِمِ²

جاء اسم المكان في قول الشاعر (معاقل، معاصم) بصيغة الجمع، مفردها (معقل، معصم) على وزن مفعول، وقد أراد الشاعر من خلال استعمالها للدلالة على روعة انتصاره على الجيش المريني، فقد تغلب عليهم وهزمهم هزيمة نكراء بالرغم من قتالهم الشديد إلا أنهم واجهوا من هو أكثر منهم شدة، وقد اعتمدوا على تحصنهم في معاقلهم ومعاصمهم إلا أن هذه الأخيرة لم تنجهم من أتباع أبي حمو البواسل الذين قهروهم وأخرجوهم عنوة من تلمسان وأعادوها إلى صاحبها.

9-النَّسَب:

¹-موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان-واسطة السلوك -ص30.

²-المصدر نفسه-ص196.

وهو أن ننسب الاسم بإضافة ياء مشدّدة إلى آخره، تسمّى ياء النسبة، ويقول عنه سيويه {هنا باب الإضافة، وهو باب النسبة} ¹، فهو يرى أنّه باب إضافة ياء النسبة حتّى يصير الاسم منسوباً، غير أنّه لم يصرّح بذلك، ومن أمثلة النسب {الجوديّ، فنقل لأنّها ياء النسبة، فكأنّه أضيف إلى الجود، كقولك: البصريّ والكوفيّ} ².

وقد ورد النسب في شعر أبي حمّو أربع (04) مرّات بنسبة (03.14%)، واحتلّ بذلك الرتبة السابعة إلى جانب مصدر الهيئة واسم المكان، ومن أمثلة النسب عند أبي حمّو:

إِلَّا مَوْلَى يَسْدِي الطُّوَلَا *** رَبِّي الْأَعْلَى مُحَيِّي الدُّوَلِ
أَحْيَاهَا بِي وَبِأَعْرَابِي *** وَأَنَا الزَّابِيّ وَالدُّوَلِ لِي
لِي أَحْيَاهَا لِي أَنْشَاهَا *** لِي أَعْطَاهَا أَزَلَ الْأَزَلِ ³

تمثّل الاسم المنسوب في الأبيات السابقة في لفظ (الزّابيّ) فقد نسب الشاعر نفسه إلى الزّاب وهو ليس كذلك، وإنّما فعل هذا للدلالة على خالص امتنانه لأعراب الزّاب الذين احتضنوا رغبته في إحياء دولة أجداده وأعانوه على تحقيقها، حيث كان لهؤلاء خاصّة الفضل الأعظم في تحويل حلم الشاعر إلى حقيقة حيّة يعيشها كلّ يوم، وعليه جاء النسب ليؤكد على ارتباط أبي حمّو بأولئك القوم وشعوره الكبير بالانتماء لهم اعترافاً بمزيتهم، وكشكل من أشكال الشكر والامتنان.

ويقول أبو حمّو أيضاً:

فَيَا حَادِي الْعَيْسِ نَحْوَ الْحَمَى *** إِذَا جِئْتَ ذَاكَ الْجَنَابِ الرَّحِيْبَا
وَرَادَ الْهَوَى حِينَ زَالَ النَّوَى *** وَجِئْتَ اللَّوَى وَاعْتَمَدْتَ الْكَثِيْبَا

¹-سيويه-الكتاب-ج3-ص335.

²-الأخفش-معاني القرآن-تحقيق: فائز فارس الغنطاس-الكويت-ط1-1979-ص353.

³-موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان-واسطة السلوك-ص25.

لِقَبْرِ التُّهَامِيِّ لِبَدْرِ التَّمَامِ *** لَخَيْرِ الأَتَامِ شَفِيعًا حَبِيبًا¹

جاء النسب في هذه الأبيات في قول الشاعر (التّهامي)، وذلك للدلالة على انتماء النبي صلى الله عليه وسلم إلى أرض تهامة، التي ترمز في عيني الشاعر إلى أرض الوحي، فشوق أبي حمّو إلى البقاع المقدّسة ليس له نظير، هاهو يذكر حادي العيس إذا وصل إلى تلك الأرض الطاهرة ووطئ بقدميه تراها الطيب، ألا ينسى تبليغ سلامه لقبر الرسول الكريم.

وقال الشاعر في مقام آخر:

نُطَارِدُ فِيهَا الخَيْلَ بِالخَيْلِ مِثْلَهَا *** فَكَانَ عَلَى الأَعْدَاءِ كَرُّ الهَزَائِمِ

حَمَلْنَا عَلَيْهِمْ حَمَلَةً مَضْرِيَّةً *** فَوَلُّوا شِرَادًا مِثْلَ جَفَلِ النَّعَائِمِ²

تمثّل النسب في هذين البيتين من خلال لفظة (مضريّة)، وقد استعملها الشاعر للدلالة على قوّة الحملة العسكريّة التي قام بها ضدّ أعدائه، إذ أنّهم لم يحتملوا المطاردة والضرب الشديد والمستمر فوق رؤوسهم، فلم يجدوا حلاً إلاّ اللّوذ بالفرار خوفاً من قوّة أتباع أبي حمّو والنجاة بأنفسهم.

10- اسم الزّمان:

وقد عرّفه سبويه بقوله: (وقد لا يجيء المفعّل يراد به الحين، فإن كان من فعل يفعل بنيته على مفعّل، تجعل الحين الذي فيه الفعل كالمكان، وذلك قولك: أتت النّاقة على مضربها، وأتت على منتجها، إنّما تريد الحين الذي فيه النتاج والضراب)³

¹ -موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان -المصدر السابق -ص25.

² -المصدر نفسه -ص38.

³ -سبويه -الكتاب -ج4 -ص88.

وقد ورد اسم الزّمان في شعر أبي حمّو مرّتين، بنسبة (01.57%) واحتلّ بذلك الرتبة الثامنة والأخيرة من بين الصّيغ المستعملة، ومن بين ما قاله الشاعر مستعملاً اسم الزّمان:

فَاكْرَمُ بِشَهْرٍ حَوَى كُلَّ فَخْرٍ *** مَوْلِدِ بَدْرِ بَدَا لَنْ يَغِيْبَا

أَجَلُ شَفِيْعٍ مَكِيْنٍ رَفِيْعٍ *** أَتَى فِي رَبِيْعٍ فَأَحْيَا الْقُلُوبَا¹

يتمثّل اسم الزّمان في لفظ (مولد) على وزن مفعّل، واستعمله الشّاعر هنا للدّلالة على فضل الشّهر الذي ولد فيه النّبي صلّى الله عليه وسلّم، على كلّ شهور السنّة، فقد نال الشّرف الأسمى لأنّ خير من وطئت قدماه الثّرى قد ولد في أحد أيّامه الرّكيّة، نبّي اختاره خالقه كي يشفع في أمّته، ذو فضل عظيم على كلّ البشر، بعثه المولى عزّ وجلّ رحمة للعالمين كي يحيي القلوب ويحرّر العقول.

وفي آخر هذه الدّراسة يمكن القول أنّ بنية الأسماء في شعر أبي حمّو قد جاءت متنوّعة، تختلف في نسبة استخدامها، وذلك بحسب حاجة الشاعر إلى توظيفها حيث تصدر اسم الفاعل قائمة البنى الاسميّة المستعملة، يليه اسم المفعول، وتباينت باقي الصّيغ في حجم تواترها، وقد عملت هذه البنى جميعاً على إثراء المعجم الشعري لأبي حمّو وساهمت في التّعبير عن تجربته الشعريّة على اختلاف قيمها الشعوريّة أو الفكريّة.

¹-موسى بن يوسف أبو حمّو بن زيان-واسطة السلوك -ص195.

خاتمة

في آخر هذا البحث ، أستطيع أن أحدّد أهمّ الخطوط العريضة التي ميّزت العمل، من خلال نتائج خاصة، تمّ التوصل إليها وتتمثّل فيما يأتي:

أ/المستوى النظري:

1- أنّ الدولة الزيانية كانت من أهمّ الدّول في المغرب العربي، بسبب ما تميّزت به من رخاء اقتصادي وتطوّر اجتماعي وموقع استراتيجي، غير أنّ توسّطها دولتين تتجاذبانه الدّول الحفصية والمرينية قد جرّ عليها الحروب وعدم الاستقرار بالإضافة إلى التهديدات التي تأتي من وراء البحار كل ذلك تسبّب في ضعفها وعجّل في سقوطها.

2- أنّ أبا حمّو كان أعظم ملك عرفته تلمسان عمل جاهدا على تطويرها حتّى صارت حاضرة تنافس أكبر العواصم الإسلامية آنذاك.

3- لقد اهتم أبو حمّو بالحياة الثقافيّة في تلمسان من خلال تبجيل العلماء وتشجيعهم وتخطيط المدارس والاهتمام بطلبه العلم، حتّى صارت تلمسان منارة ثقافيّة للعلم والأدب.

4- كان لإحياء ليلة المولد النبوي طقوسا خاصّة لدى المغاربة خاصّة عند الزيانيين وعلى رأسهم أبو حمّو الذي أولى رعاية خاصّة لليلة المولد النبوي لما تمثّله من قيمة دينيّة عند المسلمين جميعا.

5- كان مستوى النثر عند أبي حمّو يضاهاى الشّعْر لديه على قلّة ما وصلنا من إنتاجه تمثّل فقط في كتابه المميّز في شكله ومضمونه، واسطة السلوك في سياسة الملوك.

ب/المستوى التطبيقي:

أولا:النثر:

1- كان النثر عند أبي حمّو غنيّا بالانزياح في جميع المستويات ،الإسناد والدّلالة والتركيب والصّوت، وهذا ما أضفى ثراء وتنوّعا في لغة الكاتب وأسلوبه.

- 2- كان للتكرار حضوره القوي في نثر أبي حمّو، تعمّد الأديب استخدامه توكيدا لمفاهيم ودلالات معينة كما أضفى جرسا موسيقياّ بعث الحياة داخل النصوص النثرية.
- 3- استخدم الأديب التناص لكنّه لم يخرج عن التناص الديني بشقيه مع القرآن الكريم والسنة الشريفة، بينما غابت الأنواع الأخرى، وذلك لأنّه يعتمد على التصريح والاستشهاد أكثر من الاقتباس والتضمين .
- 4- كان الاستشهاد وأسلوب الوصية ظاهرتين أسلوبيتين ميّزتا نثر أبي حمّو وأضفتا تميّزا وتفردا لأسلوب الكتاب.
- 5- استخدم الأديب كمعاصريه ألوان البديع في نثره خاصة السجع الذي أشرنا إليه، والذي عبّرنا عنه من خلال الانسجام الصوتي الذي كان يميّز جلّ فقرات الكتاب.

ثانيا: الشعر:

- 1- تنوّع المعجم الشعري لدى الشّاعر، وقد أحسن اختيار المفردات المناسبة للموقف والدلالة المناسبين، فاستطاع هذا المعجم التعبير بصدق عن أفكار ومشاعر الكاتب.
- 2- تنوّعت الجملة في شعر أبي حمّو فقد كانت حاضرة بكلّ أنواعها فعلية واسمية وشرطية وجلّ أنواع الجملة الطلبية، حيث أثرت القوائد الشعرية بتنوّعها وعبرت بصدق عن رغبات الشاعر الفكرية والفنية.
- 3- وظّف الشاعر القاموس اللغوي لديه بحنكة أسلوب وخبرة، حيث عمد إلى تزيين قصائده بالبنيات اللغوية المختلفة الفعلية منها والاسمية، وقد حملها الدلالات التي أراد أن يوصلها للقارئ.

ولا تعدّ هذه النتائج والأحكام نهائيةً أو مطلقة، بل هي نسبية تقبل المناقشة والإضافة، وهي تمثل أقصى ما استطعت الوصول إليه، وأملّي أن أكون قد لامست جانب الصّواب فيها.

المصادر و المراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: القرآن الكريم: رواية ورش- دار الفرقان – ط1- دمشق – 1425هـ.

ثانياً: السنة النبوية الشريفة:

أ - أبو داود، سليمان بن بشير الأزدي السجستاني:

سنن أبي داود - تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون - دار الرسالة العالمية - ط1- 2009 .

ب- مسلم بن الحجاج:

صحيح مسلم - تحقيق: الفاريابي محمد- دار طيبة للنشر و التوزيع - ط1- الرياض - 2006

ج- مسلم بن الحجاج:

مختصر صحيح مسلم - مراجعة وترجمة : أحمد زيدان ودنيا زيدان - دار التوزيع والنشر
الاسلامية - ج1- القاهرة - مصر - 2000 .

د- محمد ناصر الدين الألباني:

سلسلة الأحاديث الضعيفة و الموضوعة وأثرها السيء في الأمة - مكتبة المعارف ط 2 -
الرياض - 1988 - مجلد 3 .

ثالثاً: المصادر :

1- موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان العبد الوادي:

واسطة السلوك في سياسة الملوك - تحقيق: عبد الرحمن عون - دار بوسلامة للطباعة والنشر
والتوزيع - تونس - (د. ت).

رابعاً: المراجع القديمة:

2- ابن الأثير، عزّ الدين أبي الحسن الموصلي:

- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر - تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد - المكتبة
العصرية - بيروت - 1995 - ج 1 .

- أسد الغابة في معرفة الصحابة – دار ابن حزم – بيروت – ط1-2012.

3- ابن الأحمر، أبو الوليد اسماعيل فرج بن نصر الخزرجي:

- تاريخ الدولة الزيدانية بتلمسان - تحقيق : هاني سلامة - مكتبة الثقافة الدينية - بور سعيد - ط1- 2001.
- 4- ابن جني، أبو الفتح عثمان:
- الخصائص- تحقيق: محمد علي النجار- المكتبة العلمية - بيروت - لبنان-(د.ت)-ج2.
- اللمع-تحقيق: حسين محمد شرف- القاهرة- 1979.
- 5-الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان:
- التعريفات - تحقيق: أحمد مطلوب - دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد- العراق- 1986.
- الوساطة بين المتتبي و خصومه- ت: محمد أبو الفضل ابراهيم- مصر- ط3-(د.ت).
- الجمل - تحقيق و تقديم : علي حيدر- دمشق- 1972.
- دلائل الإعجاز- مكتبة الغانجي- ط8 -القاهرة- 1989- وطبعة: دار المعرفة - ط2-بيروت- لبنان-1998.
- 6- ابن الجوزي،أبو الفرج عبد الرحمان بن أبي الحسن:
- صفوة الصفوة- ت:محمود فاخوري - دار المعرفة للطباعة والنشر و التوزيع- ط3- 1985.
- 7- الحاج بن رمضان شاوش:
- باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - 1986.
- 8- ابن خلدون، عبد الرحمان بن محمد الحضرمي:
- التاريخ -ج1- دار الكتب - لبنان - (د.ت)
- المقدمة - تحقيق: حجر عاصي - منشورات دار ومكتبة الهلال - بيروت - لبنان - 1988 .
- 9- الأخفش،أبو الحسن سعيد بن مسعدة البلخي:
- معاني القرآن - تحقيق: فائز فارس - الغنطاس - الكويت - ط 1 - 1979 - ج 2 .
- 10- ابن الخطيب، لسان الدين:
- الإحاطة في أخبار غرناطة - تحقيق: محمد عبد الله - الشركة المصرية للطباعة والنشر ومكتبة الخانجي - ط 1 - القاهرة - 1974 - المجلد 2 .

- المغرب العربي في العصر الوسيط - القسم الثالث من كتاب أعمال الإعلام - تحقيق: محمد ابراهيم الكتاني - دار الكتبة - الدار البيضاء - 1964 .
- 11- الخطيب القزويني، محمد بن عبد الرحمان بن عمر:
- الإيضاح في علوم البلاغة - شرح وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي - مكتبة الأزهرية للتراث - ط3 - 1993 - ج3 .
- 12- ابن رشيق، أبو علي الحسن:
- العمدة في صناعة الشعر -ج1- تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد - دار الجيل - بيروت - لبنان ط 4- 1972 - تحقيق: محي الدين محمد عبد الحميد - طبعة مطبعة السعادة - ط2- 1963 -ج1-
- 13- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي:
- الكشاف - المكتبة التجارية الكبرى - ط1- القاهرة - 1354 هـ - ج1 .
- 14- السكاكي، يوسف بن أبي بكر:
- مفتاح العلوم - صححه: أحمد سعد علي - مطبعة مصطفى البابي - ط1- القاهرة - 1937.
- 15- السراج النحوي، أبو بكر محمد بن السري بن سهل:
- الأصول في النحو - تحقيق: الدكتور عبد الحسين الفتلي - مؤسسة الرسالة - ط2- بيروت - 1987 .
- 16- سيبويه ، عمرو بن عثمان بن قنبر:
- الكتاب - تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون - الهيئة المصرية العامة للكتاب - 1975 - ج4 .
- 17- علي بن أبي زرع الفاسي :
- الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية - طباعة دار المنصور - الرباط - 1972 .
- 18- - العسكري، الحسن بن عبد الله:
- الصناعتين - المكتبة العصرية - بيروت - 1986 .
- 19- ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد:

- البيان المغرب - ج1- بيروت - 1951 .
- 20- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن الدمشقي:
مختصر تاريخ دمشق - تحقيق: ابراهيم صالح - دار الفكر -ط1- دمشق - 1989 .
- 21- ابن عبد البر القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد:
القصود و الأمم في التعريف بأصول أنساب العرب و العجم مطبعة المكتبة العبدرية – النجف – العراق – 1966.
- 22- ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمان القرشي:
- شرح ابن عقيل - تحقيق: محي الدين عبد الحميد - دار العلوم الحديثة - بيروت - لبنان - (د.ت).
- 23- ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن فارس القزويني:
- الصحابي في فقه اللغة و مسائلها و سنن العرب في كلامها - تحقيق: عمر فاروق الطباع - ط1 - مكتبة المعارف - بيروت - 1993 .
- 24- ابن قتيبة ، أبو محمد بن عبد الله الدينوري:
الشعر والشعراء - تحقيق: أحمد محمد شاكر - دار المعارف - القاهرة - مصر - (د.ت) - ج1.
- تحفة الناظر و غنية الذاكر في حفظ الشعائر و تغيير المناكر - تحقيق: علي شنوفي - دمشق - 1967 .
- 25- القلقشندي، شهاب الدين أحمد بن علي:
- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب - القاهرة - 1952 .
- 26- - قدامة بن جعفر، أبو الفرج بن زياد البغدادي:
- نقد النثر - دار الكتب العلمية - بيروت - 1982 .
- 27- القرطاجني، أبو الحسن حازم بن محمد حازم :
- منهاج البلغاء و سراج الأدباء - تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة - دار الغرب الإسلامي - ط2- بيروت - لبنان - 1981 .
- 28- القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى السبتى اليحصبي:

- الشفا بتعريف حقوق المصطفى (ص) - تحقيق: عبده علي كوشك - ط1 - جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم - 2013 .

29- ابن معصوم، علي بن أحمد بن محمد الحسني:

أنوار الربيع في أنواع البديع - تحقيق: شاكِر هادي شكر - مطبعة النعمان - ط1 - العراق - 1969-ج5 .

30- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي:

- مروج الذهب ومعادن الجوهر - المكتبة العصرية - ط1- 2005 .

31- ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف الأنصاري:

أوضح المسالك - دار الجيل للنشر و التوزيع - ط5- بيروت - (د.ت) -ج2 .

32- ابن يعيش، أبو البقاء يعيش بن علي النحوي:

- شرح المفصل - عالم الكتب - بيروت - (د.ت) - ج1 .

33- يحيى بن خلدون، يحيى بن محمد بن الحسن بن جابر:

- بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد - تحقيق: عبد الحميد حاجيات - المكتبة الوطنية - الجزائر - 1980 ج1 .

خامسا: المراجع الحديثة:

34- أحمد السعيد سليمان:

- تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة - دار المعارف - مصر - (د.ت) - ج1 .

35- أحمد حسين الزيات:

- دفاع عن البلاغة - عالم الكتب - ط2 - 1967 .

36- ابراهيم خليل:

- الأسلوبية ونظرية النص - المؤسسة العربية للتوزيع والنشر - ط1- بيروت - 1997 .

37- إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي:

- كشف الخفاء ومزيل الالتهاب عما اشتهر من الأحاديث عن السنة الناس مكتبة القدسي - القاهرة - 1351هـ .

- 38- أحمد مختار العبادي:
- في التاريخ العباسي والأندلسي - دار النهضة العربية - بيروت - 1972 .
- 39- أحمد مختار عمر:
- علم الدلالة - عالم الكتب - ط5- 1998 .
- 40- ابراهيم أنيس:
- من أسرار اللّغة - مكتبة أنجلو المصرية - القاهرة - 1978 .
- 41- أحمد الحملوي:
- شذا العرف في فن الصرف - قدم له وعلّق عليه محمد بن علي المعطي - دار الكيان للطباعة والنشر و التوزيع - الرياض - (د.ت).
- 42- أحمد مصطفى المراغي:
- علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع)- المكتبة العصرية - ط1- بيروت - لبنان -2004 .
- 43- حسن ناظم:
- مفاهيم الشعرية (دراسات مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم) - المركز الثقافي العربي - ط1- بيروت - لبنان - الدار البيضاء - المغرب - 1994 .
- 44- حسن طبل:
- أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية - دار الفكر العربي - القاهرة - 1998 .
- 45- حامد صادق قنبيبي:
- الأدب العباسي (النثر) - دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع - 2008 .
- 46- خليل أحمد عمارة:
- في نحو اللّغة وتراكيبها - منهج وتطبيق - عالم المعرفة - ط1- 1984 .
- 47- رجاء عيد:
- البحث الأسلوبى معاصرة وتراث - دار المعارف - ط1 - مصر - 1993 .
- 48- رشيد العبيدي:

- مباحث في علم اللّغة و اللّسانيات - دار الشؤون الثقافية العامة - ط1 - بغداد - 2002 .
49- رابح بوحوش:
- الأسلوبيات وتحليل الخطاب - منشورات جامعة باجي مختار - عنابة - (د.ت).
50- رحمن غرگان:
- مقومات عمود الشعر - الأسلوبية في النظرية والتطبيق - منشورات اتحاد الكتاب العرب - دمشق - 2004 .
51- زكي مبارك:
- التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق - مطبعة الكتاب العربي - 1954 .
52- زين كامل الخويسكي:
- الصرف العربي (صياغة جديدة) دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية - مصر - 1996 .
53- سليمان داود بن يوسف:
- حلقات من تاريخ المغرب الإسلامي - الجزائر - (د.ت)
54- سعد زغلول فؤاد:
- عشت مع ثوار الجزائر - دار العلم للملايين - بيروت - 1961 .
55- السيّد محمد رشيد رضا:
- ذكرى المولد النبوي - مطبعة المنار - ط1- مصر - 1295 هـ .
56- سامح الرواشدة:
- فضاءات شعرية - دراسة نقدية في ديوان أمل دنقل - المركز القومي للنشر - (د.ت).
57- السامرائي فاضل صالح:
- معاني الأبنية في العربية - دار عمّار للنشر والتوزيع - ط1- عمان - 2005 .
58- سناء حميد البياتي:
- قواعد النحو العربي (في ضوء نظرية النظم) - دار وائل للنشر والتوزيع - ط1 - عمان - الأردن - 2003 .

- 59- السيّد أحمد الهاشمي:
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع - دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع - بيروت - 2000 .
- 60- شكري عياد:
- اتجاهات البحث الأسلوبي - دار العلوم للطباعة - الرياض - 1985 .
- 61- صبري متولي:
- علم الصرف العربي - دار غريب - 2002 .
- 62- طه وادي:
- الأسلوبية ذات المنهج الجديد - مكتبة الآداب (علي حسن) - (د.ت)
63- عبد الله حمّادي:
- دراسات في الأدب المغربي القديم - دار البعث - قسنطينة - الجزائر - 1986 .
- 64- عبد السلام المسدي:
- الأسلوبية و الأسلوب - الدار العربية للكتاب - ليبيا - تونس - 1977 .
- 65- عدنان بن ذرّبل:
- النص و الأسلوبية بين النظرية و التطبيق - منشورات - اتحاد الكتاب العرب - دمشق - 2000 .
- 66- عبد العزيز مطر:
- علم اللّغة و فقه اللّغة - دار قطر بن الفجاءة - قطر - 1998 .
- 67- علي البطل:
- الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري - طبعة دار الأندلس - ط 1 - 1980 .
- 68- عبد الرحمن تبرمسين:
- البنية الإيقاعية للقصيد المعاصرة في الجزائر - دار الفجر للنشر و التوزيع - ط 1 - 2003 .

- 69- عمر خليفة إدريس:
- البنية الإيقاعية في شعر البحري - منشورات قار يونس - ط1 - ليبيا - 2003 .
- 70- عصام شرّيح:
- جمالية التكرار في الشعر السوري المعاصر - دار رند للطباعة والنشر والتوزيع - ط1- دمشق - 2010.
- 71- عزّ الدين إسماعيل:
- الشعر العربي المعاصر (قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية) - دار العودة - ط3 - بيروت - لبنان - 1981 .
- 72- علي العشري زايد:
- استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر المعاصر - دار الفكر العربي - القاهرة - مصر - 1977 .
- عن بناء القصيدة العربية - دار الفصحى - مصر - 1977 .
- 73- عبد السلام هارون:
- تهذيب سيرة ابن هشام - المجمع العلمي العربي الإسلامي - بيروت - (د.ت).
- 74- علي عاشور:
- 5000 حكمة من حكم الإمام علي - مؤسسة التاريخ العربي للطباعة - ط1- 2005 .
- 75- عثمان الكعك:
- موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي - دار الغرب الإسلامي - ط1- 2003 .
- 76- عبده الراجحي:
- التطبيق الصرفي - دار النهضة العربية - ط1- بيروت - لبنان - 1998 .
- 77- عبد اللطيف حماسة:
- بناء الجملة العربية - دار القلم - ط1- الكويت - 1982 .
- 78- عبد اللطيف شريقي - زبير درّاق:
- 260

- الإحاطة في علوم البلاغة - ديوان المطبوعات الجامعية - ط1- الجزائر - 2004 .
79- على محمد الصلابي:
- صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي - دار ابن الجوزي - القاهرة - 2007 - ج2 .
80- عبد الرحمن الجيلالي:
- تاريخ الجزائر العام - ديوان المطبوعات الجامعية - ط7- الجزائر - 1994 - ج2 .
81- عبد الحميد حاجيات:
- أبو حمّو موسى الزباني - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - 1974 .
82- فريد عوض حيدر:
- علم الدلالة (دراسة نظرية وتطبيقية) - مكتبة النهضة المصرية - ط2- القاهرة - 1419 هـ
83- فخر الدين قباوة:
- إعراب الجمل وأشباه الجمل - دار الأصمعي - ط1- حلب - 1972 .
84- قطبي الطاهر:
- بحوث في اللّغة و الاستفهام البلاغي - ديوان المطبوعات الجامعية - ط2- 1994 .
85- قصبجي عصام وأحمد محمد ويس:
- الانزياح في منظور الدراسات الأسلوبية - مؤسسة الإمامة الصحفية - ط1- الرياض -
2003 .
86- مبارك الملي:
- تاريخ الجزائر في القديم والحديث - مكتبة النهضة الجزائرية - 2004 - ج2 .
87- محمد طمار:
- تاريخ الأدب الجزائري - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر - (د.ت).
88- محمد شيت خطاب:
- قادة فتح بلاد المغرب - دار الفكر - ط7- 1984- ج1 .
89- محمود بوعياد:

- جوانب من الحياة في المغرب الأوسط - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر - 1982.
- 90- محمد عيسى الحريري:
- تاريخ المغرب الإسلامي في العهد المريني - دار القلم للنشر والتوزيع - ط2- الكويت - 1987 .
- 91- محمد طّمار:
- الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر - 1983 .
- تلمسان عبر العصور - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - (دبت) .
- 92- موسى لقبال:
- الحسية المذهبية في بلاد المغرب العربي - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - ط1- الجزائر - 1971 .
- 93- محمد الملي - عبد الله شريط:
- الجزائر في مرآة التاريخ - مكتبة البعث - ط1- قسنطينة - 1965 .
- 94- محمد بن تاويت ومحمد الصادق عفيفي:
- الأدب المغربي - مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبّاني للطباعة والنشر - ط2- بيروت - 1969 .
- 95- محمد بن يحي:
- محاضرات في الأسلوبية - مطبعة مزوار - الوادي - الجزائر - ط1- 2010 .
- 96- محمود الخالق:
- شعر ابن الفارض في ضوء النقد الأدبي الحديث - دار المعارف - ط3- القاهرة - 1984 .
- 97- موسى سامح ربابعة - الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها - دار الكندي للنشر و التوزيع - ط1- الكويت - 2003 .
- 98- محمد عبد المطلب:
- قراءات أسلوبية في الشعر الحديث - الهيئة المصرية للكتاب - 1995 .

- قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني - الشركة المصرية العالمية للنشر - ط1 - الجيرة - مصر - 1995 .

99- محمد مفتاح:

- تحليل الخطاب - المركز الثقافي - ط3- 1992 .

100- مصطفى السعدي:

- التناص الشعري - قراءة أخرى لقضية السرقات - منشأة المعارف المصرية - مصر - 1991 .

101- محمد بنيس:

- ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب - دار العودة - بيروت - 1983 .

102- محمد مسعود جبران:

- فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب - دار المدار الإسلامي - ط1- 2004 - المجلد 2 .

103- منقور عبد الجليل:

- علم الدلالة (أصوله ومباحثه في التراث العربي) - منشورات اتحاد الكتاب العرب - دمشق - 2001 .

104- محمد عبد الغني مجد ومحمد الباكير البرازي:

- تحليل النص الأدبي بين النظرية والتطبيق - دار الوراق للنشر و التوزيع - ط1- عمان - الأردن- 2002 .

سادسا : المراجع المترجمة:

105- بالمر:

- علم الدلالة إطار جديد - ترجمة: صبري ابراهيم السيد - دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية - 1995 .

106- جوليا كريستينا:

- علم النص - ترجمة: فريد الزاهي - دار توبقال للنشر - ط1- الدار البيضاء - (د.ت)

107- هنري بليت:

- البلاغة و الأسلوبية - ترجمة: محمد العمري - إفريقيا- الشرق- 1999 .

سابعاً: المراجع باللغة الفرنسية:

108- Raymond Peyronnet - le problème Nord Africain - paris - Peyronnet et compagnie Edition - 1924 .

109- Louis Rinn - les origines Berbères - Alger - p2 - 1989 .

ثامناً: الرسائل الجامعية:

110- زينب منصوري:

- ديوان " أغاني إفريقيا " - لمحمد فيتوري (دراسة أسلوبية) رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير - الجزائر - جامعة الحاج لخضر - كلية اللغة و الآداب - باتنة - 2010 .

111- بناء القصيدة المولدية في المغرب الإسلامي- محمد الزلاقي- رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه علوم- جامعة محمد خيضر- كلية الآداب و العلوم الانسانية و الاجتماعية قسم الأدب العربي- بسكرة – 2005-2006 .

تاسعاً: المعاجم والقواميس:

112- الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد الهاشمي القرشي:

- القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس - مقتبس من نزهة المشتاق - تحقيق: العربي إسماعيل - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - 1983 .

- القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس - تحقيق: هنري بيرس - الجزائر - 1951 .

113- أحمد مطلوب:

- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها - مكتبة لبنان ناشرون - ط2- 1996 .

114 – الحفناوي، أبو القاسم محمد:

- تعريف الخلف برجال السلف - أنيس - سلسلة العلوم الإنسانية - ج2 - 1991 .

115- الحموي، ياقوت بن عبد الله:

- معجم البلدان - دار صادر للطباعة والنشر - دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت - 1957 - مج 3 .
- 116- الزركلي ،خير الدين:
- الأعلام - دار العلم للملايين - ط15- 2008 -ج 8 .
- 117- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد:
- تاريخ الأمم والملوك - دار القاموس الحديث للطباعة والنشر - بيروت - (د.ت).
- 118- ابن فارس، أبو الحسين أحمد:
- معجم مقاييس اللّغة - تحقيق: عبد السلام هارون - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - (د.ت) ج 6 .
- 119- ابن منظور الإفريقي، محمد بن مكرم بن علي:
- لسان العرب - دار صادر - بيروت (د.ت) .
- 120- ابن مريم، محمد بن محمد بن أحمد:
- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان - ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر - 1986
- 121- محمد بن عبد المنعم الحموي:
- الروض المعطار في خبر الأقطار - تحقيق: احسان عباس- مكتبة لبنان - ط2- 1984 .
- 122- مجدي وهبة:
- معجم المصطلحات الأدبية - مكتبة لبنان - ط1- بيروت - 1974 .
- 123- محمد بن يونس الأنطاكي:
- المحيط في أصوات العربية - مكتبة دار الشرق - ط1- بيروت- 1972 .
- 124- الموسوعة العربية (مولد) - القاهرة - 1965 .
- 125- محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي:
- سير أعلام النبلاء - مؤسسة الرسالة - 2001 .

عاشرا: مواقع الانترنت:

1- اليافي نعيم:

- أطيف الوجوه الواحد - منشورات اتحاد الكتاب العرب - دمشق

www.awu-dm-org

حادي عشر: المجلات:

1- مجلة الأصالة- السنّة الأولى- العدد-06- جانفي-1972.

2- مجلة الأصالة- السنّة الرابعة- العدد-24- مارس- أبريل – 1975.

3- مجلة الأصالة - السنّة الرابعة - العدد -26- جويلية- أوت-1975.

الفهرس

الفهرس

01.....	مقدمة
08.....	مدخل: أبو حمّو و الدولة الزيانية
08.....	أولاً: الدولة الزيانية
08.....	1 – الحدود
10.....	2 – السكان
14.....	3 – التأسيس
16.....	4 – السياسة
18.....	5 – العلاقات الخارجية
20.....	6 – الزوال
24.....	ثانياً: أبوحمو الملك و الأديب
24.....	1 – أبو حمّو و تلمسان
34.....	2 – أبو حمّو و الحياة الثقافية بتلمسان
40.....	3 – أبو حمو النثر الفني
44.....	4 – أبو حمو و ليلة المولد النبوي الشريف
48.....	الباب الأول: النثر في واسطة السلوك
49.....	الفصل الأول: التكرار
50.....	تمهيد:
51.....	أ – تكرار الحروف
55.....	ب – تكرار الضمائر
55.....	1 – ضمير المخاطب
57.....	2 – ضمير الغائب
58.....	3 – ضمير المتكلم

58.....	ج - تكرار الكلمة.....
58.....	1 - تكرار الاسم.....
62.....	2 - تكرار الفعل.....
64.....	3 - تكرار الجمل.....
67.....	الفصل الثاني: الانزياح.....
68.....	تمهيد:
70.....	أ - الانزياح الإسنادي.....
70.....	1 - التنافر الاسمي.....
73.....	2 - التنافر الفعلي.....
75.....	3 - التنافر النعتي.....
77.....	4 - التنافر الإضافي.....
79.....	ب - الانزياح الدلالي.....
80.....	1 - التشبيه.....
83.....	2 - الاستعارة.....
87.....	ج - الانزياح التركيبي.....
89.....	1 - القصر و الاستثناء.....
93.....	2 - التقديم و التأخير.....
97.....	3 - الالتفات.....
97.....	أ - الالتفات في العدد.....
98.....	ب - الالتفات في الضمائر.....
100.....	ج - الالتفات في الأسلوب.....
102.....	د - الانزياح الصوتي.....
102.....	1 - الانزياح الاستهلاكي.....
104.....	2 - الانزياح الداخلي.....

105.....	3 – الانزياح الختامي.....
107.....	الفصل الثالث: ظواهر أسلوبية أخرى في واسطة السلوك
108.....	1 – التناس.....
108.....	تمهيد
111.....	1-1- مع القرآن الكريم.....
116.....	2-1- مع السنة النبوية الشريفة.....
119.....	2 – الخطاب و الأساليبه.....
119.....	2-1- أسلوب الوصية.....
123.....	2-2- أسلوب القصص و الاستشهاد.....
124.....	أ- الاستشهاد بالقرآن الكريم.....
124.....	ب- الاستشهاد بالحديث الشريف.....
125.....	ج- الاستشهاد بالأقوال المأثورة.....
127.....	د- الاستشهاد بالأمثال و الحكم.....
128.....	و- الاستشهاد بالشعر القديم.....
129.....	ه- الاستشهاد بالتاريخ.....
133.....	3 – الانسجام الصوتي.....
139.....	الباب الثاني: الشعر في واسطة السلوك
140.....	الفصل الأول: الحقوق الدلالية في شعر أبي حمو
	أولا – الجانب النظري
142.....	1 – تعريف الحقول الدلالية.....
142.....	2 – مبادئ نظرية الحقول الدلالية.....
	ثانيا – الجانب التطبيقي
143.....	1 – أبرز الحقول الدلالية في شعر أبي حمو.....
144.....	2 – التحليل الدلالي لشعر أبي حمو.....

145.....	أ – مجال الطبيعة الجامدة.....
151.....	ب – مجال الطبيعة الحيّة.....
153.....	ج – مجال الانسان و متعاقاته.....
165.....	د – مجال الدّين.....
172.....	الفصل الثاني: البنى التركيبية في شعر أبي حمو.....
172.....	أولاً: الجانب النظري.....
172.....	1 – تعريف الجملة لدى القدماء.....
173.....	2 – تعريف الجملة لدى المحدثين.....
174.....	3 – تعريف الجملة لدى الغرب.....
176.....	ثانياً: الجانب التطبيقي.....
176.....	1 – الجملة الاسمية.....
182.....	2 – الجملة الفعلية.....
191.....	3 – الجملة الشرطية.....
195.....	4 – الجملة الانشائية.....
208.....	الفصل الثالث: البنى الصرفية في شعر أبو حمو.....
208.....	تمهيد:.....
211.....	المبحث الأول: بنية الأفعال.....
211.....	1 – صيغة (فَعَلَ).....
214.....	2 – صيغة (فَعِلَ).....
216.....	3 – صيغة (فَعُلَ).....
218.....	4- صيغة (فَعَّلَ).....
220.....	5- صيغة (أَفْعَلَ).....
223.....	6- صيغة (فَاعَلَ).....
225.....	7- صيغة (إِفْتَعَلَ).....
227.....	8- صيغة (إِنْفَعَلَ).....

228.....	9- صيغة (إِسْتَفْعَل)
231.....	المبحث الثاني: بنية الأسماء
231.....	1 - اسم الفاعل
233.....	2 - اسم المفعول
235.....	3 - المصدر الميمي
237.....	4 - الصفة المشبهة
239.....	5 - مصدر المرة
240.....	6 - صيغة المبالغة
241.....	7 - مصدر الهيئة
242.....	8 - اسم المكان
243.....	9 - النسب
245.....	10 - اسم الزمان
248.....	الخاتمة
252.....	قائمة المصادر و المراجع
268.....	فهرس الموضوعات

ملخص:

يهدف هذا البحث الى دراسة الكتاب الأدبي الوحيد الذي وصلنا من تأليف أبي حمو، دراسة أسلوبية فجااء العنوان {واسطة السلوك في سياسة الملوك لأبي حمو موسى الثاني} دراسة أسلوبية، و قد تضمن مدخلا يعرّف بالدولة الزبانية ، وبعد هذا المدخل قسّمت البحث إلى بابين، خصّصت الباب الأول للنثر أمّا الباب الثاني فاهتمّ بالشعر، وقد ضمّ الباب الأول ثلاث فصول، خصّصت الفصل الأول للتكرار و تعرضت فيه لأشكال التكرار في نثر أبي حمو من خلال الوقوف عند تكرار الحروف و الضمائر و تكرار الكلمات و أخيرا تكرار الجمل ، أمّا الفصل الثاني فقد خصّصته للانزياح بفروعه الاربع الاسنادي و التركيبي والدلالي و الصوتي فحاولت تتبع هذه الظاهرة في نثر أبي حمو و الوقوف على جمالياتها ، وجاء الفصل الثالث ليهتمّ بجملة ظواهر أسلوبية تميّز بها نثر واسطة السلوك، لم ترتق لتكون فصلا مستقلا ، أمّا الباب الثاني فقد قسمته إلى ثلاث فصول أيضا، اهتمّ الفصل الأول منه بالحقول الدلالية لشعر أبي حمو، من خلال التعرّف على المعجم الشعري له والخصائص التي تميّز بها، واهتمّ الفصل الثاني بالبنى التركيبية في شعر أبي حمو، حيث خصّصته لدراسة أنواع الجمل المستخدمة عند الشاعر، و الدلالات المختلفة التي أثرت في شعره، أمّا الفصل الأخير، فقد خصّصته للبنى الصرفية في شعر أبي حمو، وقسمته إلى قسمين، الأول اهتمّ ببنية الأفعال والثاني تعرض لبنية الأسماء.

وانتهى البحث بخاتمة، أوردت فيها جملة من النتائج التي توصلت إليها، و التي من

أهمها:

كان مستوى النثر عند أبي حمو يضاهاى الشعر لديه على قلة ما وصلنا من إنتاجه تمثل فقط في كتابه المميّز في شكله ومضمونه، واسطة السلوك في سياسة الملوك، كما تتوّع المعجم الشعري لدى الشاعر، وقد أحسن اختيار المفردات المناسبة للموقف والدلالة المناسبين، فاستطاع هذا المعجم التعبير بصدق عن أفكار ومشاعر الكاتب، كما استخدم الأديب كمعاصريه ألوان البديع في نثره خاصة السجع منه.

Abstract:

This study aims to study the only literary book that we have written by Abu Hamo, a stylistic study. The title "Behavioral mode in the politics of the kings of Abu Hamo Musa II" came from a methodological study. It included an introduction known as the Zayani state. The first part of the prose, the second part concerned poetry, and the first section included three chapters, the first chapter devoted to repetition and was exposed to forms of repetition in the prose of Abu Hamo by standing when repeating the letters and consonants and repeated words and finally repeat sentences, For branching branches The third chapter was devoted to a series of stylistic phenomena characterized by the prose and the mode of behavior, did not rise to be an independent chapter, and the second section was divided into three chapters also, The first chapter deals with the semantic fields of the poetry of Abu Hamo, through the identification of the poetical dictionary and the characteristics that distinguish it. The second chapter concerned structural structures in the poetry of Abu Hamo, where it was devoted to study the types of sentences used by the poet, and the different connotations that influenced his poetry, Chapter Al-Khair, has devoted to the morphological structures in the poetry of Abu Hamo, divided into two parts, the first concerned the structure of the acts and the second exposed the structure of names.

The research ended with a conclusion, in which it listed a number of its findings, the most important of which are:

The level of prose when Abu Hamo matched his hair on the few of what we got from his production is represented only in his book distinctive in its form and content, the mode of behavior in the policy of kings, and the diversity of the poet's poetic dictionary, and the best choice of vocabulary appropriate to the position and significance appropriate, Honestly about the ideas and feelings of the writer, and also used the writer as a contemporary Bdea colors in his prose, especially the co-workers.